موقع فلسطيني:

كتاب

الحركة الوطنية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية

(1358- 1364 هـ /1939 – 1945 م)

مها محمد بن سعود الرشيد

* * *

الفهرس:

* * *

تقديم

الكتاب للأخت السعودية مها محمد بن سعود الرشيد، وهو يبحث في تاريخ القضية الفلسطينية خلال الحرب الثانية (1939 - 1945)، ولأهمية الكتاب، وموضوعيته، ولاعتماده على المصادر والمراجع الهامة والوثائق الرسمية، والمقابلات الشخصية.. قمنا بنشره على الموقع، مع شكرنا للباحثة، ولجهدها الكبير..

أما عن الكتاب نفسه، فهذا قسم من مقدمة كتابها الذي تستعرض فيه محتويات الكتاب، وفصوله، والمصادر والمراجع..

من مقدمة الباحثة:

قسّم البحث إلى أربعة فصول وخاتمة، تناول الفصل الأول بإيجاز مؤتمر لندن، وما صاحبه من مشاورات حول تشكيل الوفود المشتركة في المؤتمر، وخاصة وفد فلسطين، والصعوبات التي اعترضت سبيل المباحثات، وأسباب فشل المؤتمر، وانفراد الحكومة البريطانية بإصدار الكتاب الأبيض من جانب واحد، وموقف العرب واليهود منه.

وعالج الفصل الثاني نشاط الفلسطينيين في داخل بلادهم، وخاصة الجانب السياسي منه، مستعرضاً موقف عرب فلسطين من الحرب ودراسة القوى السياسية الفلسطينية التقليدية التي ظهرت في الثلاثينات واستأنفت نشاطها في شكل جديد، والقوى السياسية الفلسطينية الجديدة التي ظهرت خلال فترة الحرب، كل ذلك في إطار مظاهر النشاط السياسي الذي مارسته مجموعات فلسطينية مختلفة سواء أكانت حزبية أم مستقلة. وكان لا بد من التعرف على موقف الفلسطينيين من مشاريع الوحدة العربية، ومنها مشاورات إنشاء جامعة الدول العربية، التي استحوذت على معظم النشاط السياسي العربي خلال الفترة موضوع البحث.

وناقش الفصل الثالث، نشاط الفلسطينيين في الخارج من خلال فعاليات بعض القيادات التي كان لها دور ملحوظ في مسار الحركة الوطنية وعلى سبيل المثال: عوني عبد الهادي، ومحمد علي الطاهر، وموسى العلمي، وأكرم زعيتر، ومحمد عزة دروزة. واختتم الفصل بدراسة نشاط مفتي فلسطين «الحاج محمد أمين الحسيني»، الذي يمكن اعتباره حجر الزاوية في النشاط السياسي أثناء وجوده في العراق ثم بعد انتقاله إلى أوروبا.

وانفرد الفصل الرابع لدراسة السياسة البريطانية تجاه الحركة الوطنية الفلسطينية، مع التركيز على موقف حكومة الانتداب إزاء القادة العرب الفلسطينيين المعتقلين والمنفيين، وكذلك موقفها من الكتاب الأبيض، ومدى التزامها بتنفيذ السياسة التي نص عليها. وفي خاتمة الفصل إيضاح للدور الأمريكي الذي تجدد نشاطه بعد فترة الركود، وأثر ذلك على مستقبل القضية الفلسطينية. وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على عدد كبير من المصادر والمراجع العربية، والأجنبية، المنشورة منها وغير المنشورة، وقمت خلال زياراتي العالمية إلى الأردن ومصر وبريطانيا والولايات المتحدة (خلال عام 1412هـ/1991م)، بجمع المادة التاريخية اللازمة للبحث، وقد اطلعت في لندن على الوثائق البريطانية الخاصة

بوزارة المستعمرات، في مكتب السجل العام (Public Record Office (P.R.O، والتقارير السنوية التي كانت تصدرها حكومة الانتداب في فلسطين، وبعض وثائق وزارة الخارجية، كما تمكنت أثناء وجودي في لندن من الاتصال بالأستاذ ألبرت حوراني وهو من ألمع الدارسين المرموقين لقضايا العالم العربي وتاريخه.

واطلعت في مكتبة الجامعة الأردنية بعمان، على الصحف الفلسطينية الصادرة في فترة البحث وخاصة صحيفتي فلسطين والدفاع، كما تسنى لي الاطلاع على مذكرات بعض الشخصيات الفلسطينية المحفوظة في مكتبة الجامعة، وبعض المراجع الهامة النادرة. كما أتيحت لي فرصة مقابلة بعض الشخصيات البارزة في ميدان الحركة الوطنية، مثل الأستاذ أكرم زعيتر، الأستاذ زهير دروزة نجل الأستاذ محمد عزة دروزة، الذي تفضل مشكوراً فأطلعني على مذكرات والده (وكانت لا تزال مخطوطة)، كما تسنى لي مقابلة الأستاذ وليد الخالدي وهو من أبرز الباحثين في تاريخ القضية الفلسطينية.

وحصلت من مكاتب الأمانة العامة للجامعة العربية على بعض المنشورات الخاصة بفلسطين، واطلعت على بعض المراجع النادرة في مكتبة جامعة القاهرة ودار الكتب المصرية.

وحصلت من مكتبة جامعة (UCLA) في كاليفورنيا _ الولايات المتحدة الأمريكية _ على بعض المقالات المنشورة في عدد من الدوريات المختصة بالموضوع، كما اطلعت على عدد من الوثائق الألمانية الخاصة بالسياسة الخارجية والمترجمة إلى الإنكليزية، وفيما يلي التعريف بأهم مصادر البحث:

أولاً – الوثائـــــق:

أ- الوثائق العربية:

1- مؤتمر فلسطين العربي – البريطاني المنعقد في لندن عام 1357هـ (1939م):

ويشمل المجلد /400 صفحة/، محاضر جلسات مؤتمر لندن ومناقشاته، وتقارير لجانه، وهو مترجم عن الإنجليزية، بأمر الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود، الذي ترأس وفد بلاده إلى المؤتمر، وتولى ترجمته عبد القادر المازني، وخير الدين الزركلي.

وقد ساعدتني هذه المحاضر الوافية، والغنية بالتفاصيل، على تكوين خلفية معمقة عن الموضوع وفهم الأحداث التي تتالت بعد ذلك.

2- (الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين) المجموعة الأولى 1915- 1946م:

قامت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بترجمتها، ونشرها، متضمنة عدداً وافراً من الوثائق البريطانية الرسمية، مثل صك الانتداب على فلسطين 1922م، وقرارات حزب العمال البريطاني في 1940م و 1943، وتصريح رئيس

الولايات المتحدة روزفلت في 1944، ونصوص مراسلات الملك عبد العزيز آل سعود والرئيس روزفلت في 1945، وقد أرفقت الوثائق المترجمة بالنصوص الأصلية باللغة الإنجليزية.

3- (مشكلة فلسطين):

وهو نشرة مترجمة عن الإنكليزية، أصدرها المكتب العربي بالقدس في مارس 1946، لتقديمها إلى لجنة التحقيق البريطانية – الأمريكية، للنظر فيها خلال شهر مارس 1946م، والنشرة هي دراسة شاملة للقضية الفلسطينية في مختلف مراحلها حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية، أعدها عدد من العاملين في المكتب العربي في القدس وهم: موسى العلمي، وليد الخالدي، أحمد الشقيري، ألبرت حوراني وغيرهم. فجاء حجة قوية للدفاع عن حق عرب فلسطين أمام اللجنة الأنجلو - أمريكية.

4- (تقرير اللجنة الملكية لفلسطين):

الذي عرض على البرلمان البريطاني في 1937، بعد زيارة اللجنة لفلسطين عند التوقف الأول لأحداث الثورة أواخر عام 1936. وهذا التقرير هو الترجمة العربية للنص الأصلي الإنجليزي. واحتوى ثلاثة وعشرين فصلاً عدا الملاحق، وتناول بإسهاب مشكلة فلسطين من جميع وجوهها، وخاصة الاضطرابات، وأسبابها، والأحوال الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في فلسطين منذ بداية الانتداب. وقد انتهى التقرير لطرح مشروع التقسيم، وإقامة دولة عربية، وأخرى يهودية، باعتباره الحل الوحيد لإنهاء المشكلة، ومع أن التقرير يمثل وجهة نظر الحكومة البريطانية بكل سلبياتها في مسألة فلسطين، إلا أنه يفيد الباحث في معلوماته التاريخية وإحصاءاته ومشاهدات أعضاء اللجنة.

ب- الوثائق البريطانية:

وهي موجودة في مكتب السجل العام (P.R.O) وتحوي أوراق الحكومة الرسمية الصادرة عن وزارتي المستعمرات والخارجية، ومنها تقارير دورية عن الأحوال في فلسطين كان يرفعها المندوب السامي إما دورياً، أو على شكل مذكرات، كان يتم إعدادها عن مواضيع محددة. هذا إضافة إلى مراسلات وزارة الخارجية البريطانية مع سفرائها في البلاد العربية المجاورة، وقد رصدت الوثائق التي تتناول فترة الدراسة، أهم أحداث وتطورات تلك الفترة، من سياسية واقتصادية، خاصة التي كان المندوب السامي يبعث بها إلى الحكومة البريطانية في لندن، والوثائق البريطانية تفيد الباحث لغزارة معلوماتها ودقتها، إلا أن عدم موضوعيتها، تحتم على الباحث، التعامل معها بحيطة وحذر بعد مقارنتها بمصادر أخرى معاصرة.

ج- الوثائق الألمانية:

وهي في الأصل باللغة الألمانية إلا أنها ترجمت إلى اللغة الإنجليزية في أعقاب انتصار الحلفاء على دول المحور، وحصلت على بعض تلك الوثائق المتعلقة ببحثي، وهي ثماني عشر وثيقة تبدأ من أغسطس 1940م إلى نوفمبر 1941م، تتضمن مذكرات أعدها بعض موظفي الخارجية، وتقارير عن مقابلات سكرتير المفتي لموظفي الخارجية، ورسائل من السفراء إلى الخارجية عن تحركات المفتي ورفاقه قبل وصولهم إلى أوروبا، ثم محضر محادثات المفتي مع هتلر، ويمكن اعتبار هذه الوثائق مصدراً أصلياً لنشاط العرب لدى المحور، كما تلقي الضوء على وجهة نظر الحكومة الألمانية تجاه القضية العربية.

ثانياً – المذكرات الشخصية:

وهي مذكرات عدد من الشخصيات التي عاصرت تلك الحقبة:

1- محمد عزة دروزة:

وكان دروزة عضواً في اللجنة العربية العليا التي أشرفت على الإضراب العام، والثورة الفلسطينية عام 1936م، ثم بعد انتقاله إلى دمشق 1937، أصبح المسؤول الرئيسي عن تزويد الثورة بالسلاح، والمال، والمتطوعين. ومن هنا اكتسبت مذكراته أهمية خاصة، وقد اطلعت على تلك المذكرات لدى نجله الأستاذ زهير دروزة في عمان، وكانت لا تزال في مرحلة الإعداد للنشر في عدد كبير من المجلدات (18). والمذكرات الخاصة بفترة البحث، كان الأستاذ عزة دروزة، يسجلها بشكل يومي أثناء وجوده في سوريا ثم خلال إقامته في تركيا، وهي أشبه بيوميات، لنشاطه، ولآرائه، في كل التطورات والأحداث. كانت ذات فائدة كبيرة لي، خاصة وأنها ضمت أيضاً نصوصاً للرسائل التي تبادلها مع المفتي (في أوروبا)، وما دار بين هذين الزعيمين الفلسطينيين، من مشاورات، وخاصة عن أهم التطلعات والأماني التي يمكن تحقيقها من وراء الاتصال بدول المحور خلال الحرب. ولأن المذكرات كانت لا تزال مخطوطة لم أتمكن من وضع تلك الرسائل في ملاحق البحث.

2- عثمان كمال حداد:

سجل مذكراته بعنوان: «حركة رشيد عالي الكيلاني»، وتحدث فيها عن هذه الحركة، وعن الدور البطولي فيها، وكان عثمان كمال حداد سكرتيراً شخصياً للمفتي، وموضعاً لأسراره، فقد لازمه منذ مجيئه إلى بغداد عام 1939، ثم خروجه إلى طهران 1941م، وظل معه حتى ألقي القبض عليه في طهران، وفر المفتي إلى تركيا، وسبق أن كان مبعوث المفتي الشخصي إلى دول المحور في رحلتين خلال عامي 1940 و1941. لذلك ومن هنا تكمن أهمية مذكرات السيد حداد، لأنه شارك في صنع الأحداث، وكان على اتصال قريب بالزعامات الفلسطينية.

3- أميل الغوري:

سجل مذكراته في جزأين بعنوان: «فلسطين عبر ستين عاماً» وتنتهي في 1939، أي عند بداية بحثي، إلا أن أهمية المذكرات، تكمن في أن كاتبها هو إحدى الشخصيات الفلسطينية البارزة في الحزب العربي الفلسطيني، إضافة إلى

نشاط الغوري في الحركة الوطنية، وقد تحدث عن مؤتمر لندن، والكتاب الأبيض، وعن موقف عرب فلسطين من الحرب. ويمثل الغوري وجهة نظر المفتي وجماعته في آرائه وفي تناوله للأحداث.

4- محمد علي الطاهر:

وسجل مذكراته بعنوان: «ظلام السجن مذكرات ومفكرات سجين هارب»، وتناولت المذكرات الفترة التي قضاها في السجن في مصر خلال عام 1940، وهروبه منه، وقد واكبت هذه الفترة أحداث الحرب العالمية الثانية، وكان الطاهر أحد رجالات فلسطين الوطنيين، وعمل لخدمة وطنه في الخارج، وتعد مذكراته تسجيلاً لأحداث هامة خلال الحرب العالمية الثاني، نشاطه خلالها. فكانت مصدراً هاماً للقضية الفلسطينية في الساحة المصرية.

5- عوني عبد الهادي:

ومذكراته في الحقيقة مجموعة من رسائل وأوراق خاصة ومذكرات، قامت بإعدادها الدكتورة «خيرية قاسمية» ونشرها مركز الأبحاث الفلسطينية في بيروت. ومع أن أوراق ومذكرات عوني عبد الهادي لا تغطي تاريخاً كاملاً لدوره الوطني في فلسطين، ولكنها تلقي بعض الأضواء على نشاطه السياسي، واختصت الفصول (الثامن والتاسع والعاشر) بفترات البحث، وتضمنت عدة رسائل تبادلها عوني عبد الهادي مع بقية رفاقه من رجال السياسة في فلسطين، ضمّنها وجهة نظره الشخصية في الأحداث والتطورات.

6- أحمد الشقيري:

سجل الشقيري مذكراته في كتاب بعنوان: «أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية»، ومذكراته هي سيرة ذاتية تضمنت القضية الفلسطينية وتطوراتها، من خلال أدوار حياته، ولذلك حملت مذكراته وجهة نظر شخصية. ولم يُفصّل كثيراً عن الفترة الخاصة بالبحث، لأنه لم يكن له دور كبير، إلا من حيث تناوله تأسيس المكاتب العربية، فأشار إلى الجهد الذي قام به لتأسيس هذه المكاتب مع بقية زملائه.

7- عزت طنوس:

سجل مذكراته بعنوان: «الفلسطينيون ماض مجيد ومستقبل باهر»، بدأت المذكرات بسيرة ذاتية، قبل أن تنتقل إلى البحث في تاريخ العرب تحت حكم الدولة العثمانية، ثم التطورات التالية من خلال رؤيته الخاصة وتكمن أهمية المذكرات، في أن صاحبها كان أحد المشاركين في الأحداث، واحد المهتمين بالأوضاع السياسية والنشاط السياسي في فلسطين، وكانت له وجهة نظر خاصة قد يختلف عن الجناح الموالي للمفتي وجماعته، بالنسبة للموقف من بريطانيا.

8- حسني صالح الخفش:

كتب مذكراته بعنوان: «حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية»، وهو أحد الزعامات العمالية والنقابية في فلسطين، وأسهم في تأسيس هذه الحركة منذ 1932، ومثّل عمال فلسطين في المؤتمرات العربية والدولية، ويزيد من أهمية مذكراته كون الحركة العمالية أحد مظاهر تطور القوى السياسية خلال فترة الحرب العالمية الثانية، ولذا

يمكن اعتبارها مصدراً أصلياً للحديث عن تطور العمال، والعمل النقابي، وأثر ذلك في النشاط السياسي لعرب فلسطين.

9- آخر العمالقة جاء من القدس – موسى العلمي:

وهو كتاب أعده الصحفي ناصر الدين النشاشيبي، جمع فيه أحاديث ولقاءات أجراها النشاشيبي مع العلمي، فعبّرت عن آرائه، وتطلعاته، ووجهات نظره في الأحداث، والتطورات، وعن نشاطه الشخصي، ودوره كأحد الزعامات المستقلة، في الحركة الوطنية الفلسطينية، إذ أنه لم يتبع أي تنظيم حزبي. ورغم أن هذا الكتاب حمل وجهة نظر النشاشيبي والعلمي الشخصية، إلا أنه يعتبر شهادة أدلى بها أحد رجالات الحركة الوطنية الفلسطينية من شهود الأحداث، ومن الذين أسهموا في صنعها وتوجيهها.

ويمكن أن نضيف إلى ما سبق من المذكرات، مذكرات عدد من الأشخاص غير الفلسطينيين، كانوا معاصرين لأحداث الفترة ذاتها، وسجلوا شيئاً منها في مذكراتهم، ومن هؤلاء صلاح الدين الصباغ أحد ضباط (المربع الذهبي) الذين قاموا بثورة الكيلاني، وطه الهاشمي أحد رؤساء الوزارات العراقية، وقد خلف الكيلاني بعد استقالته في المرة الأولى، كذلك توفيق السويدي، أحد رجالات السياسة في العراق، وعرف عنه موالاته لنوري السعيد وسياسته، وأيضاً جودت الأيوبي، وزير الخارجية في وزارة نوري السعيد الأولى.

وبوجه عام يمكن القول أن بتلك المذكرات الشخصية، مع أنها تحمل وجهات نظر خاصة بأصحابها، إلا أن ذلك لا يقلل من أهميتها لدراسة فترة البحث، سواء اختلفنا أو اتفقنا مع وجهات النظر، وزوايا الرؤية، التي سجل منها أصحابها مذكراتهم.

ثالثاً – الصحف والدوريات:

1- صحيفة فلسطين:

وقد صدرت في عام 1911م، في يافا، وهي من أمهات الصحف اليومية الفلسطينية، واعتبرت المدرسة الأولى للصحافة العربية الفلسطينية، وكان يتولى رئاسة تحريرها صاحبها الصحفي عيسى العيسى. وأعدادها محفوظة على أشرطة ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية في عمان، وقد شملت أعداد سنوات الحرب - من الصحيفة - مسحاً واسعاً ودقيقاً لكل الأحداث والتطورات التي حفلت بها الفترة، وكانت الصحيفة تمثل وجهة النظر العربية مع أنها كانت في بعض الأحيان تتحفظ في أخبارها لأنها كانت تخشى من المنع، والإغلاق، ولا يقلل هذا من أهمية المعلومات التي كانت تسجلها للأحداث بدقة وأمانة.

2- صحيفة الدفاع:

وهي من أشهر الصحف اليومية الفلسطينية وأقواها، وقد صدرت في يافا عام 1934م، وساهم في تحريرها نخبة كبيرة من رجال الفكر والسياسة، وكان رئيس تحريرها وصاحبها إبراهيم الشنطي، وهي تمثل حزب الدفاع الوطني، وإن لم تهاجم رجال الحركة الوطنية الأخرى. والصحيفة محفوظة على أشرطة ميكروفيلم في مكتبة

الجامعة الأردنية، وقد تعرضت بعض سنوات إصدار الجريدة للنقص، بسبب ظروف نقل أعدادها من فلسطين المحتلة، وحفظ الباقي منها في الجامعة الأردنية. وتتوفر الأعداد التي تغطي الفترة من 1942 حتى 1945، ومع أن الصحيفة تعبّر عن الوجهة العربية في فلسطين، إلا أنها سعت إلى اللين في انتقاد الحكومة خشية المنع، ولكن ذلك لا يقلل من أهميتها، نظراً لتغطيتها كافة التطورات والأنشطة داخل فلسطين.

3- صحيفة الأهرام:

وهي من أوائل الصحف العربية في المنطقة بشكل عام. فقد ظهرت في مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكان لها مراسلون في فلسطين لتغطية الأحداث الهامة. واطلعت على أشرطة الميكروفيلم (في مبنى الأهرام) الخاصة بفترة الدراسة. ولكن الملاحظ انشغال الصحيفة بتغطية أخبار الحرب، إلا أنها خصصت بعض المقالات والأخبار عن فلسطين، وزاد اهتمامها بأخبار فلسطين، في السنوات الأخيرة من الحرب، عند بدء مشاورات الوحدة العربية.

4- أخبار اليوم:

جريدة أسبوعية تصدر في مصر واطلعت على مقالات سجلت لقاءات خاصة مع المفتي الحاج أمين الحسيني عام 1957م، ونشرت هذه اللقاءات أيضاً في مجلة فلسطين، (الهيئة العربية العليا).

5- مجلة فلسطين:

نشرت هذه المجلة التي كانت تصدر من بيروت من قبل الهيئة العربية العليا، مقالات متتالية عن مذكرات المفتي، حول نشاطه السياسي، ووجهات نظره، وآرائه حول أسلوب الكفاح الوطني، وذلك على مدى ثلاثة أعوام من عام 1967 - 1970 م، وهذه المقالات تتطابق مع ما نشرته أخبار اليوم، وقد استفدت منها في استقاء معلومات عن نشاط المفتي في العراق ودول المحور، رغم أنها تمثل وجهة نظر المفتي الخاصة.

6- مجلة آخر ساعة:

أجرت هذه المجلة المصرية الأسبوعية عدة لقاءات مع رشيد عالي الكيلاني (في الخمسينات)، ووصفت الأحاديث بأنها الأولى التي تكشف أسرار ثورته. وتكمن أهميتها في معرفة وجهة نظر صانع هذه الثورة، والملاحظ أن الكيلاني في أحاديثه لم يذكر شيئاً عن المفتي وجهده في ثورته.

7- مجلة شؤون فلسطينية:

وقد اهتمت هذه المجلة (التي أصدرها مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت منذ مطلع السبعينات)، بنشر الدراسات الجادة عن القضية الفلسطينية، كان منها ما يخص موضوع البحث على سبيل المثال: «ألمانيا النازية والقضية الفلسطينية» للباحث سلمان رشيد سلمان، و«عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية» لماهر الشريف، و«النخبة السياسية في المجتمع العربي» لتيسير الناشف. وتميزت هذه الأبحاث بالعمق والدقة وأفادتني في تغطية بعض جوانب البحث.

رابعاً – الصحف والدوريات الأجنبية:

1- التايمز اللندنية The Times:

وتعتبر مصدراً أساسياً لكل بحث في التاريخ الحديث، نظراً لعراقة هذه الصحيفة بين الصحف العالمية. ولاتساع نطاق تغطيتها لأحداث العالم، واطلعت على بعض أعدادها في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن (SOAS)، كما اطلعت على البعض الأخر في أرشيف الجريدة نفسها. والملاحظ أن انشغال العالم بأحداث الحرب الدائرة، قلل من اهتمام الصحيفة بفلسطين وأخبارها، إلا أنها أسهبت في تغطيتها لمؤتمر لندن، وعاودت في السنوات الأخيرة من الحرب اهتمامها بفلسطين. والصحيفة تمثل وجهة نظر بريطانية بالنسبة للحركة الوطنية، إلا أنها سمحت لبعض الأقلام العربية، بالرد على المقالات التي يرى العرب فيها تحاملاً عليهم. وبوجه عام تزخر صحيفة التايمز بالأخبار والأحداث الدقيقة، إلا أن الآراء الواردة تستدعي التدقيق والحذر.

2- International Journal of Middle East Studies:

وقد نشرت بأحد أعدادها بحثاً بعنوان (The politics of collaboration) للمؤلف Anthony Lace ويتسم البحث بالجدية، ويتناول سياسة دول المحور مع العرب، وتحليل الأسباب التي أدت إلى توجه المحور نحو العرب، وطبيعة هذه الاتجاهات ونتائجها.

3- Journal of Palestine Studies:

ونشرت في أحد أعداد المجلة، دراسة أحد موظفي قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية، والمسؤول عن الشؤون الفلسطينية Evan Wilson، وعنوان الدراسة (The Palestine Papers 1942-1947)، وتبحث تطور سياسة الولايات المتحدة نحو فلسطين في السنوات الحاسمة والخطيرة من تاريخ القضية (1942 - 1947)، مستقاة من مجلدات سياسة الولايات المتحدة الخارجية، وقدّم المؤلف بعض التفسيرات الشخصية لهذه السياسة، معلقاً بقوله: «إن حكومة الولايات المتحدة عالجت مسألة فلسطين في بعض الحالات بطريقة غير تقليدية من واقع أن بعض الأوراق لم تأت من أرشيف وزارة الخارجية بل من مكتبات الرئيسين روزفلت وترومان». وتغطي الدراسة مسألة تدخل الولايات المتحدة الأمريكية بالقضية الفلسطينية، رغم أن المؤلف يمثل وجهة نظر حكومته.

4- African Studies:

ونشرت دراسة خاصة تحليلية عن الحزب العربي الفلسطيني The Palestine Arab Party 1944-1946، شملت نشاطات الحزب أواخر سنوات الحرب. مع إلقاء الضوء على العلاقة الداخلية للحزب وعلاقته بالأحزاب الأخرى.

خامساً – المقابلات الشخصية:

نظراً لأن بعض معاصري فترة بحثي، كانوا ما زالوا على قيد الحياة، فقد حرصت على مقابلة عدد منهم، كان من أهمهم الأستاذ أكرم زعيتر، الذي كان عند إعداد دراستي، من الشيوخ الأحياء للقضية بالفلسطينية، ومن أهم رجالها.

التقيت به في عمان في يناير 1990، ووجهت له عدداً من الأسئلة حول موضوع بحثي، وحول تفاصيل نشاطه الشخصي، وأضافت إجابته كثيراً من التفاصيل لما ورد في مؤلفاته رغم بعض التحفظ، وساعدتني مقابلتي للأستاذ زعيتر، على تكوين صورة واضحة عن الوضع بشكل عام، ومدى المعاناة التي كانت تمر بها الحركة الوطنية في تلك الفترة بشكل خاص.

وقد قابلت في عمان الأستاذ وليد الخالدي أحد أهم الباحثين في تاريخ القضية الفلسطينية، وكان له إسهام كبير في نشاط المكاتب العربية التي أسسها موسى العلمي، وعاصر أحداث الفترة موضوع دراستي، وقد أوضح لي بعض النقاط الغامضة، وتحدث عن خلفية بعض الزعماء السياسيين. وأتيحت لي فرصة لقاء الأستاذ ألبرت حوراني في لندن، الذي يمكن اعتباره من أهم خبراء شؤون الشرق الأوسط في بريطانيا، وبالقضية بالفلسطينية على وجه الخصوص، وكان أحد موظفي المكتب العربي في لندن، ولقد تفضل مشكوراً بإمدادي ببعض منشورات المكتب والتي شارك هو في كتابتها.

سادساً - الدراسات والمراجع العربية:

حظيت قضية فلسطين بقسط كبير من التأليف والنشر عنها، وتعددت الدراسات حولها، إلا أنه يمكن الإشارة إلى بعض المراجع التي أفادت موضوع دراستي بشكل خاص:

1- بيان نويهض الحوت، «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948»، وتأتي أهمية هذه الدراسة، من كونها غطت فترة طويلة من تاريخ فلسطين السياسي، بتفصيل تميّز بالدقة والعمق، واعتمدت المؤلفة على كثير من المصادر غير المتوفرة، للباحث العادي، كالأوراق المخطوطة، والمحفوظة في دور البحث الخاصة.

2- فلاح خالد علي، «فلسطين والانتداب البريطاني 1939-1948»، تناول الباحث، تطور القضية الفلسطينية في أدق مراحلها، وأكثرها حرجاً، منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939، وحتى عام النكبة 1948، وقيام الكيان الصهيوني.

3- عبد الرحيم أحمد حسين، «النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945م»، تشترك الدراسة مع موضوع بحثنا، في الإطار الزمني للبحث، ولكنها تتناول الجانب الآخر في فلسطين، أي النشاط الصهيوني، وقدمت لي الدراسة، صورة واضحة عن النشاط الصهيوني المكثف مقابل النشاط العربي الذي يفتقر إلى الدعم والتنظيم في نفس الفترة.

4- علي محافظة، «العلاقات الألمانية الفلسطينية 1841-1945»، اعتمدت الدراسة الوثائق الألمانية والإنجليزية، واتسمت بالعمق والدقة والتحليل رغم طول الفترة الزمنية التي تناولتها.

5- عبد القادر ياسين، «كفاح شعب فلسطين حتى 1948»، اهتم المؤلف في دراسته بحركة الكفاح لمجموع الشعب، محملاً القادة والزعماء التقليديين الكثير من المسؤولية، وبالاطلاع على الكتاب، أمكن التعرف على وجهات نظر تختلف عن الخط المألوف في معظم الدراسات.

6- أميل توما، «جذور القضية الفلسطينية»، ويمثل الكتاب وجهة نظر تشبه الكتاب السابق، في الرؤية الجديدة للحركة الوطنية الفلسطينية وفي أسلوب الكفاح الوطني.

سابعاً – الدراسات والمراجع الأجنبية:

1- Palestine: A Study of Jewish، Arab & British Policies، قامت بإعداد الكتاب مؤسسة Esco foundation for Palestine، وهو عمل ضخم يتكون من مجلدين كبيرين، وينقسم إلى أربعة أقسام تبحث عدداً من الموضوعات ذات الصلة بفلسطين، كالحركة الصهيونية، والسياسة البريطانية، والمؤسسة ذاتها صهيونية الميول، وتوضح الدراسات، وجهة النظر الصهيونية، ولذا كان لا بد من التعامل معها بالحذر، والانتباه رغم غناها بالمعلومات.

2- **A Survey of Palestine**، وهي دراسة في مجلدين أعدت تحت إشراف الحكومة البريطانية عن فلسطين منذ بداية عهد الانتداب، وقد قسمت إلى عدة موضوعات، وهي موسعة في بحث الأحوال الاقتصادية، والاجتماعية، وموجزة في بحث الأحوال السياسية.

3- **The Struggle for Palestine، by J.C.Hurewitz** ، وتشمل الدراسة، الفترة الزمنية من 1936 حتى 1947، وهي دراسة عميقة، وتهتم بالتحليل العلمي، المستند على الوثائق والمصادر العديدة، رغم أن المؤلف يهودي.

4- **Britain and Palestine During the second World war، by Ronald Zweig** ، تعالج هذه الدراسة السياسة البريطانية في فلسطين، خلال الحرب العالمية الثانية. ومدى تطبيقها لسياسة الكتاب الأبيض، واتسمت الدراسة إلى حد كبير بالدقة والتحليل.

5- **American Zionism and U.S. Foreign policy 1942- 1947 by Richard P. Stevens،** وتتناول الدراسة موضوع تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في مسألة فلسطين، وتحدث المؤلف بإسهاب، وتوسع، عن تداخلات السياسة الأمريكية وتفاصيلها ودوافعها وأسبابها. برؤية موضوعية إلى حد كبير.

6- **Churchill and Palestine 1939-1942، Gavriel Cohen** ، والكتاب مجموعة من الوثائق

البريطانية، (رسائل ومحاضر مجلس الحرب)، جمعتها وأشرفت على نشرها مؤسسة صهيونية في فلسطين دون تعليق أو تحليل.

7- **The Mufti and Fuehrer، Schechtman by Josph**، خصص الكتاب لدراسة محادثات المفتي مع هتلر، قام بإعداده أحد المؤلفين اليهود ذي الميول الصهيونية الواضحة، ولذلك تحامل الكتاب على المفتي مبتعداً عن الموضوعية وعن المنهج العلمي السليم.

8- لوكاز هيرزويز «ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي»، والنص مكتوب أصلاً باللغة البولندية، وقد ترجمه أحمد عبد الرحيم مصطفى للعربية عن الترجمة الإنجليزية، وقد استقى المؤلف مادته من الوثائق الألمانية، وهذه الدراسة أغنى ما تسنى لي الاطلاع عليه، حول موضوع العلاقات العربية الألمانية في عهد هتلر.

* * *

الفصل الأول: مؤتمر لندن والكتاب الأبيض

* أسباب انعقاد المؤتمر.
* مشكلة التمثيل الفلسطيني.
* مباحثات المؤتمر.
* صدور الكتاب الأبيض.
* ردود الفعل العربية والصهيونية.

* * *

مؤتمر لندن

أسباب انعقاد المؤتمر:

أصدرت الحكومة البريطانية في 17 شعبان 1357 هـ (9نوفمبر 1938 م). بياناً عن مشكلة فلسطين تضمن عرضاً سريعاً للمشاريع السابقة المقترحة كحل لهذه المعضلة، وشرح بإيجاز تقرير لجنة بيل الملكية لدراسة مدى إمكانية تنفيذ مشروع التقسيم. وما ترتب على ذلك من تعيين لجنة وودهيد (Woodhead) فجاء تقريرها في غير صالح مشروع التقسيم إذ وصفه بأنه غير عملي.

ثم ركز البيان على ثقل المسؤولية المزدوجة، الملقاة على عاتق الحكومة البريطانية، تجاه العرب، واليهود. ولكي يسود السلام في فلسطين ترى الحكومة أن الوسيلة لذلك هي التفاهم بين الطرفين في أقرب فرصة ممكنة. ولتحقيق هذه الغاية فإن الحكومة تعتزم أن توجه الدعوة إلى ممثلين للدول العربية ولعرب فلسطين واليهود للتداول معهم في لندن، حول السياسة المقبلة في فلسطين(1). والجدير بالذكر، أنه صدر بيان عن اللجنة التنفيذية للمجلس العام ليهود فلسطين فآد لئومي (Vaad Leumi)، جاء فيه أن توجيه الدعوة إلى ممثلي الدول العربية المجاورة، للاشتراك في المحادثات، بادرة لا سابقة لها ولا سند لها في القوانين السياسية والدستورية الفلسطينية(2)بالإضافة إلى أن البيان يثير عدداً من التحفظات. فهو كبيان صادر من جهة حكومية رسمية، يحتوي على اعتراف ضمني بفشل المشاريع السابقة وضرورة التخلي عنها. وهذا ربما يؤثر على مصداقية أي مشروع جديد ومدى إمكانية نجاحه.

ولكن عندما نتتبع الظروف المحيطة ببريطانيا في هذه الفترة ونتلمس العوامل التي دفعتها لإصدار مثل هذا البيان تتضح لنا الرؤية بشكل أفضل. فنذر الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق والأزمات الدولية تتابع دافعة بالعالم إلى حافة حرب عالمية جديدة.

فقد اختل التوازن الدولي العسكري. معرضاً أمن العالم للخطر. فإيطاليا أصبح لها موضع قدم في المشرق بعد استيلائها على الحبشة في 1354هـ (1935م)، وتمَّ تكريس هذا التفوق، بالاتفاقية التي عقدتها بريطانيا مع إيطاليا 1357هـ (1938م)، إضافة إلى نجاح هتلر Hitler في ضم النمسا في 1357هـ (1938م)، مما جعل الدول الغربية في أوربا تصاب بالقلق(3).

ومما زاد الأمور تأزماً تهديد هتلر في جمادى الآخر 1357هـ (سبتمبر 1938م) تشيكوسلوفاكيا، فأصاب الذعر بريطانيا وفرنسا، وجعلهما تشعران بأنهما على فوهة بركان يكاد أن يتفجر، لذا سعت كل من بريطانيا وفرنسا لعقد مؤتمر ميونخ في رجب 1357هـ (أكتوبر 1938م)، وتم الاتفاق خلال المؤتمر على ضم بسوديت التشيكوسلوفاكي لألمانيا على مراحل وضمنت بريطانيا وفرنسا بقية حدود تشيكوسلوفاكيا(4). وقد أثارت هذه الاتفاقية كثيراً من الانتقادات، وأدت إلى استقالة وزير الحربية البريطاني احتجاجاً على ما أسماه بسياسة الترضية(5). ولم يقتصر خطر دول المحور ألمانيا، إيطاليا، على المجال الأوربي، بل تطلعوا إلى مناطق مستعمرات الدول الغربية، وظهر ذلك بشكل واضح في العالم العربي، مما شكل عامل ضغط جديد، زاد من توتر بريطانيا وقلقها. تزايد اهتمام ألمانيا بالعالم العربي، لأنها رأت فيه مسرحاً جديداً، توجه له دعايتها، كما زاد اهتمامها بالطلاب الذين يتلقون العلم لديها، فأخذت بتنظيمهم، وازداد الإعجاب لدى الشباب العربي بالتنظيم العسكري الألماني(6). بالإضافة إلى تشكيل منظمات شبه عسكرية من الشباب في مدن الشرق العربي(7).

وظهر التقارب العربي مع ألمانيا، عندما شنت هجوماً على مشروع بريطانيا لتقسيم فلسطين عام 1356هـ (1937م)، مما أدى إلى احتجاج القائم بالأعمال البريطاني في برلين في رمضان 1356 هـ (نوفمبر 1937م)(8)، وشاركت إيطاليا ألمانيا في هذا الموقف. فقد رأتا فيه عاملاً جديداً يعزز مركز بريطانيا في المشرق العربي(9). كما أخذت إيطاليا توجه دعايتها عبر إذاعة بارى، إضافة إلى استعداد الحكومة الإيطالية لإمداد العرب بالسلاح اللازم، وهدف إيطاليا من ذلك زيادة رقعة نفوذها السياسي والاقتصادي. فيذكر موسى العلمي خلال 1357 هـ (1938م)، أنه اتصل به رجال موسوليني (Mussolini) عارضين عليه خمسين دبابة كهدية من حكومة إيطاليا لثوار فلسطين، ولكن لم يصل من هذه المساعدات شيء، وإن كان المفتي في حديث قد أعطى تأكيدات شخصية للملك عبد العزيز آل سعود بأنه ليس على اتصال بالإيطاليين(10).

وسواء كانت هذه المساعدات قد وصلت أم لا، فالأمر يدل على انتشار دعاية دول المحور في المنطقة لدرجة تصل إلى إطلاق مثل هذه الاتهامات، وبالرغم من ذلك فالعلاقات العربية المحورية، لا نستطيع أن نطلق عليها صفة العلاقات القوية المباشرة، في ذلك الوقت، وهي في حقيقتها لا تعدو أن تكون مجرد اتصالات ظهرت كبداية لعلاقات تطورت بشكل أكثر عمقاً بين بعض زعماء العرب، ودول المحور خلال سنوات الحرب. ويرجع السبب في عدم متانة العلاقات العربية مع دول المحور قبل الحرب إلى حرص هتلر على المحافظة على وضع بريطانيا في المنطقة، وأنه كان يعتبر الشئون العربية ثانوية بالنسبة لألمانيا النازية، علاوة على أنه اعتبر المنطقة تقع داخل المجال الحيوي لإيطاليا(11).

وبالرغم من ذلك شعرت بريطانيا بالقلق لانتشار دعاية للمحور في منطقة خاضعة لنفوذها، وأن الظروف القائمة، تنذر باندلاع حرب بين لحظة وأخرى، ومسألة انحياز العرب إلى جانب المحور أمر وارد. لذا كانت هذه المعطيات الجديدة التي ظهرت على الساحة الدولية، تفرض على بريطانيا أن تعمل للحصول على ولاء العالم العربي لها، أو حيادهم كحد أدنى فيما لو انفجرت حرب عالمية. خاصة وأن المنطقة العربية من الممكن أن تكون أحد ميادين هذه الحرب، لذا لا بد أن تعمل بريطانيا على تحسين صورتها التي تعرضت للاهتزاز بعد سيادة شعور من الاستياء لدى العرب ضدها بسبب سياستها في فلسطين. لأن قضية فلسطين بمثابة حجر الزاوية في بناء العلاقات العربية - البريطانية، بسبب مصالح بريطانيا الحيوية في المنطقة. فمثلاً إذا كانت ترغب في حماية ميناء حيفا وتريد أن تضمن تصديره للنفط، فلا بد أن تضمن أولاً تدفقه من كركوك في العراق. والأمر الحيوي الآخر بالنسبة لبريطانيا وصول طائراتها إلى فلسطين بسلام، وهذا كله يتطلب تأمين العراق والخليج العربي. ففلسطين تعتبر المنفذ الوحيد المؤهل لإيصال الإمدادات إلى بريطانيا، إذا ما تمكنت إيطاليا في حالة الحرب من حصار قناة السويس(12).

ازداد إدراك الحكومة البريطانية لأهمية العالم العربي، جراء العديد من الرسائل والمذكرات التي أخذت تصل إلى مقر الحكومة، من المندوبين البريطانيين في الوطن العربي، والتي تحث الحكومة على اتخاذ خطوات سريعة للتعاطف مع العرب، مما جعل وزير المستعمرات (MacDonald) ماكدونالد يصرح قائلاً: «سيقف اليهود إلى جانبنا إذا ما اشتعلت حرب، لأنه ليس لديهم غير ذلك ولكن الأمر بالنسبة للعرب يختلف إذ نشك في ضمان ولائهم ووقوفهم إلى جانبنا وإن اتجهوا ضدنا فسوف يتعقد وضعنا في الشرق الأوسط»(13) لذا حرص ماكدونالد، أثناء لقائه بالوفد الصهيوني المشارك في مؤتمر لندن، في ذي الحجة 1357هـ/ 1938م، أن يظهر لهم مدى أهمية العرب في السياسة البريطانية. فإن لم تنجح بريطانيا في إقناع العرب بالوقوف إلى جانبها فعلى الأقل يتخذون جانب الحياد. وهيئة الأركان البريطانية شاركت وزير المستعمرات الرأي، فهي أيضاً تتطلع إلى الهدوء في المنطقة فيما لو انفجرت حرب، وترغب في رؤية عالم عربي صديق، لأن مقتل الإمبراطورية البريطانية يكمن في المنطقة العربية، فمن الضروري إذن إيجاد جبهة داخلية هامة إن لم تكن متعاطفة(14). وزاد من صعوبة الأمر استمرار اشتعال الثورة الفلسطينية وهذا مما يشكل نقطة ضعف داخل جسم الإمبراطورية، فيؤثر على تماسكها أمام أعدائها، فلا بد من حل حاسم وسريع توقف به هذه الثورة التي بلغت أوجها عام 1938 م (1357هـ). ويذكر ويلسون (Willson) الجنرال البريطاني في فلسطين، بأن خمسمائة من الثوار يعتصمون بالجبال، ويقومون بحرب عصابات وقد نجحوا في الهجوم على مركز للبوليس في نابلس، وتم لهم الاستيلاء على بعض الأسلحة(15). واضطر ماكدونالد في جمادى الأولى 1357هـ (أغسطس 1938م) أن يقوم بزيارة سرية إلى فلسطين، ليطلع على الأحوال عن كثب، وعقد عدداً من الاجتماعات مع السلطات المحلية، مدركاً العبء الثقيل الملقى على عاتقه. ونتيجة لهذه الأحوال الأمنية المتدهورة بفعل استمرار الثورة وإراقة الدماء والخسائر الفادحة بالأرواح، واستمرار زيادة النفقات الباهظة التي تتحملها الخزينة، هاج الرأي العام البريطاني(16).

لذا أصبحت مسألة إيقاف الثورة أمراً حتمياً وضرورياً بالنسبة للحكومة البريطانية، فإذا ما شد الفتيل واندلعت الحرب المتوقعة فبريطانيا بحاجة لجيشها المرابط في فلسطين(17).

أما مشروع التقسيم، فقد تم سحبه بناء على تقرير لجنة وودهيد (Woodhead)، ولكن الشقيري يعتقد خلاف ذلك فيقول: «الثورة هي التي صنعت الأمر الواقع وأحبطت التقسيم وما الأسباب التي بررت بها لجنة وودهيد (Woodhead) فشل التقسيم كحل، إلا مبررات واهية الهدف منها حفظ ماء وجه بريطانيا، فالصعوبات أمام التقسيم لم تكن خافية على بريطانيا، حتى تأتي اللجنة وتكشفها بسحر ساحر»(18). وفي الحقيقة أن مشروع التقسيم كان قد مات بعد ردة الفعل العنيفة ضده ولا يحتاج إلا لجنازة تليق به، واحتمال أن تكون لجنة وودهيد (Woodhead)، هي أولى المراسم التي أعدت لدفنه، ويعتقد أن ماكدونالد (Macdonald) كان يصر دائماً على علاج المشكلة بطريقة لا تجعل الرأي العام يفهم أن بريطانيا استسلمت تحت ضغط التمرد(19). وقد تراجعت بريطانيا عن التقسيم لتتفرغ ولتكسب مزيداً من الوقت لإيجاد حل سريع وبديل للتقسيم، فكان أن طرح المؤتمر كبديل، وفي الواقع أن بريطانيا تلعب بورقتين، وقد سحبت ورقة التقسيم لما اشتدت المعارضة له، وتأزمت الظروف، الدولية وقدمت ورقة المؤتمر بغرض امتصاص الغضب من العرب، وجرهم إلى صفها عند اندلاع أية حرب.

ومما زاد من توتر بريطانيا وقلقها وجود مظاهر تقارب عربي إسلامي تجلى بشكل واضح، في انعقاد مؤتمر البرلمان العربي الإسلامي بالقاهرة في شعبان 1357هـ (أكتوبر 1938م)، وبرز فيه التأييد العربي والإسلامي لقضية فلسطين، إذ شاركت فيه جميع لجان الدفاع عن فلسطين في الدول العربية والإسلامية، ومثّل اللجنة العربية العليا لفلسطين، عوني عبد الهادي وألفرد روك وجمال الحسيني، كما حضره مندوبون عن المهاجرين العرب في أمريكا، ومسلمي يوغوسلافيا. وصدر عن المؤتمر عدة قرارات لصالح قضية فلسطين كان أهمها إرسال وفد إلى لندن لنقل قرارات المؤتمر إلى حكومة بريطانيا. ورأى خبراء الشؤون الشرقية أن هذا المؤتمر كان من أكثر المؤتمرات تمثيلاً لمشاعر المسلمين(20)... حتى أن وزير الدولة البريطاني في الهند زيتلند (Zetland)، أرسل إلى اللجنة البرلمانية المنعقدة في لندن، يخبرهم بأن الأفكار الإسلامية تفشت وزادت في الهند وأفغانستان(21). مما أدى إلى نوع من التعاطف مع عرب فلسطين، وهذا ما كانت بريطانيا تخشاه لذلك دعت إلى عقد مؤتمر لندن أملاً في التقارب من العالم الإسلامي، ولتطويق مشاعر الغضب ضدها، وإزالة السخط المنصب عليها، من جراء سياستها التعسفية في فلسطين(22).

وأما بالنسبة لما ذكرته بريطانيا من أن دعوتها إلى عقد المؤتمر تعود إلى رغبتها في التوصل إلى تفاهم بين الطرفين العرب واليهود فإن هذه الحجة من السهل دحضها وتكذيبها، فبريطانيا سبق لها في تقرير لجنة بيل (Pell) الملكية أن اعترفت أنه من الصعوبة بمكان تحقيق التفاهم بين الطرفين، لذا فهي تقترح التقسيم، فالتناقض واضح بين الموقفين، وقد اعترف ماكدونالد (Macdonald)، بأن هذه تهمة توجه دائماً إلى السياسة البريطانية، ويقول: «إن الحكومة كثيراً ما اتهمت بأنها لا تسير على خطة سياسية معينة في فلسطين وأنها تضع سياسة ثم لا تلبث أن

تحيد عنها وتغيرها»(23). فإذن هذه الحجة التي ضمنتها بريطانيا بأن الدعوة للمؤتمر للتفاهم، ثبت مدى هشاشتها، فالتفاهم بين الطرفين الذي تنادي به بريطانيا من المستحيل تحقيقه بسبب تناقض الأهداف فكيف يمكن أن يكون هناك تفاهم وتقارب بين المطامع الصهيونية والحقوق والأماني العربية بخصوص فلسطين(24). أما سايكس (Sykes)، فيرى أن بريطانيا دعت إلى عقد المؤتمر لأنها تريد أن تتخذ من فشله ذريعة لفرض الحل الذي تراه، فهي تعرف مسبقاً أن مصير المؤتمر الفشل ولكن تريد أن تظهر بأنها فعلت ما في وسعها ولن يوجه إليها أي لوم بعد ذلك إذا فرضت أي حل تراه مناسباً(25).

وفي الواقع، إن كل الأسباب السابقة مجتمعة ومتداخلة، والتي تلتف حول مصلحة بريطانيا، هي التي جعلت بريطانيا تفكر في عقد المؤتمر، ففلسطين بوضعها المشتعل، كانت كالزائدة الدودية في جسم الإمبراطورية البريطانية، لذا يجب إزالتها، حتى لا يمتد الالتهاب إلى باقي الأجزاء.

مشكلة التمثيل الفلسطيني:

ظهرت هذه المشكلة على سطح الأحداث، بعد فترة وجيزة من صدور البيان الداعي لعقد المؤتمر، فقد تجاهلت حكومة بريطانيا عن عمد(26).. ذكر اللجنة العربية العليا، مؤكدة على حقها بقبول أو رفض الزعماء الذين تعتبرهم على حد قولها مسؤولين عن الاغتيال والعنف.

فثارت ثائرة اللجنة العربية لهذا الازدراء والاحتقار، وأصدرت بياناً في 23 رمضان 1357هـ (15 نوفمبر 1938م)، شديد اللهجة، حرصت فيه على تأكيد حقها باختيار الوفد الخاص بها، وشروطها لحضور المؤتمر ولكن الحكومة البريطانية كانت لا تزال متشددة(27)... في مسألة اختيار الوفد الفلسطيني، فأعلن المندوب السامي ماكمايل (Macmichael)، عن اختيار حكومته لوفد يمثل عرب فلسطين، مما جعل الاستياء والسخط يعم فلسطين. فأصدرت اللجنة بياناً آخر كررت فيه احتجاجها على تدخل بريطانيا، واستمرارها في تجاهل مطالبها، وأعلنت أنها ترفض أن تشارك إلا إذا نفذت مطالبها التي صدرت في بيانها الأول، فاشتد غضب الحكومة البريطانية وأذاع وزير المستعمرات ماكدونالد (Macdonald) في شوال 1357 هـ (ديسمبر 1938م)، أن المؤتمر سيعقد سواء شارك فيه عرب فلسطين، أم لم يشاركوا، وتمسك برفض حكومته مشاركة المفتي، وظهر نتيجة لهذه التطورات، أن فكرة عقد المؤتمر مهددة بالانهيار، فشعرت بريطانيا بمدى العبء الملقى على عاتقها، وأن الحل المقترح يوشك أن يفشل قبل أن يبدأ، لذلك حاولت إيجاد حل وسط، يكفل لها تحقيق أغراضها دون تراجع صريح في موقفها، فلجأت إلى الدول العربية باقتراح مفاده أن يتم اختيار الوفد الفلسطيني مناصفة بين الحكومة واللجنة العربية ويترك زمام القضية بيد الدول العربية، ومارست الدبلوماسية البريطانية ضغوطاً على الدول العربية لتبني هذه المقترحات، ولكن عرب فلسطين استمروا على موقفهم بثبات وبتأييد من الدول العربية، وإزاء هذا الإصرار رضخت بريطانيا لمطالب عرب فلسطين، وأعلنت إطلاق سراح المعتقلين في سيشل، وصرحت أن المفاوضات ستجري بين بريطانيا

والعرب من جهة وبريطانيا واليهود من جهة أخرى(28)... وبهذا تكون بريطانيا قد تنازلت عن موقفها المتشدد بشأن الوفد الفلسطيني وعن شرطين من شروطها السابقة(29).

وأتاحت الدعوة للمؤتمر، الفرصة لحزب الدفاع المعارض في البروز، وحاول أعضاؤه استغلال فرصة رفض اللجنة للدعوة والاستئثار بأكبر عدد ممكن من مقاعد الوفد الفلسطيني، فأصدر فخري النشاشيبي إدانة شديدة اللهجة للمفتي واللجنة العربية العليا، وبعث رسالة في رمضان 1357 هـ (نوفمبر 1938 م)، إلى المندوب السامي، يعرب فيها عن تأييده للمؤتمر، ويحمل فيها على المفتي، وأشار إلى أن معظم قادة الحزب أجبروا على مغادرة فلسطين نتيجة لحملة الإرهاب التي نظمها الجناح الحسيني. وأكد أن حزب الدفاع يشكل 75% من مصالح أهل فلسطين ويمثل 50% من سكانها(30).

وتم إطلاق سراح المعتقلين(31)، فوصلوا إلى القاهرة في ذي القعدة 1357هـ (يناير 1939م)، ثم غادروها إلى بيروت لعقد اجتماع مع المفتي بشأن اختيار أعضاء الوفد، وساد الاجتماع جو عاصف كشف عن وجود خلافات عميقة تركزت في عدة مسائل، منها أن تتم المشاركة في المؤتمر وفقاً لشعار «أخذ ما يقدم والمطالبة بالمزيد» أو مقاطعة المؤتمر، كما تم بحث مسالة استمرار الثورة أو توقفها. ونوقشت أيضاً إمكانية السماح لحزب الدفاع بالمشاركة في الوفد، وقد وافق المفتي على اشتراك زعيم الحزب راغب النشاشيبي في المؤتمر، وأخيراً تم الاتفاق على أن يكون الوفد من مختلف الاتجاهات الممثلة في اللجنة العربية العليا – لأنها تعتبر تحالفاً بين جميع أحزاب فلسطين التي شكلت، في أوائل الثلاثينات، وتم تكليف أحمد حلمي في وقت مبكر من ذي القعدة 1357هـ (يناير 1939 م)، بالاتصال براغب النشاشيبي لتقديم الدعوة له ولكن امتنع راغب عن الرد عليهم. وعند اختتام الاجتماع في 17 يناير، أصدرت اللجنة العربية العليا قراراتها التي تم الاتفاق عليها. وبدأت بيانها بتوجيه الشكر للحكومات العربية وتقديرها للشعب الفلسطيني، لصبرهم، ولثقتهم في اللجنة العربية، ووافقت على قبول الدعوة بحضور المؤتمر، ولكن تعلن تمسكها بميثاقها الوطني كحد أدنى لمطالبها، وتم اختيار الوفد الفلسطيني للمشاركة في مؤتمر لندن من الشخصيات التالية أسماؤهم: الحاج أمين الحسيني، وأحمد حلمي باشا، وجمال الحسيني، وعوني عبد الهادي، وحسين الخالدي، وعزة دروزة، وألفريد روك، وعبد اللطيف صلاح، ويعقوب الغصين، وفؤاد سابا، وموسى العلمي، وجورج أنطونيوس(32).

ولكن بريطانيا كانت لا تزال متشددة إزاء عضوية المفتي، وحلت هذه العقدة بشكل يحفظ لبريطانيا وللمفتي ماء الوجه عن طريق رئيس وزراء مصر محمد محمود، الذي طلب من حكومة بريطانيا أن تلغي هذا الفيتو وتوجه الدعوة إلى المفتي، وهو كفيل بإقناعه بالاعتذار، وهذا ما حصل بالفعل، وكان المفتي على وعي بأهمية الظهور كهيئة تمثيلية لا تقوم على أسس حزبية، فحرص على تشكيل وفد من أصحاب الخلفيات السياسية المختلفة وهو يؤمن في قرارة نفسه بأنهم سوف يتبعون سياسة متشددة(33). وقدمت اللجنة العربية اقتراحا إلى الدول العربية بأن تكون الجولة الأولى للمباحثات بين بريطانيا والعرب في القاهرة، ثم يتم الانتقال إلى لندن، إذا توصلوا إلى اتفاق تجري على أسسه المفاوضات، وبمعنى آخر إذا ظهر أمل في حل المشكل ولكن بريطانيا امتنعت عن إعطاء وعد

مسبق، وعقد اجتماع بالقاهرة في 27 ذي القعدة (17 يناير) للوفود العربية، بغرض وضع خطة تسير عليها الوفود العربية المشاركة في المؤتمر واتفق الجميع أن يكون وفد فلسطين هو الوفد المفاوض أما بقية الوفود فتشد من أزره وتدافع عن وجهة نظره(34). وفي هذه الأثناء كان المعارضون لا يزالون يمارسون نشاطهم، فأصدر راغب النشاشيبي بياناً في يناير، طالب فيه بحق حزبه بتمثيل مساو للمفتي عند تشكيل الوفد، وعقدت هيئة الحزب في القاهرة اجتماعاً برئاسة راغب، وحضور سليمان طوقان، وعاصم السعيد، وعبد الرحمن التاجي، وأحمد الشكعة، كما أرسل فخري النشاشيبي رسالة إلى محمد محمود باشا في 30 ذي القعدة (20يناير)، بعد أن رتب لعقد اجتماع للوجهاء في بيته، وجاء في رسالته انتقاد صارخ للوفد باتهامه بأنه تمثيل حزبي محض مما أدى إلى تصعيد الأمور، وتدخلت الحكومة البريطانية لتقترح على مؤتمر القاهرة ضرورة تمثيل حزب الدفاع في الوفد، مما أدى إلى انقسام في الرأي حتى وصلت الأمور إلى درجة هدد الوفد الفلسطيني بالانسحاب، ولكن تم تدارك الأمر وشكل وفد عربي للسفر إلى المفتي وإجراء محادثات معه بغرض تجاوز هذه العقبة، وبعد نقاش مستمر وافق المفتي على مشاركة يعقوب فراج ونمر النابلسي(35)... فقبل الأول واعتذر الثاني، لأنه لا يريد أن يكون ممثلاً لحزب الدفاع ولن يسافر إلا إذا دعي من قبل اللجنة العربية، مما حدا بفخري أن يصرح بأن حزب الدفاع لا يعتبر فراج والنابلسي ممثلين للحزب وأسماؤهم تم فرضها(36).

هكذا لم يتم التوصل إلى اتفاق بين اللجنة العربية وحزب الدفاع بشأن الوفد، ولذلك سافر كل منهم إلى لندن، بمعنى أن فلسطين ستمثل بوفدين، وهذا أمر يثير الفزع ويجعله خطيراً، فيظهر التصدع أمام العالم في موقف فلسطين، فبعث جمال الحسيني إلى المفتي يخبره بالأمر، وتحول عبء التوفيق بين الوفدين، الوفد الفلسطيني الرسمي، والوفد الذي يرأسه النشاشيبي، من الحكومات العربية إلى وزارة المستعمرات، ونجح ماكدونالد (Macdonald) في تأمين حل وسط يرضي الجميع، وتم اختيار عضوين من حزب الدفاع وهما راغب النشاشيبي ويعقوب فراج، وواضح أن بريطانيا هي التي شجعت النشاشيبي لاتخاذ هذا الموقف وبالتالي هي التي نجحت في إنهائه(37).

وهذه العقبات والتعقيدات التي حدثت، وكادت أن تقضي على المؤتمر، يرجع سببها للسياسة البريطانية التي كانت حريصة أن تجمع كل الخيوط بيدها، فهي التي طرحت فكرة المؤتمر، وبالتالي رغبت في تشكيل الوفد الفلسطيني لأنها تريد أن تضمن موافقته على سياستها تجاه فلسطين، وما نشاط المعارضة المتجدد إلا بتشجيع خفي من بريطانيا لتنجح في الحصول على مشاركة في الوفد بأكبر نسبة، ولكن تصلب زعماء فلسطين في موقفهم واعتمادهم على موقف قوة، تمثل في ثورتهم المستمرة، جعل بريطانيا تتخلى شيئاً فشيئاً عن شروطها المتشددة.

مباحثات المؤتمر:

افتتحت أولى جلسات المؤتمر بقصر سان جيمس في لندن، يوم الثلاثاء 1357/12/18 هـ – 7 فبراير، بحضور الوفد الفلسطيني، ووفود الدول العربية وهي مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وشرق الأردن واليمن(38).

وترأس الجلسة رئيس الوزراء البريطاني تشمبرلين Chamberlain ولم ينضم الوفد اليهودي إليهم، بل عقد مع الوفد البريطاني جلسة أخرى على حده(39). فكان المؤتمر عبارة عن مؤتمرين، عربي إنكليزي، وإنكليزي يهودي، واستغرقت هذه المداولات فترة من الزمن وبلغ عدد جلسات المؤتمر أربع عشرة جلسة، وقد ساد هذه الجلسات روح الهدوء والمجاملة والاتزان، وقد استهلت بخطابات الترحيب من الجانب البريطاني والشكر والامتنان من قبل الوفود العربية، وألقى بيان الوفد الفلسطيني جمال الحسيني في الجلسة الثانية، موجزاً تطورات قضية بلاده، مؤكداً مطالب أهلها موجهاً النقد للسياسة البريطانية(40). وكان رد ماكدونالد (Macdonald) في الجلسة التالية عرض المشاريع البريطانية التي سبق تقديمها كحل، وأكد أن حكومته تسعى لعدم سيطرة فريق على الآخر. ثم تحول المؤتمر لمناقشة رسائل حسين – مكماهون (Mcmahon)، لأن العرب يرغبون تفنيد دعوى بريطانيا من أن فلسطين لا تدخل ضمن هذه المكاتبات. وحملت الوزارات البريطانية مسؤولية تحرج الوضع الحالي، فالواجب يقضي تهذيب الوعود وإزالة التضارب بينها بسبب الوعود الممنوحة من قبل بريطانيا للعرب واليهود، لذلك شكلت لجنة خاصة للبت بشكل نهائي في قانونية هذه الرسائل، فالبرلمان البريطاني كلما طلب إبراز هذه الرسائل يكون الجواب إن ذلك ليس في مصلحة بريطانيا. وبدأت اللجنة بمباشرة عملها، وخلصت اللجنة إلى أن التركيب الصحيح للمكاتبات، يستبعد فلسطين، وللالتقاء مع وجهة النظر العربية، فقد تم وصف اللغة التي تم التعبير بها، بأنها لم تكن محددة وصحيحة ولم تتبن الحكومة التفسير العربي للتعهدات، إلا أن الاتجاهات الفكرية والضمنية التي بدت في تعليقات رئيس القضاة الذي صاغ وجهة نظر بريطانيا تؤكد الرأي العربي حين قال: (ما من محكمة تستطيع ألا تؤيد النظرية العربية إذا عرضت وثائق مكماهون Macmahon عليها)(41)، وشعر اليهود بعد حديث القاضي السابق أن ذلك يتعارض مع موقفه وساد شعور لدى الرأي العام العربي أن الوفود العربية ارتكبت خطأ تكتيكياً بإصرارهم على نشر الرسائل، في الوقت الذي كان يجب عليهم فيه توجيه طاقتهم إلى مواضيع أكثر أهمية(42). وفي الجلسة الحادية عشر في 25 فبراير (1358/1/6هـ)، عرض ماكدونالد (Macdonald) مقترحات قدمها باسمه لا باسم حكومته(43). وتقوم أهم البنود على ما يلي:

1- إنهاء الانتداب، وقيام دولة مستقلة بشرط عقد معاهدة مع بريطانيا.

2- التدابير الدستورية وشروط المعاهدة تتطلب هيئة خاصة ومدة من الزمن، لذلك يقترح عقد من الزمن لوضع الدستور وتحديد بنود المعاهدة.

3- يتم تحديد الهجرة اليهودية في الخمس سنوات الأولى بحيث تصل أعدادهم إلى نسبة معينة ثم تقيد.

4- يتم تقييد انتقال ملكية الأراضي إلى أيدي اليهود وتخول السلطة إلى المندوب السامي(44).

وهذه المقترحات رغم أنها لا تحمل الحل للمشكلة، إلا أنها تحتوي على شيء جديد، فبريطانيا أخيراً قبلت وجهة نظر العرب بالنسبة لإنهاء الانتداب وقيام دولة مستقلة وأدركت أن بقاء الانتداب لا يتفق مع حقوق العرب واستبداله بالاستقلال لواجب العدل والإنصاف، ولحفظ مصالح الإمبراطورية البريطانية، علاوة على أنها تحمل تغيرات رئيسية لسياسة الوطن القومي(45). ورحب العرب بالمقترحات السابقة مع بعض التحفظات فاعترض جمال

الحسيني في خطابه المعد للرد على المقترحات والذي ألقاه في أول مارس (1358/1/10هـ)، معترضاً على فكرة عقد مؤتمر آخر لأن هذا من شأنه أن يفقد عرب فلسطين الثقة ببريطانيا فهم يأملون حلاً سريعاً وليس حلاً مرجئاً، كما أن وضع الدستور من قبل هيئة مختلطة أمر لا يمكن قبوله. ووجه النقد للفقرات الخاصة بالهجرة وبيع الأراضي ووصفها بأنها غير مقبولة لا من حيث المبدأ ولا من الوجهة العملية، واقترح بديلاً لذلك بأن تقام حكومة مؤقتة تحت رئاسة الحكومة الحالية وتقوم بانتخاب جمعية وطنية لوضع الدستور، ولكن ماكدونالد (MacDonald)، اقترح إنشاء لجنة شاملة من كل الوفود للنظر في اقتراحات عملية في محاولة للمحافظة على الاقتراحات وعدم إنهائها(46).

وساد اتجاه أن المؤتمر يسير لصالح العرب، وحدثت مظاهرات تلقائية في 26 فبراير (1358/1/7هـ)، في مختلف المدن الفلسطينية، وانتشر خبر بأن بريطانيا ستمنح فلسطين الاستقلال، وستعقد اتفاقية على غرار الاتفاقية البريطانية العراقية وهتف المتظاهرون بحياة تشمبرلين Chamberlain والمفتي، ولكن الدوائر البريطانية حين علمت أن المفتي يرفض الحل سعت لدى الحكومة المصرية لبذل الجهد لتقريب وجهات النظر(47). ولم تكتف الحكومة البريطانية بالمقترحات السابقة، بل عززتها بمقترحات أكثر تفصيلاً من سابقتها عرضها ماكدونالد (Macdonald) في 15 مارس (1358/1/24هـ)، ووصفها بأنها نهائية ولكنه أضاف أن الصيغة قابلة للتعديل(48):

1- الاستقلال وقيام دولة مستقلة ذات صبغة اتحادية لا عربية ولا يهودية وإنما يشترك فيها الطرفان.

2- وضع الدستور يتم بواسطة جمعية وطنية يتكون أعضاؤها بالانتخاب والتعيين وتشمل أعضاء بريطانيين وتضمن فيها سلامة الأماكن المقدسة وحماية الطوائف الأخرى.

3- يسبق الاستقلال فترة انتقالية تكون السلطة فيها بيد بريطانيا ويمنح الأهالي نصيباً متزايداً من الحكم في السلطة التشريعية حسب نسبة العرب واليهود. ويحول المجلس الاستشاري إلى تشريعي، وللمندوب السامي سلطات معينة، وتوكل إدارة مصالح معينة لفلسطينيين من المجلس التنفيذي. وتوسع اختصاصات المجلس التشريعي وتجري انتخابات له، وكل هذه التطورات تتم في المرحلة الانتقالية.

4- استمرار الهجرة اليهودية، بحيث تصبح نسبة اليهود ثلث سكان البلاد كلها، خلال خمس سنوات ويكون الأمر بيد المندوب السامي، وبعد انتهاء الفترة لا يسمح بأية هجرة إلا بموافقة العرب واليهود.

5- تنفيذ بيع الأراضي بناء على تقارير لجنتي بيل (Peel) وودهيد (Woodhead) وتكون السلطة بيد المندوب السامي(49).

وفي الحقيقة تعتبر هذه المقترحات أكثر تفصيلاً مما سبقها، وهي عبارة عن هيكل الكتاب الأبيض الذي صدر بعد المؤتمر. وبالرغم من تفصيلات هذه المقترحات، إلا أنها لا تحقق طموحات وأماني عرب فلسطين، في حل قضيتهم، ومع ذلك قبلت الوفود العربية المقترحات، وحاولوا أن يقنعوا عرب فلسطين بالموافقة عليها، فقبل بها

مندوبو حزب الدفاع، ولكن بقية الوفد الفلسطيني أصر على قيام دولة مستقلة على غرار العراق في مدة أقصاها ثلاث سنوات.

أما اليهود فقد اعترضوا على المقترحات لأنها تتجاوز وعد بلفور، والانتداب، وتتجاهل مبدأ الهجرة وفقاً للقدرة الاقتصادية، بالإضافة إلى أنه لم يتم الإشارة إلى الوكالة اليهودية ولم تقدم ضمانات عدم تحويل اليهود إلى أقلية دائمة.

وتم تعديل مقترحات المجلس التنفيذي في مسألة تمثيل العرب. فبدل من أن تكون النسبة ثلاثة إلى اثنين صارت إلى واحد لصالح العرب. وكانت هذه آخر محاولة لدفع المطالب العربية بالاستقلال، فانسحب اليهود من المؤتمر في 16 مارس (1358/1/25هـ)، بعد أن علموا من أجهزة مخابراتهم بتغيير النسبة لصالح العرب في المجلس التنفيذي، وأن هذا يعني خضوع ماكدونالد (Macdonald) للعرب وفسر الصهاينة الموقف بأنه تم بيع قضيتهم(50).

ثم تحدث ماكدونالد (Macdonald) دون تبني أي قرار ولكنه أشار إلى أن هذا لا يعني الفشل، فالحكومة قد استطاعت أن تتعرف في المؤتمر على وجهة النظر العربية قائلاً: «ما تم من اتصالات بها الخير الكثير»(51)، ثم نشرت الوفود العربية بيان بلسان جورج أنطونيوس علّلت فيه رفضها المتعنت لأية حلول تعرض عليها(52). وغادرت الوفود العربية لندن واتجه بعضها إلى القاهرة.

وشعرت بريطانيا باكفهرار الجو الدولي، وبروز شبح الحرب فأدركت أن الحالة تستدعي السرعة في إنجاز المشكلة الفلسطينية، لذا أجرى ماكدونالد (Macdonald) بعض التعديل على المقترحات البريطانية، وخاصة بالنسبة للفترة الانتقالية فقد حددت بعشر سنوات وحددت الهجرة أيضاً بالخمس سنوات الأولى، لأن هاتين النقطتين كانتا أهم نقاط الاختلاف لذلك أمل ماكدونالد (Macdonald)، بأن يوافق العرب عليها، وقد حملها إلى القاهرة السفير المصري في لندن حسن نشأت، وتم عقد مؤتمر عربي في القاهرة لمناقشة هذه التعديلات. ولم يشترك أحد من الفلسطينيين فيه ولكن محمد محمود رئيس الوزراء المصري استشار الفلسطينيين الموجودين بمصر حينذاك(53). وبعد المباحثات تم تقديم مذكرة لبريطانيا طالبوا فيها بقيود أكثر صرامة بالنسبة لانتقال الأراضي، بالإضافة إلى أنهم اقترحوا أنه إذ نشب خلاف بين الفلسطينيين وبريطانيا يتم عرض الأمر على الدول العربية، إلى جانب عصبة الأمم وليس كما ينص الدستور بأن يعرض الخلاف فقط على العصبة. ولكن بريطانيا لم توافق على الاقتراحات، فانهارت المفاوضات العربية ـ البريطانية مرة أخرى. وهكذا فشلت المحاولة الأخيرة في التوصل إلى الحل المنشود(54).

أسباب فشل المؤتمر:

لم يكن هذا الإخفاق في المؤتمر أمراً مستغرباً، إذ كان يحمل عوامل فشله منذ ولادته، فالاختلاف الشاسع بين الإستراتيجية الصهيونية والعربية واضح، ففي مسألة الانتداب مثلاً يسعى عرب فلسطين إلى الاستقلال في حين

يرغب اليهود استمراره، لأنه السبيل الأفضل لبناء دولتهم وهذا التناقض كفيل بإفشال أية محادثات تنشأ للتنسيق بينهما، لأنه لا يمكن أن توجد أية نقاط اتفاق بين هدفين متناقضين أساساً.

وإضافة إلى أن السياسة البريطانية مضطربة، والوزارة يسودها الاختلاف، فبينما كان تشمبرلين (Chamberlain)، وهاليفاكس (Halifax) وزير الخارجية، يدركان ضرورة التوصل إلى حل، كان غيرهما من الوزراء لا يشاطرونهما الرأي إلى حد بعيد، فالسياسة البريطانية تعتمد على المراوغة والغموض والتلاعب في الألفاظ فتضيف مشكلات عديدة إلى المشكلات القديمة، ويزداد الأمر تعقيداً. ففقدان السياسة البريطانية الرغبة الصادقة في إيجاد الحل جعل فشل المؤتمر نتيجة منطقية متوقعة(55).

ويعتقد البعض أن عدم الاتفاق في توحيد تمثيل الفلسطينيين في وفد واحد إلا بعد افتتاح المؤتمر بأيام، مما أظهر للعالم ولليهود بشكل خاص، أن الشعب الفلسطيني لا يزال منقسماً، وذلك ينعكس على مطالب وأماني عرب فلسطين.

بالإضافة إلى شعور الوفد الفلسطيني وبقية الوفود العربية، بأن المقترحات التي قدمت لهم مجرد مناورات بريطانية، فمثلاً الفترة الانتقالية لم يتم تحديدها، بل ظلت مرهونة بعوامل أخرى يصعب تحقيقها فسقطت الاقتراحات ولفظ المؤتمر أنفاسه الأخيرة.

ويعتبر الضغط الذي مارسته الولايات المتحدة على بريطانيا - وتمثل في الرسالة السرية التي بعثها روزفلت (Roosevelt)، وأعرب فيها عن قلقه بأن السياسة البريطانية ستكون ضد الأماني اليهودية - أحد الأسباب التي أدت إلى هدم كيان المؤتمر(56).

ويرى كريستوفر سايكس (Sykes)، أن معرفة العرب واليهود بما يدور في أية مباحثات بين كل طرف والحكومة البريطانية بواسطة العملاء، تسبب في وقوع سوء تفاهم(57).

أما أميل توما فيحمل العرب واليهود مسئولية الفشل، فالعرب يأخذ عليهم رفضهم التفاوض مع اليهود، ويأخذ على اليهود رفضهم للمقترحات وسعيهم لإحباطها(58). وهناك عامل أساسي أدى إلى فشل المؤتمر تمثل في سعي اليهود منذ البداية لإفشاله، فلديهم دائماً البدائل السياسية والاقتراحات المضادة لقتل المطالب العربية، إضافة إلى تهديدهم المستمر بالانسحاب من المؤتمر إذا ما التزمت بريطانيا بالمقترحات نهائياً، وأخيراً كان لاشتداد الأزمة الدولية أثر في خطف الأضواء من القضية الفلسطينية وانخفاض أسهمها في أولويات بريطانيا(59).

صدور الكتاب الأبيض:

بعد فشل مؤتمر لندن في الوصول إلى تسوية لمشكلة فلسطين، وانهيار المداولات التي دارت بعد انتهاء المؤتمر، أصدرت بريطانيا في 17 مايو 1939 م (1358/3/28هـ)، بياناً حكومياً خاصاً بالسياسة التي ستنفذها في فلسطين، وهو ما عرف بالكتاب الأبيض(60).

واستهلت الحكومة البريطانية الكتاب، بذكر الدافع من وراء إصداره، بأنها سبق ووعدت في بيان دعوتها للمؤتمر أنه إذا فشل المؤتمر في التوصل إلى حل فالحكومة البريطانية حينئذ ستضطر إلى وضع الحل وستفرضه في فلسطين.

ثم يتدرج الكتاب لشرح أهم الأسس التي يقوم عليها، والتي هي في حقيقتها المقترحات التي سبق وعرضت على الوفود خلال المؤتمر(61). ثم يأخذ البيان بانتقاد ما وصف بقاعدة السياسية البريطانية في فلسطين، ويقصد صك الانتداب، والذي كان يفرض على بريطانيا إيجاد سياسات تتماشى معه، ولكن السياسية البريطانية الآن تعترف أن صك الانتداب حوى بعض العبارات الغامضة، فترتب عليها بالتالي غموض الأهداف ونتج عنه شحناء وبغضاء، بين العرب واليهود، ولهذا فإن واجب الحكومة البريطانية يجعلها ملزمة بأن تتبنى سياسية جديدة، تفي بالتزاماتها نحو العرب واليهود، وقد تناولت مقترحات الكتاب ثلاثة بنود: **الدستور، الهجرة، الأراضي**.

الدستور:

أكد الكتاب الأبيض بخصوص هذا البند، ضرورة تنفيذ هدف الانتداب، المتمثل في ترقية مؤسسات الحكم الذاتي، وإنهاء الانتداب مع ربط ذلك بمساهمة العرب واليهود.

ولكن قبل الوصول إليه، لا بد من فترة انتقال وفقاً لقاعدة النشوء والارتقاء في مؤسسات الحكم الذاتي بالتدرج، ولنمو روح التفاهم والتعاون بين العرب واليهود، ولتحقيق هذه الغاية أعدت الترتيبات التالية:

1 – حددت فترة الانتقال بعشر سنوات، وبعدها تحصل فلسطين على الاستقلال وإذا تطلبت الظروف إرجاء ذلك تتشاور مع الدول العربية وعصبة الأمم.

2 – تشكل حكومة خلال المدة السابقة، وبعد انتهاء المدة، تعقد مع بريطانيا معاهدة لضمان مصالحها الاقتصادية والحربية.

3 – خلال الفترة الانتقالية، تكون المسئولية بيد حكومة الانتداب وتزداد مساهمة العرب واليهود مع زيادة سلطات البلديات والمجالس المحلية.

4 – توزع مناصب رؤساء الدوائر على العرب واليهود، حسب نسبتهم ويساعدهما مستشارون بريطانيون، بالإضافة إلى عضوية رؤساء الدوائر، في مجلس تنفيذي يمد المندوب السامي بالمشورة، ويزداد عدد هؤلاء الفلسطينيين بالتدرج حتى تصبح كل الدوائر بيدهم.

5– لا يقدم الكتاب اقتراحات بخصوص هيئة تشريعية، ولكن لن يعارض إذا رأى الفلسطينيون ذلك بل تساعدهم بالمشورة.

6 – وبعد انقضاء خمس سنوات، تشكل هيئة لوضع الدستور، يضمن فيه حماية الأماكن المقدسة، ومصالح مختلف الطوائف وصيانة المصالح الأجنبية، وفقاً للالتزامات المترتبة على حكومة الانتداب نحو العرب واليهود مع مراعاة ما يتعلق بالوضع الخاص للوطن القومي اليهودي في فلسطين(62).

الهجرة:

اعتمدت السياسة البريطانية في هذا البند، على ألا يكون العامل الاقتصادي فقط هو المحور لها، بل تضيف العامل السياسي، وتنفي أي ارتباط بين الوطن القومي اليهودي واستمرار الهجرة، بل تعترف أن استمرارها سبب رئيسي لانتشار الخوف بين العرب، وبالتالي قيام الاضطرابات ومع ذلك فهي لن تمنع الهجرة منعاً باتاً، لأن ذلك على حد تعبيرها يضر بالفلسطينيين اقتصادياً واجتماعياً وبمشروع الوطن القومي ولحل مشكلة اللاجئين اليهود، لذلك تتقدم بالمقترحات التالية:

1 – أن يسمح بالهجرة خلال الخمس سنوات القادمة، حتى يبلغ اليهود ثلث السكان، أي يسمح بدخول 75 ألف مهاجر اعتباراً من أبريل 1939 (صفر 1358هـ).

2 – ينظم دخول العدد السابق بناء على القدرة الاقتصادية، بحيث لا تتجاوز كل عام عشرة آلاف مهاجر، وكل نقص في أية سنة يضاف للسنين التالية.

3 – المندوب السامي، هو الذي يقرر قدرة البلاد الاقتصادية، فإذا اقتنع بأن هناك وسائل كافية لإعالة المهاجرين، سيسمح بدخول 25 ألفاً كمساهمة في حل مشكلة اللاجئين اليهود.

4 – تحرص الحكومة على قمع الهجرة غير الشرعية.

5 – بعد انقضاء الخمس سنوات لا يسمح بأية هجرة إلا إذا سمح عرب فلسطين بذلك(63).

الأراضي:

تنص المادة السادسة من صك الانتداب على تسهيل الحكومة لليهود شراء الأراضي، مع مراعاة عدم الإضرار بالآخرين، وبناء على ذلك لم تفرض أية قيود على انتقال الأراضي، ولكن الآن وبناء على تقارير اللجان التي زارت فلسطين، فإن الضرر يلحق بالفلاحين العرب.

ولا يوجد مجال لمزيد من انتقال الأراضي، لذلك لا بد من وضع قيود تمنع انتقال الأراضي في مناطق تحتفظ للمزارعين العرب بمستوى معيشتهم، والحيلولة دون تكون جماعة من العرب الذين لا أرض لهم، لذلك تقدم بالاقتراحات التالية:

1- يخول المندوب السامي سلطات يستطيع بها أن يمنع وينظم انتقال الأراضي، وهذه السلطة تستمر بيد المندوب طوال فترة الانتقال.

2- زيادة اهتمام الحكومة بالعمران، وتحسين أساليب الزراعة، ويخول المندوب السلطة، فإذا رأى أن لا حرج في انتقال الأراضي لليهود يسمح بذلك بشرط ضمان وضع السكان العرب(64).

ثم عرض هذا الكتاب بعد إصداره، على عدة جهات رسمية، فعرض على مجلس العموم البريطاني في 22 مايو (1358/4/3هـ) وبالرغم من معارضة تشرشل (Churchill)، وحزب العمال، فإن مجلس العموم وافق على الكتاب بأكثرية 268 صوتاً ضد 179 صوتاً وامتناع 109 عن التصويت، كما نال أيضاً الكتاب الموافقة من مجلس اللوردات في 23 مايو (1358/4/4هـ) بدون أن يحدث انقسامات(65).

وحرصت الحكومة على نيل موافقة عصبة الأمم أيضاً على سياستها الجديدة، فتم عرضه على لجنة الانتداب التي

أعـدت تقريرهـا عنــه، وقــررت بأكثريــة أربعــة أصــوات ضــد ثلاثــة أن الكتــاب منــاف لــصك الانتــداب(66).

مغزى الكتاب الأبيض:

من المعتاد أن تكون لأية سياسة تنتهجها بريطانيا، أهداف معلنة وأخرى غامضة لا تظهر بوضوح، والكتاب الأبيض كسياسة بريطانية لا يخرج عن هذا النطاق، لذلك فالبحث عن دوافع الكتاب الأبيض شيء أساسي في أي بحث يقدم عنه، وسنحاول قدر الإمكان إبرازها.

فالكتاب الأبيض صدر بشعور من بريطانيا بأن التزاماتها تجاه اليهود قد أديت بشكل جيد، وأما عرب فلسطين فبريطانيا لم تحاول من قبل تحمل مسئوليتها تجاههم طبقاً لصك الانتداب، لذلك فهي تتبنى هذه السياسة الجديدة للوفاء بالتزاماتها تجاه العرب، أما وزارة المستعمرات فقد رأت في الكتاب إمكانية تلبية أكبر قدر ممكن من مطالب العرب مما قد يوصلها لتسوية مع اللجنة العربية العليا، فالبعض يرى أن بريطانيا بهذا الكتاب قد اقتنعت أخيراً وبعد سياســة اســتمرت أكثــر مــن عــشرين ســنة أن قيــام دولــة صــهيونية أمــر غيــر ذي جــدوى(67). كما أن بريطانيا هدفت من ورائه إلى تضميد الجروح العربية بتحقيق المطالب القومية، خاصة وأن النزعة القومية بلغت ذروتها في أواخر الثلاثينات، فاعتبر الكتاب الأبيض شاملاً لتنازلات لإرضاء وجهة النظر القومية، ولذا فالكتاب الأبيض في حقيقته خلاصة للسياسة البريطانية المحابية للعرب، التي بدأت من مؤتمر لندن، من أجل ضـمان وقـوف العـرب إلـى جانـب بريطانيـا خاصـة وأن الحـرب العالميـة الثانيـة كانـت علـى الأبـواب(68). ويعتقد أيضاً، أن أحد دوافع الكتاب الأبيض شق صفوف العرب. وبالفعل فقد نجح الكتاب في زحزحة بعض الأطراف الفلسطينية الرافضة للوجود الصهيوني، إلى الاستعداد للقبول به، وكان هذا أحد أهداف الصهيونية التي سعت إليه وحققته تحت غطاء بريطاني، والمقصود أن الكتاب الأبيض بعباراته الغامضة خدع بعض العرب فشعروا بأنه حقق لهم آمالهم، لذلك مالوا للقبول به، في حين أن من سبر أغواره، أدرك أنه لا يحمل أي جديد عن المقترحات التي عرضت في المؤتمر وسبق أن رفضها العرب(69).

وإن مسألة الاعتماد على الحجة التي قدمتها الحكومة البريطانية كهدف للكتاب الأبيض وتقصد عبارتها «التزاماتها تجاه العرب واليهود» أمر لا يمكن أن نسلم به كهدف حقيقي لهذه السياسة الجديدة، فهذه العبارة تقليدية في السياسة البريطانية وقد فقدت كثيراً من نضارتها بعد كثرة استخدامها، فبريطانيا منذ بداية الانتداب وهي تكرر أن أساس سياستها التزاماتها المزدوجة تجاه العرب واليهود. وفي الواقع أن المصلحة البريطانية هي المحرك والدافع للسياسة البريطانية، والتي تطلبت في ذلك الوقت إجراءات خاصة، وكان الكتاب الأبيض أحدها فكان اقتراب شبح الحرب له أثر كبير في إسراع بريطانيا إلى إصدار الكتاب الأبيض لتضع كلا الفريقين أمام الأمر الواقع. وهكذا صدر الكتاب الأبيض قبل أربعة اشهر فقط من اندلاع الحرب، مما يؤكد أنه اتخذ كأجراء يضمن تجميد الأوضاع على ما هي عليه حتى تتفرغ بريطانيا لمشاكلها الأخرى(70). فالكتاب الأبيض في حقيقته كان مسايرة للظروف الدولية أكثر منه تسليماً للحق(71).

تقييم وتحليل للكتاب الأبيض:

إن التمعن والتدقيق في بنود الكتاب الأبيض يجعلنا ندرك أن هذه البنود لم تكن جديدة في صورتها، فهي متشابهة إلى حد كبير مع المقترحات التي تم عرضها إبان المؤتمر.

والاختلافات بينهما لا تظهر بصورة كبيرة، ولكن سنحاول أن نتلمس بعضها فالبند الخاص بالاستقلال كانت صورته في المقترحات تنص على أن يتم بعد الفترة الانتقالية، وإذا كان لا بد من التأجيل فيجب استشارة عصبة الأمم، ولكن في الكتاب الأبيض تم إضافة عبارة «استشارة الدول العربية مع عصبة الأمم»(72). وبالنسبة لمسألة المجلس الاستشاري، فسوف يحل محله مجلس تشريعي منتخب بعد سبع سنوات، هذا ما ورد في مقترحات المؤتمر. أما ما ورد في الكتاب الأبيض فقد تركت حرية الاختيار لانتخاب مجلس تشريعي، كما نص مقترحات المؤتمر أيضاً على وجود مجلسين استشاري وتنفيذي مع محاولة قلب الاستشاري بعد مدة إلى تشريعي، ولكن بند الكتاب أوجد مجلساً تنفيذياً من رؤساء الدوائر يمد المندوب السامي بالمشورة، ويحول بعد ذلك إلى مجلس وزراء. ولم ينص على وجود مجلس استشاري بل اهتم الكتاب الأبيض بزيادة أعداد الفلسطينيين في الدوائر ليحلوا محل الموظفين البريطانيين، ولكن نجد أن المقترحات والكتاب نص كلاهما على وضع دستور، مع اختلاف في موعد تنفيذه، فالكتاب حدد الموعد الذي سيوضع فيه الدستور بعد مضي خمس سنوات، في حين أن المقترحات لم تحدد مدة معينة بل تركت الأمر مبهماً(73).

وظهور هذه الاختلافات لا يعني أن الكتاب سياسة مختلفة عن المقترحات، ولكن في الحقيقة إن المقترحات كانت مسودة للكتاب الأبيض، لذا جاء الكتاب مع بعض التعديلات الطفيفة على المسودة التي طرحت على بساط البحث خلال المؤتمر. فكانت هذه التعديلات بناء على ما ارتأته الحكومة البريطانية تحقيقاً لمصالحها متمشياً مع الأوضاع الراهنة.

أما أهم النقاط الإيجابية بالنسبة للعرب التي جاءت في الكتاب الأبيض، فأولها مسالة الاعتراف المبدئي باستقلال العرب الذي يعتبر نجاحاً كبيراً، فمسألة قبول بريطانيا بعد الرفض لمدة طويلة، بإقامة دولة فلسطينية يعتبر تطوراً خطيراً لم يخطر بالبال قبل سنوات، بالإضافة إلى أنها عدلت نهائياً عن التقسيم(74).

أما بالنسبة للهجرة، فكانت النقطة الإيجابية فيها عدم الاكتفاء بربط معيارها بالقدرة الاقتصادية على الاستيعاب، بل أضيف العامل السياسي، لأن الهجرة هي التي أثارت مخاوف العرب وأدت إلى الاضطرابات، كما أعار الكتاب الأبيض وزناً لتقارير الخبراء في موضوع الأراضي، لذا خول المندوب السامي حق منع انتقالها، وهذا يعتبر نصراً للثورة وثمرة للجهاد والتضحيات التي قدمها عرب فلسطين(75).

كما تم البت بشكل نهائي في مسألة الوطن القومي اليهودي في الكتاب الأبيض (76)، فهذه أول وثيقة سياسية بريطانية تحمل شيئاً إيجابياً لعرب فلسطين، وتشير إلى رغبة بريطانيا في استرضاء العرب وجرهم إلى صفها.

وبالرغم من ذلك لا نستطيع أن نعول كثيراً على هذه المميزات في تقييمنا للكتاب فهو يحوي كثيراً من المزالق والمخاطر التي تفوق مميزاته القليلة.

فبند الاستقلال الذي اعتبر قمة الانتصار بالنسبة للعرب، نجده قد علق تنفيذه باشتراك اليهود في الدولة، وهذا يكفي لجعل اليهود ينسفون الاستقلال بامتناعهم عن المشاركة في الدولة، كما أن الفترة الانتقالية ليست نهائية والقرار الأخير ظل بيد بريطانيا، وهي بذلك تستطيع أن تزعم أن الظروف غير مواتية لتحقيقه. وهي على ثقة أن الظروف الدولية التي أجبرتها على إصداره ستتغير وبالتالي يتغير معها رأيها. علاوة على طول الفترة الانتقالية، والتي ستكون خلالها المسئولية بيد بريطانيا فلا وجود لحكومة وطنية نيابية، ولا دستور يستند إليه، وحتى الدستور يتم وضعه بمشاركة بريطانيا، وهذا يخالف التقاليد المتبعة في العالم، بالإضافة إلى ربط وضع الهيئة التشريعية بسماح الأحوال المحلية وتقدير الرأي العام. وهكذا يتضح أن بريطانيا كانت تدرك أن اليهود لن يقبلوا بتشكيل مجلس تشريعي وسيعارضونه بدعوى أن الظروف لا تسمح بتشكيل مجلس(77). أما بالنسبة لقضية الهجرة نرى أن بريطانيا تغالط نفسها، ففي الوقت الذي تعترف فيه بأن أعداد اليهود وصلت إلى 450 ألفاً أي حوالي ثلث سكان فلسطين، نراها تطالب بإدخال خمس وسبعين ألفاً حتى تصل نسبة السكان اليهود في فلسطين إلى الثلث.

وأما ما جاء بشأن الأراضي، فالكتاب الأبيض ينص على تقييد بيع الأراضي، ثم يسارع إلى طمأنة اليهود بأن هذه التدابير مؤقتة وبأن للمندوب السامي حق إعادة النظر فيها أو تعديلها، والكتاب في حقيقته سلسلة معقدة كل التعقيد، وملتحمة الحلقات ليس لها أول، وليس لها آخر(78).

وهكذا يتضح لنا أن الكتاب الأبيض لا يمكن الركون إليه، واعتباره حلاً شاملاً وعادلاً للقضية الفلسطينية، وفي نفس الوقت لا يمكن اعتماده كسياسة بريطانية تقليدية متحيزة للجانب اليهودي، بل إن الكتاب جاء وليداً لظروفه، وليحقق أغراضاً مؤقتة، لذلك جاء مسخاً مشوهاً غريباً يصعب تحديد جنسه أو هويته.

رد الفعل العربي إثر صدور الكتاب الأبيض:

أظهرت الدوائر العربية بطأً شديداً في التعبير المحلي على الكتاب، وتولد اعتقاد بأنه لا يحتوي على شيء يذكر وأعطى الآخرين عذراً لاتخاذ موقف سلبي، وانتظار ما تسفر عنه الأحداث، وكان قد تبع صدور الكتاب الأبيض، بيان بريطاني آخر يقضي بمنع المفتي من دخول فلسطين. فزاد ذلك من صعوبة الأمر وأثر بالتالي على رد الفعل العربي، الذي تراوح بين السخط والرضا وسارعت اللجنة العربية العليا بإصدار بيان مستعجل في 18 مايو 1939م (1358/3/29هـ)، لإيضاح رأيها في الكتاب(79)، فوصفته بأنه لا يحقق آمال العرب. ثم أخذت اللجنة في الإعداد لبيان مفصل. وعقد لأجل هذا الغرض اجتماع في لبنان عند المفتي وحضره كل أعضاء الوفد الفلسطيني الذين شاركوا في المؤتمر ما عدا أعضاء حزب الدفاع. وتم فحص الكتاب، ففريق رأى أن يقبلوا به ويعملوا على تحقيق نصه إلى أن تصير مقاليد الأمور بأيديهم. وفريق آخر رفض الكتاب بحجة أنه لا يحقق المطالب الوطنية،

وعلى رأسهم المفتي وعلل هذا الفريق معارضتهم للكتاب بأنه قد دارت أحاديث في الأوساط الرسمية تفيد بأن الحكومة البريطانية مستعدة أن تتعاون في تنفيذ الكتاب مع جمال الحسيني، لا مع المفتي، الذي يعتبر مسؤولاً على حد تعبيرهم عن الإرهاب(80). ويتفق الشقيري مع هذا الرأي ويحمل المفتي مسئولية رفضه ويقول: «لهذا فقد ضعف المفتي أمام نوازعه الشخصية فازداد عداء للكتاب وعداء لأنصار الكتاب»(81)، واستمر الجدل في اجتماعات اللجنة أسبوعاً ثالثاً دون نتيجة وأخذ المفتي يكرر أنه يحوي كثيراً من الفجوات والغموض الأمر الذي يجعله دون فائدة. ثم تم الاتفاق على قرار يقضي بإرسال عزت طنوس، باعتباره رئيساً للمركز العربي في لندن وله معرفة سابقة بمكادونالد (Macdonald)، ليستفسر منه بشأن ما يكتنف الكتاب الأبيض من غموض وفجوات، ولهذا تأخر صدور بيان اللجنة المنتظر، ويذكر طنوس أن كثيراً ممن وصفوا بأصدقاء العرب من الإنجليز استغربوا من رغبة المفتي برفض الكتاب لأنهم يعتقدون أن الكتاب الأبيض رغم بعض الهيئات وبالنظر لقوة نفوذ الصهيونية في لندن، وواشنطن، يعتبر إنجازاً لصالح العرب، كما أعرب ماكدونالد (Macdonald) خلال لقائه بطنوس عن رغبته في معرفة رأي العرب بالكتاب فنجاحه الشخصي يتوقف على قبولهم به، ودار بينهم نقاش حول ما لوحظ من فجوات الكتاب.

وكان ماكدونالد (Macdonald) جاهزاً للإجابة عن كل ثغرة، ثم علق بقوله: (لا توجد وثيقة سياسية بدون فجوات)، وشرح الصعوبات التي واجهته لتتم موافقة مجلس العموم عليه وأردف قائلاً: (الحكومة البريطانية غير قادرة على أن تزيل كل الأذى الذي لحق بالعرب من وعد بلفور ولكن ستعمل على إيقاف سياسة الوطن القومي)(82)، ثم ألح على طنوس أن يحاول إقناع اللجنة العربية بقبوله. ورجع طنوس إلى لبنان وقدم تقريراً عن رحلته ولكن الاحتجاجات على الكتاب استمرت ولم تسفر رحلة طنوس عن القبول به(83). فصدر بيان في 30 مايو (1358/4/11هـ)، معلناً رفض اللجنة لهذه السياسة البريطانية شارحاً أسباب الرفض وختمت اللجنة بيانها: (بأن القرار النهائي المكتمل الرجولة حول مصير فلسطين يعتمد على عزيمتهم وليس متوقفاً على كتاب أبيض أو أسود، بل مربوطاً بإرادة عرب فلسطين، ضمن نطاق الوحدة مع الأقطار العربية)(84). وقد وصفت لهجة البيان بأنها عدوانية، ثم أعلنت اللجنة المركزية لقيادة الثورة، عزمها على متابعة الجهاد إلى أن تعدل الحكومة من موقفها وسياستها العربية(85). أما دروزة فكان يساند الجناح الرافض لأنه لا يعتقد أن ما جاء في الكتاب فرصة أضيعت لا من الوجهة العملية ولا من الوجهة النظرية، وأن توجيه اللوم للعرب، يعود إلى الظروف المتأخرة التي غلب فيها العرب على أمرهم، والغوري كان من الرافضين وبشدة للكتاب الأبيض حتى أنه وافق على بيان اللجنة قبل أن يطلع على نص الكتاب لأنه يرتاب بالسياسة البريطانية، ويشم رائحة الغدر في كل ما تقدمه، لأن بريطانيا على حد قوله: (تكتفي بالمسكنات والمخدرات لإلهاء العرب عن قضيتهم الرئيسية)(86). وأما زعيتر ففي اليوم الذي صدر فيه الكتاب ألقى محاضرة في نادي المثنى في بغداد طالب فيها العرب بالوقوف مع فلسطين موقف الأخ وليس موقف الوسيط وذكر الجميع بالكتاب الأبيض لعام 1930 م (1349هـ) وكيف تم التراجع عنه بعد أن رأى فيه العرب شيئاً من الإنصاف. وختم خطابه بإيضاح أسباب التحفظ على الكتاب الأبيض. ولكن تنديد زعيتر بالكتاب

الأبيض، لم يمنعه من الاعتراف بأنه رغم كل سلبياته حوى بعض النقاط الإيجابية ويمكن اعتباره بادرة تغير في السياسة البريطانية، وانتصار الثورة(87). وطالب عوني بريطانيا بعد ذلك أن توفر ذريعة مناسبة للقبول بالكتاب على شكل تصريح من ماكدونالد (Macdonald)، يفسر فيه نقاط محددة، حتى يتسنى للمعتدلين داخل اللجنة وخارجها الوقوف ضد المفتي الذي يمتلك قدرة لا تقاوم، وحتى تتمكن الدول العربية الأخرى من إصدار إعلان لتشجيع الفلسطينيين للعودة لأعمالهم اليومية، فعوني عبد الهادي رغم ميله للموافقة على الكتاب الأبيض إلا انه لا يستطيع أن يخرج عن إجماع اللجنة في رفضها له، لذلك يرى صدور تصريح بريطاني يفسر النقاط الغامضة، وبعدها يمكن أن يقبل به بشكل يحفظ ماء وجهه دون أن تلصق به أية تهم.

وحتى يعقوب الغصين، زعيم مؤتمر الشباب، وعضو اللجنة العربية العليا، في أثناء لقائه في القاهرة بعد أسبوعين من صدور الكتاب طالب بإظهار نوع من التنازل على شكل تفسيرات من جانب بريطانيا، لتزيل أي غموض مع تأكيد الشروط الدستورية، وبالفعل قدم السفير البريطاني بالقاهرة التفسيرات المطلوبة واقترح الغصين بأن يكون عوني عبد الهادي وأحمد حلمي من بين الوسطاء أيضاً لأنهم على استعداد للقبول بالكتاب(88).

أما عبد اللطيف صلاح زعيم حزب الكتلة الوطنية، وعضو اللجنة العربية فكان تحفظه على الكتاب الأبيض، بسبب تفسيره لمراسلات حسين - مكماهون (Mac- Mahon) ويرى أن هذا هو السبب الذي رفض العرب الكتاب من أجله، ويقترح إحالة المراسلات إلى هيئة قانونية لتقديم تفسير قانوني للالتزامات العالمية حينما ينشب خلاف(89).

ولكن هناك فريق قبل بالكتاب الأبيض بكل علاته دون المطالبة بأي تعديل، وترأس هذا الجناح حزب الدفاع. فقد أعلن راغب النشاشيبي في اجتماع له في القدس في 29 مايو (1358/4/10هـ)، عن استعداده للقبول به والتعاون مع الحكومة في تطبيق قراراته لأنه يعتبر الكتاب أملاً ومنهجاً لحل المشكلة قائلاً: (إن هذه المبادرة البريطانية هي التي ستسرع في إيجاد وطن مستقل)(90). ويضيف البعض إلى هذا الجناح القوى الديمقراطية التي قبلت الكتاب الأبيض لأنهم رأوا فيه نجاحاً حققته تضحيات الجماهير، ودعت للقبول به بوصفه خطوة على طريق التحرر ويرى هذا الفريق، أن مجرد تخلي الكتاب عن التقسيم لحظة مناسبة لوقف الكفاح المسلح(91).

وهكذا يظهر لنا، أن موقف عرب فلسطين من الكتاب الأبيض كان متبايناً، ومتذبذباً، في نفس الوقت. فالجناح الذي رفضه متفاوت في الدرجات، فالمفتي وجماعته كدروزة، والغوري، كانوا متشددين جداً في رفضه، وأما عوني عبد الهادي وبقية حزب الاستقلال، والأحزاب الأخرى فقد رفضوا الكتاب، ولكن ليس بشكل كامل. فقد أظهروا استعدادهم للموافقة عليه ولكن بعد تفسير ما جاء غامضاً فيه.

وأما الذين قبلوا بالكتاب الأبيض، فيعتمدون في ذلك على القبول بالأمر الواقع، بسبب ازدياد سوء الأحوال الداخلية، وأنه ممكن الاستفادة منه وعدم انتهاز فرصة التغيير في السياسة البريطانية. فالكتاب الأبيض من ناحية المبدأ يترجم المشكلة، وتشخيصه للقضية ولأسلوب المعالجة لو نفذ تماماً فإنه سيؤدي إلى الحل المرضي(92).

أما بالنسبة لموقف الدول العربية في مسألة القبول بالكتاب الأبيض، فالمفتي يذكر أن الدول العربية في بداية الأمر قبلت الكتاب بتحفظ وتجهم بما فيه من تناقض. ففي مصر قام رئيس الوزراء محمد محمود غداة صدور الكتاب

الأبيض بالتصريح: (بأنه لا يستطيع أن ينصح عرب فلسطين بالرضاء به) وشاركه الموقف العراق والمملكة العربية السعودية. وقد وصفت جريدة الثقافة المصرية الكتاب الأبيض بأنه سياسة من جانب واحد رفضه العرب واليهود، لأنه مخيب لآمال العرب، فلم يضع حلاً سريعاً لإنهاء الانتداب ووعد بلفور وإنشاء دولة عربية. كما بعث الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين في مصر، رفضاً للكتاب الأبيض على شكل احتجاجات موجهة إلى الحكومة البريطانية، والعصبة الإسلامية، في الهند واصفاً الكتاب بأنه مخيب للآمال(93). أما بالنسبة للعراق، فقام نوري السعيد بزيارة للمفتي في أول يونيه 1939م (1358/4/13هـ)، وقدم اقتراحاً يقضي بأن يتفق ممثلو العرب في عصبة الأمم في اجتماعها القادم، للمطالبة بالحصول على إيضاح للفقرات الغامضة بالكتاب، وفي خطاب نوري السعيد عند افتتاح البرلمان العراقي أشار فيه إلى الكتاب الأبيض قائلاً: (إن الكتاب الأبيض لو احتوى نصوصاً صريحة وواضحة فيما يتعلق بالحكم الوطني، وما فيه من القضاء على مطامع الصهيونية وإزالة للشكوك والمخاوف فسيؤدي إلى إيجاد نوع من الثقة وهذا كله بيد الحكومة البريطانية، وهذا يعني أن موقف نوري السعيد يشابه موقف الجناح المتحفظ على الكتاب الأبيض مع استعداده للقبول به إذا أجريت عليه بعض التعديلات(94).

أما توفيق السويدي أحد أعمدة السياسة العراقية، وأحد المحسوبين على بريطانيا، فهو ينصح الفلسطينيين بألا يتسرعوا برفض الكتاب قبل أن يدرسوه جيداً قائلاً: (إن السياسة حساب أكثر منها عاطفة، لذا يجب أن ينظر للكتاب الأبيض وما فيه من عناصر مفيدة تكون من نتائجها مصلحة العرب، وإذ لم يحقق الكتاب الأبيض الآمال الكبرى فليس فيه ضرر يؤدي إلى إسقاط حقوقهم، لأن سياسة خذ وطالب هي السياسة التي من المأمول أن يتمسك بها الضعيف أمام القوي، وهذا الكتاب الذي رفضه العرب، سيجعل من العرب وبريطانيا جبهة واحدة تجاه اليهود فالكتاب يفتح الطريق للتفاهم مع بريطانيا والنظر في حلول أخرى اتحادية)(95). ويعتقد السويدي، بأن سبب رفض عرب فلسطين للكتاب يعود إلى تشجيع مصر، فالسويدي كان من أشد العرب المتحمسين للقبول بالكتاب الأبيض(96).

وبعد اجتماعات نادى المثنى في بغداد، والذي نظمته لجنة الدفاع عن فلسطين في العراق تم اتخاذ قرار للقيام بمظاهرة كبرى احتجاجاً على السياسة البريطانية التي أصدرت الكتاب الأبيض، وأما في شرق الأردن فكان الأمير عبد الله بن الحسين يرى في الكتاب الأبيض مشروعاً يحقق مكاسب هامة ولم يدخر جهداً في حث الحكومة على تنفيذ ما جاء فيه، وقد قال لوفد من بعض الفلسطينيين قام بزيارته: (اقبلوا بالكتاب الأبيض خوفاً من اليوم الأسود). فأجابه أحد الأعضاء، أن الزعامة الفلسطينية ترفض ذلك ونحن بدورنا لا نخرج عن منهجنا، فرد الأمير عبد الله قائلاً: (أصلح الله زعامتكم) (97).

أما توفيق أبو الهدى رئيس وزراء شرق الأردن، فقد رأى أن الكتاب الأبيض رغم أنه لا يعالج احتياجات العرب جميعاً. إلا أنه أزال مخاوف العرب في قيام حكومة يهودية، وأن عهداً جديداً في العلاقات البريطانية العربية قد بدأ(98).

أما موقف المملكة العربية السعودية من الكتاب الأبيض، فقد تضمنته مذكرة أعدتها الحكومة، أفادت أن الأمير فيصل يرى في الكتاب تقدماً من وجهة النظر العربية ولكنه أيضاً يحوي عبارات غامضة، ويشكك الأمير فيصل بأن تكون الحكومة البريطانية حرة من الضغط اليهودي لكن تتصرف وفقاً لنواياها(99). وبالنسبة لليمن، ففي رسالة من صنعاء في يونيه 1939 م (ربيع الثاني 1358هـ)، يذكر الإمام يحيى فيها رأيه بخصوص الكتاب الأبيض قائلاً: (إنه لم يجد في الكتاب صورة من الصور التي كانت مؤلمة للعرب، وإنه لا يمكن المساواة بين العرب واليهود داخل فلسطين أصحاب البلاد واللاجئين وإن مصلحة بريطانيا مع العرب)(100). فالعواصم العربية درست هذه السياسة البريطانية، فوجدت أن الكتاب الأبيض لا يختلف عن المشروع الذي سبق ورفض في المؤتمر، وبعد اتصالات بين الحكومات العربية لاتخاذ موقف موحد، أبلغت الحكومات العربية لندن بأنها لا تستطيع الموافقة على الكتاب، وأنها ترفضه بسبب العوامل التي دفعتها لرفض المشروع البريطاني، وصاحب ذلك الموقف قيام مظاهرات في بعض العواصم العربية احتجاجاً على الكتاب الأبيض وتأييداً لعرب فلسطين(101).

فالحكومات العربية تحفظت في قبولها للكتاب الأبيض، ودارت فيما وراء الكواليس بعض الآراء التي رأت أن يتم القبول به، ولكنها في نهاية الأمر ماشت عرب فلسطين، في موقفهم الرافض للكتاب الأبيض، ما عدا شرق الأردن الذي وافق على الكتاب الأبيض بدون شروط. وأما الشارع العربي فكان ساخطاً على بريطانيا، لعدم تحقيقها آمال عرب فلسطين الخاصة بالاستقلال.

ردود الفعل الصهيونية على الكتاب الأبيض:

تميز موقف الصهيونية من هذا الكتاب، بالرفض العنيف المقترن بالحركة المتنوعة الأشكال لإلغائه، وهي الحركة التي تراوحت وسائلها بين الدعاية والضغط السياسي الدولي، والإرهاب داخل فلسطين. فقد أدى الكتاب الأبيض، إلى خيبة أمل الصهاينة اليهود، ونتيجة لسوء أحوالهم في أوروبا الشرقية، فقد زاد الموقف سوءاً، كما اعتبرت الصهيونية الكتاب باطلاً لأن مجلس عصبة الأمم، لم يبد رأيه فيه، ولجنة الانتدابات لم تؤيده كثيراً، وعلى العموم اعتبرت الحركة الصهيونية الكتاب الأبيض ضربة قاضية لمشروع الوطن القومي اليهودي، حيث يقرب الاستقلال، وبأكثرية عربية ويوقف الهجرة ويمنع بيع الأراضي(102). وقد وصف بن غوريون (Ben Gurion) الكتاب قائلاً: (إنه كتاب غدر وخيانة وإنه نسخة طبق الأصل عن اتفاقية ميونخ، حيث سلم الشعب التشيكي الضعيف لهتلر، وهنا تسلم بريطانيا الشعب اليهودي الضعيف إلى المفتي وعصاباته الإرهابية) وأردف قائلاً: (إن بريطانيا لم تتنكر فقط لتعهداتها بالمساعدة على الهجرة اليهودية، بل أخذت على عاتقها مهمة معاكسة تماماً وهي منع الهجرة بالقوة)(103). أما مناحيم بيغن (Manahem Begin) فقد رأى في الكتاب الأبيض هدماً لآمال الشعب اليهودي فيما يتعلق بفلسطين(104)، وأما جولدا مائير (Golda Meir) فقد

كان رأيها بالكتاب الأبيض: (أنه وضع من قبل أشخاص لا تهمهم حياة اليهود ولا تمت إليهم بصلة فالكتاب جاء ليقلب الأوضاع رأساً على عقب)(105).

فالقيادات الصهيونية تشابهت نظرتها للكتاب الأبيض، وقد ساد في المجتمع اليهودي في فلسطين، ثلاثة آراء إثر صدور الكتاب الأبيض، فالأول يدعو للمقاومة الفعلية لبريطانيا، عن طريق الهجرة والاستيطان مع التعرض مباشرة للحكم البريطاني، ورأي آخر يدعو للعصيان المدني ويتمثل في عدم دفع الضرائب للحكومة (106). أما الوكالة اليهودية فقد اعتبرت الكتاب الأبيض نكثاً بالعهد الذي قطعته بريطانيا لإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين، فكافأت العرب على حملات العنف التي قاموا بها وعاقبت اليهود على ضبط النفس، وإن كانت بريطانيا ترى أنها بهذا القرار قد نجحت في استعمال القوة فإن السياسة أو الصيغة التي وضعتها، لا تعتمد على ذلك لأن اليهود لن ينفذوها(107).

وقد حاول اليهود أن يؤخروا إعلان الكتاب الأبيض، وقاموا بقطع خطوط الإذاعة، لتأخير الإعلان الرسمي عن السياسة الجديدة، وكانت الحالة غير طبيعية في (تل أبيب) يوم صدور الكتاب الأبيض، فقد حشدت الحكومة قواتها على حدود يافا، وحذرت العرب واليهود من الاقتراب من الحدود. وبعد أن سمع اليهود الكتاب الأبيض من الإذاعة، أطفأت الأنوار في الأماكن العامة، وأغلقت دور السينما، والملاهي، والمطاعم، وأخذ اليهود ينتشرون بالشوارع ويهتفون ضد الحكومة، وبعد الظهر قامت مظاهرة في (تل أبيب) ألقيت فيها خطب احتجاج ألهبت المشاعر، وفي القدس نهبت المتاجر، وألقيت الحجارة على الشرطة، وشملت المظاهرات مدن (تل أبيب) وحيفا أيضاً، وتولى البوليس تفريقها، كما ظهرت فرق من الشباب اليهودي طوقت دار الحكومة، والمكاتب، وقام رئيس الأحبار بتمزيق صورة من الكتاب الأبيض في المعبد الرئيسي بالقدس، وأقسم اليهود أنهم لن يتسامحوا أبداً مع سياسة الخيانة الجديدة، وأنهم سيبذلون كل غال ونفيس من أجل مقاومة هذه السياسة وهزيمتها(108). وصاحب المظاهرات هتافات تنادي بحياة جابوتنكسي وبسقوط وايزمان.

وهذه المظاهرات تعتبر بداية المقاومة اليهودية والإرهاب اليهودي للسياسة البريطانية، وعزم اليهود على عدم الاستسلام، بدافع الخوف أو التهديد، حتى لو تم سفك دمائهم، وأخذ يتنامى الشعور في الأوساط الصهيونية بضرورة مقاومة الكتاب الأبيض بجميع الوسائل(109).

وأصدرت الوكالة اليهودية بياناً جاء فيه أن: (السياسة البريطانية الجديدة هي حرمان الشعب اليهودي من حقه في إعادة تأسيس وطنه القومي في أرض أجداده). ووصف البيان الكتاب الأبيض بأنه نقل السلطة إلى الأغلبية العربية بحيث يصبح اليهود تحت رحمتهم، وينتج عن ذلك على حد تعبير البيان (فيتو لليهود داخل وطنهم)، وهذا سيعتبر استسلاماً، كما أن الكتاب الأبيض سينتج عنه كما جاء في البيان: (توسيع الفجوة بين العرب واليهود وسيقضي على آمال اليهود)، ويوجه البيان النقد للكتاب الأبيض من زاوية أنه يفتقر للأساس الأخلاقي كما يتعارض مع القانون الدولي.

ويعرج البيان بعد ذلك، للإشارة إلى فائدة العمل اليهودي في تطور البلاد العربية، ويختم البيان بهذه العبارة: (لن تثني هذه اللطمة الشعب اليهودي، ولن ينكسر الرباط التاريخي بين الشعب وأرض إسرائيل، ولن يقبلوا أبداً إغلاق أبواب فلسطين في وجوههم، وأن الرواد اليهود من الأجيال الثلاثة الماضية الذين أظهروا قوتهم في بناء البلاد المهجورة والمهملة، سوف يظهرون من الآن فصاعداً، بنفس القدرة في الدفاع عن الهجرة اليهودية والوطن اليهودي، والحرية اليهودية)(110). فالبيان يكشف ويوضح عن توجه اليهود نحو المقاومة بالرغم من أنه حرص لدى صياغته أن تكون العبارات رسمية وتبتعد عن اللهجة الحادة.

فالكتاب الأبيض بالنسبة لليهود ضار بمشروعهم الخاص بالوطن القومي، ففي الخطاب الذي بعثه وايزمان إلى المندوب السامي في 31 مايو 1939م (1358/4/12هـ)، جاء فيه: (إن الوثيقة الحالية أهملت تماماً مبدأ الارتباط التاريخي للشعب اليهودي بفلسطين، الذي يشكل جزءاً لا يتجزأ من الانتداب البريطاني على فلسطين، كما تجاهل الكتاب الالتزامات الإيجابية الأخرى المفروضة على دولة الانتداب، خاصة الاعتراف باللغة العبرية كلغة رسمية للبلاد، والاعتراف بالوكالة اليهودية باعتبارها الهيئة التي تمثل اليهود، كما أنه لم يحتو على إشارة فيما يتعلق بالتشاور مع ممثلي الشعب اليهودي، بينما اعترف بالدول العربية المجاورة كأطراف يجب التشاور معها حول مستقبل فلسطين، والنتيجة أن هذا الكتاب يعتبر وسيلة لوقف تطوّر الوطن القومي)(111). وبمعنى آخر فالكتاب الأبيض قد قام بتجميد الاستيطان الصهيوني، مما أدى إلى اعتباره ضربة شديدة لآمالها وأهدافها، وظهرت هذه الفكرة في المؤتمر الصهيوني 21 الذي عقد في أغسطس 1939 م (رجب 1358هـ)، فقد سيطرت على المناقشات فكرة احتمال التخلي عن الوطن القومي اليهودي(112).

فالرفض من قبل اليهود للكتاب الأبيض، دعم باتجاه كافة المنظمات اليهودية للعمل على نقض الكتاب الأبيض، وذلك بشن غارة متصلة ضد بريطانيا، لعرقلة تنفيذ ما أريد تطبيقه من أحكام، فتضمن الهجرة غير المشروعة على مقياس كبير، كما حرص الصهاينة على أن يبذلوا جهداً سياسياً متناغماً، يرافقه تطبيق مكثف لبرنامج الاستيطان، واضعين نصب أعينهم حدود دولة المستقبل اليهودية على جزء من أرض فلسطين من أجل استقطاب اللاجئين، فأقيمت مستوطنات الأبراج والتحصينات عام 1939 م (1358هـ)، وما بعدها، على مساحة من أراضي شمالي الحولة، فشكلت هذه المستوطنات عاملاً حاسماً في صراع الحركة الصهيونية ضد الكتاب الأبيض(113). كما تم توجيه الصناعات اليهودية نحو إنتاج الأسلحة الخفيفة، فكل هذا مع الإرهاب اليهودي، كان وسيلة من وسائل الضغط التكتيكي على حكومة الانتداب(114). لهذا أخذت المنظمات السرية اليهودية تتوحد (الهاجناه، أرجون، شتيرن) للقيام بسلسلة من أعمال العنف ضد الحكومة من أجل الضغط على بريطانيا، وحملها على العدول عن تقييد الهجرة، لذا أخذت العصابات الصهيونية تدمّر المرافق الرسمية وتفتك بالإنكليز وتضع القنابل في أماكن احتشاد العرب، واعتقد اليهود أن ما أحدثته الثورة العربية، يجب أن يزول بثورة يهودية. ويؤكد ذلك ما ذكره يعقوب إلياب أحد فرسان الإرهاب اليهودي، أنه قد تم تكليفه باغتيال عدد من العرب، والإنجليز، حتى وصل الأمر إلى أن يأمر الفريق هايننج (Haining) قائد القوات البريطانية، بإغلاق دور السينما المملوكة لليهود كما أغلقت المقاهي(115).

وعموماً فالكتاب الأبيض، أشعر الصهيونية بالشك في النوايا البريطانية، أو بمعنى آخر أن قدرة بريطانيا على تنفيذ الهدف الصهيوني في هذه المرحلة يشوبه الغموض، كما أدرك الصهاينة أن بريطانيا تتطلع للولايات المتحدة الأمريكية كحليف أصيل في الحرب القادمة، لذا أرادوا استغلال الفرصة فنقلوا نشاطهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليضغطوا على الحكومة، وبالتالي تضغط هي على بريطانيا للعمل من أجل إلغاء الكتاب الأبيض.

إن المعطيات السابقة تجعلنا ندرك أن العلاقات البريطانية ـ الصهيونية قد شابها شيء من التوتر بعد صدور الكتاب الأبيض، ولكن هناك من يرى أن القيادة الصهيونية عندما أثارت هيجان الجماهير، وعندما تشددت في الإعلانات الرسمية عن رفضها للكتاب لم تكن تهدف إلى تنفيذ ما أعلنت عنه، ولكن استهدفت منح بريطانيا مبرراً أمام العرب للتراجع عن تنفيذ سياستها الجديدة، واستهدفت الصهيونية من ذلك تقوية موقفها السياسي أمام التجمع اليهودي كي تظل مسيطرة عليه، وتوجهه إلى حيث تشاء، ولم تستهدف الإساءة إلى بريطانيا أو مقاومتها، لأنها كانت تعي النتائج التي ستترتب على الصدام مع السلطات البريطانية، وليس أدل على هذا من تراجع القيادة الصهيونية السريع عند إعلانها ضرورة تبني سياسة العصيان المدني، وعدم التعاون مع الحكومة البريطانية، بسبب معرفتها أن العصيان المدني، وعدم التعاون مع الحكومة البريطانية، يعطي فرصة لمزيد من الموظفين العرب في دوائر الحكومة، مما ينتج عنه وضع مربك أمام الغرب حول مساعدة هذه الحكومات للمؤسسات الصهيونية، ورعايتها، وهي السياسة التي كانت الوكالة اليهودية على ثقة من صدقها عبر التجربة مع بريطانيا، فالقيادات الصهيونية كانت تخشى أن تمارس الحكومة ضغطاً اقتصادياً، يلزم المجتمع اليهودي بأن يعرف أن اعتماده الكلي على العون الذي يتلقاه من الإدارة البريطانية. وهكذا توقف الحديث عن عدم التعاون، واتخذت الخطوات لتعزيز فكرة الوطن القومي قدر الإمكان في المستقبل القريب، وتم الحفاظ على مبدأ التعاون مع الإدارة إلى المدى الذي توافق عليه الحكومة(116).

فالموقف الصهيوني كان له جانبان: ففي حين رفضت الوكالة والزعامات رسمياً سياسة بريطانيا الجديدة (الكتاب الأبيض)، وصممت على مقاومتها، لتحول دون تنفيذها، إلا أنها في نفس الوقت قررت مد يد المساعدة لبريطانيا، والحلفاء في حربهم ضد النازية والفاشية، وهذا مما جعل البعض يعتقد أن هناك تناقضاً في الموقف الصهيوني.

*   *   *

هوامش الفصل الأول

(1) [Government of the Great Britain، Palestine Statement by his Majesty's published by his Government in the United Kingdom، printed and Majesty's Stationery office، (London Nov. 1938). (cmd 5983].

(2) Co 733/139812 from High Commissioner to Colonies office , no. 80، 27.2.1939

- ومن الجدير بالذكر أن هذه ليست أول مرة يتدخل العرب، فالمرة الأولى عندما تدخل الحكام العرب لإيقاف الثورة وقد وجد ذلك استحساناً من بريطانيا، واليهود، ولكن في هذه المرة عندما دعت بريطانيا الدول العربية للاشتراك في المؤتمر أعلن اليهود احتجاجهم واعتراضهم.

(3) واتضح نتيجة لهذه الاحتلالات عجز عصبة الأمم عن حماية أعضائها.

- صلاح العقاد، الحرب العالمية الثانية تاريخ العلاقات الدولية (القاهرة 1979) ص96 –102.

(4) Nicholas Bethell، the Palestine Triangle، the Struggle Between the British، Jews and Arab، 1933-1948 ، (London، 1979) p.46.

(5) العقاد، المرجع السابق، ص 116.

(6) عقد اجتماع في القدس في 1936 ألقى فيه أحد الشباب خطاباً أشار فيه إلى دور منظمة الشباب الهتلرية في وصول هتلر للحكم. لوكازهيرزويز، ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي: ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى (القاهرة، 1971) ص 27 – 29.

(7) مثل حزب مصر الفتاة وجماعة القمصان الخضراء في مصر، والقمصان الحديدية والحرس الوطني في دمشق والفتوة والجوالة في العراق والحزب السوري التقدمي في لبنان وفلسطين وسوريا. علي محافظة، العلاقات النازية الصهيونية (بيروت، 1981م) ص 229.

(8) وقد اتخذت ألمانيا هذا الموقف بعد مقابلة بين المفتي والقنصل الألماني في القدس، علي محافظة، المرجع السابق: ص 23.

- For 371-2077 Itation Activities in Aralsiam 29-7-1937

(9) ناصر الدين النشاشيبي، آخر العمالقة جاء من القدس موسى العلمي (مدريد، 1986م) ص 63.

(10) يؤكد على محافظة أن اليهود هم الذين روجوا لمثل هذه الأقاويل، ويتفق معه عبد الوهاب كيالي في ذلك ويستدل على ذلك بالمحادثات التي تمت بين بريطانيا وإيطاليا في 1938 (تعهدت بموجبها إيطاليا بعدم خلق متاعب لبريطانيا)، علي محافظة: المرجع السابق، ص 230، عبد الوهاب كيالي، تاريخ فلسطين الحديث، (بيروت 1985) ص 290.

(11) سلمان رشيد سلمان (ألمانيا النازية والقضية الفلسطينية)، شؤون فلسطينية، العدد 31، (مارس 1974م)، ص 69 ؛ هيرزوير، المرجع السابق: ص 53.

(12) عبد الرحيم أحمد حسين: النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية 1939 – 1945 (بيروت، 1984) ص 25 ؛ جريدة فلسطين 1939/3/7ص 1.

(13) Bethell , co. cit‹ p43.

(14) Michael‹ Cohen‹ Palestine Retreat from the Mandate‹ (London 1978) P.66‹ Bethell‹ op. cit‹ p 45‹ Abcarius‹ Palestine through the Fog of propaganda (London‹ 1948) p. 114‹ Thomson Williwams‹ the Palestine Problem (London) p.5.

(15) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936 - 1939 (دمشق 1959)

– ص 153، أميل الغوري: فلسطين عبر ستين عاماً: ج2 (بيروت 1973)، ص 170.

(16) Bethell‹ Op. cit. p45 ‹ M. Cohen. Op. cit. p70 ‹ Abcarius‹ op‹. cit‹ p 115.

(17) الغوري: المرجع السابق: ص 172.

(18) أحمد الشقيري، أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية (بيروت 1969)، ص 186.

(19) غسان كنفاني، (ثورة 1936 – 1939 في فلسطين خلفيات وتفاصيل وتحليل)، شؤون فلسطينية، العدد 5 (يناير 1973) ص 69.

(20) وقد دعا لهذا المؤتمر محمد علوبه – عضو مجلس الشيوخ المصري بأسم البرلمان واشترك فيه عدد كبير من العلماء والمثقفين وزعماء المؤسسات الإسلامية وقد تزامن عقد المؤتمر مع تزايد العمليات الإرهابية، عوني عبد الهادي، أوراق خاصة، إعداد خيرية قاسمية (بيروت 1974) ص 97.

(21) Ann‹ Moselylesch‹ Arab Politics in Palestine. 1917-1939‹ (London 1976) p.150‹ Bethell‹ op. cit‹ p 49.

(22) كريستوفر، سايكس، مفارق الطرق إلى إسرائيل، ترجمة خيري حماد، (بيروت، 1966) ص 224.

(23) جامعة الدول العربية، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى، 1915 – 1946 م، (القاهرة، 1957م) ص 270.

(24) Shabtai‹ Teveth. Ben Gurion and the Palestinian Arabs ‹ Ox ford 1945 ‹ p.121.

- الحكومة البريطانية، تقرير اللجنة الملكية لفلسطين (لجنة بيل) (Peel) (القدس) ص 475. وسيشار له مستقبلاً بتقرير اللجنة الملكية.

(25) سايكس، المرجع السابق، ص 227.

(26) وقد عللت بيان الحوت هذا التجاهل من قبل بريطانيا للجنة العربية العليا، بأن بريطانيا تدرك أن المفتي ومندوبيه، هم أكثر الفئات حرصاً على المطالب الوطنية فمن مصلحة بريطانيا تأليف وفد من الذين تضمن ولائهم – بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 – 1948، (بيروت 1981م)، ص 387.

(27) وأهم شروط اللجنة لحضور المؤتمر، أن تؤكد الحكومة البريطانية بأن الجلوس سيكون عربياً إنجليزياً فقط، أي لا يدعى له اليهود، لأن العرب يرفضون الجلوس إلى جانب اليهود، وأن تفرج الحكومة البريطانية عن الزعماء المعتقلين في سيشل، وأن تعترف بريطانيا بأن للفلسطينيين وحدهم الحق في اختيار وفدهم إلى المؤتمر. فلم تتدخل بريطانيا في مسألة اختيار الوفد. الغوري، المرجع السابق، ص 175.

(28) المرجع نفسه، ص 177 – 180.

(29) الشرط الأول اختيارها للوفد الفلسطيني، الشرط الآخر يكون المؤتمر جامعاً للعرب واليهود والإنجليز ولكنها تخلت عن كلا الشرطين.

(30) الغوري، المرجع السابق، ص 173.

(31) المعتقلون في جزيرة سيشل وهم أحمد حلمي باشا، حسين الخالدي، يعقوب الغصين، فؤاد سابا، ورشيد الحاج إبراهيم. الغوري: المرجع السابق – ص 175.

(32) ويعتقد أن هذا البيان كان من عمل المفتي ودروزة وزعيتر فقد قاموا بإعداده بعد نهاية الاجتماع بتغيير أسس المباحثات، وعلى العموم فقد كان مؤيدو المفتي غير سعداء بنتائج الاجتماع، كما تمت الموافقة أيضاً على تكثيف العمليات العسكرية أثناء المحادثات، لاطلاع الرأي العام على ما يمكن أن يحدث إذ لم تلب مطالبه ولإحباط ما ادعاه النشاشيبي بأن نفوذه أوقف نشاط الثورة.

- Co 733/408/15 – Resolutions Published by the Arab High Commissioner After the Mettings at Zuq Michael 19.1.1939.

(33) وقد برر السبب عدم سفر المفتي بأن مؤيديه لم يحبذوا فكرة سفره، خشية أن يغدروا به وأما دروزة فقد امتنع عن السفر بسبب جهله باللغة الإنجليزية، ورغبته في البقاء في دمشق لمساندة الثورة، الغوري – المرجع السابق، ص 173، مذكرات محمد عزة دروزة، أوراق محفوظة في مكتبة الأستاذ زهير دروزة في عمان، ج8، ص 77.

(34) وأما المبادئ التي اتفق عليها، بذل الجهد لإنقاذ فلسطين، دفع الخطر اليهودي عنها، والعمل على إنشاء حكومة عربية في فلسطين تعقد مع بريطانيا معاهدة لضمان حقوق الأقلية الأخرى في فلسطين، جريدة فلسطين 1939/2/1، ص 2، فلاح خالد علي، فلسطين والانتداب البريطاني 1939 – 1948 م، (بيروت 1980م) ص 29.

(35) وقد حصل راغب النشاشيبي على الضوء الأخضر في تحركاته من بريطانيا بطريق غير مباشر وذلك عندما فهم الإشارة التي وردت في النشرة البريطانية الرسمية والتي وجه فيها النقد للمفتي.

(36) وقد نفى محمد يونس الحسين أحد أعضاء حزب الدفاع أنه لن يشترك في الوفد إلا كممثل لحزبه، كما كذب برهان الدجاني خبراً مماثلاً وأعلن أنه لا ينتسب إلى أي حزب، كما أصدر داوود عيسى صاحب جريدة فلسطين أنه لا ينتمي إلى أي حزب، الحوت، المرجع السابق ص 379، جريدة فلسطين 1939/82/1 م، ص 2.

(37) مذكرات دروزة، ج8، ص95، انظر ملحق رقم 2.

- ESCO Foundation For Palestine، A Study of Jewish Arab and British Policies، Newhaven، 1949، Vol 2، P890.

(38) كان الوفد المصري برئاسة الأمير عبد المنعم وكان الوفد العراقي برئاسة نوري السعيد رئيس الوزراء، والوفد السعودي فترأسه الأمير فيصل وزير الخارجية، ووفد شرق الأردن بزعامة توفيق أبو الهدى رئيس الوزراء، أما وفد اليمن فيرأسه الأمير سيف الإسلام الحسيني، حكومة بريطانيا، مؤتمر فلسطين العربي المنعقد في لندن 18 ذي الحجة 1357هـ محاضر جلساته وتقارير لجانه مترجمة عن الإنكليزية، ترجمة عبد القادر المازني، خير الدين الزركلي (مكة المكرمة، 1359هـ) وسيشار له مستقبلاً بمحاضر مؤتمر لندن، ص 30.

(39) وترأس الوفد اليهودي مدير الوكالة اليهودية وضم رؤساء الجاليات اليهودية في إنجلترا وأمريكا.

- M.Cohen، op. cit، p 75.

(40) وقد قال في سياق خطابه « إن العرب ما اعترفوا ولن يعترفوا بتصريح بلفور ولا بالانتداب فالأول وعد لم يكن من حق بريطانيا إعطاؤه بدون رضاء العرب أما الثاني فهو مستند غير قانوني إذ أن بنوده التي لا تستمد مشروعيتها إلا من ميثاق عصبة الأمم تتعارض مع المادة 225 من الميثاق نفسه» محاضر مؤتمر لندن، ص36.

- The Times 17.2.1939

(41) عرفت اللجنة باسم لجنة مكماهون (Mcmahon) وضمت من الجانب الفلسطيني عوني عبد الهادي، جمال الحسيني، موسى العلمي، جورج أنطونيوس)، محاضر مؤتمر لندن، جريدة فلسطين 1939/2/16.

- The Times ، 26.2.1939

(42) Co – 733- 398/2، Form High commissoiner to colonies offive، No 80 24-3-1939، Escim op. Cit، Vol، 1، P2qs، 2q6

(43) وقصد ماكونالد (Macdonald) من ذلك أن تفهم الوفود العربية بشكل ضمني غير واضح أن المقترحات ليست رسمية وقابلة للتعديل.

(44) محاضر مؤتمر لندن ص 197 – 207، جريدة فلسطين 1939/3/1 م.

(45) J.C.Hurewits، Thw Struggle For Palsting NewYork، 1950، P.5.

(46) محاضر مؤتمر لندن، ص 219 – 222.

- Co. 733/398، Form High Commissioner، to Colonoes office، No 80، 24-3-1039.

(47) أرسلت الحكومة المصرية أمين عثمان وكيل وزارة المالية وغلفت الزيارة بالسرية وهدفها التعرف من المفتي على شكل الحكومة التي يريدها بعد الاستقلال، ولا يعتقد أنه نجح في مهمته – جريدة فلسطين 1939/3/5م.

(48) المقترحات الجديدة قدمت مع تحذيرات أنه إذ لم يتم الموافقة عليها فإن حكومة الانتداب ستتخذ قرارات مناسبة دون الرجوع إليهم.

- Hurewitz، OP. Cit، O51 – M.Conem، OP. Cit، P77

(49) وقد قام ماكدونالد (Macdonald) بتقديم تأكيدات لليهود بأن هؤلاء الفلسطينيين سيكونون وزراء دون حقائب وزارية وهم في خدمة بريطانيا.

- M. cohen ، op. cit، p78.

(50) محاضر مؤتمر لندن، ص 219 – 238.

- M. cohen ، op. cit، p82- Esco، op. cit، V.2 p 899.

(51) المرجع نفسه، ص 246 – 250.

(52) وقد أرجع جورج أنطونيوس الأسباب المباشرة لإحباط المفاوضات، إلى مسألة التغييرات الدستورية التي يراد إدخالها على الدستور الفلسطيني لإنشاء دولة فلسطينية مستقلة فيها، ولا بد من تحديد الفترة الانتقالية بدلاً من انتهائها بتجربة التعاون العربي اليهودي، جريدة فلسطين 1939/3/19، ص 1.

(53) حضر المؤتمر محمد محمود رئيس الوزراء المصري وعلي ماهر وحسن نشأت هذا بالنسبة لمصر وأما العراق فمثلها توفيق السويدي وعبد القادر الكيلاني أما المملكة العربية السعودية فقد مثلها الأمير فيصل والشيخ حافظ وهبة وأما الفلسطينيون الموجدون في مصر فهم أحمد حلمي عبد الباقي وعوني عبد الهادي ويعقوب الغصين، ولم يبتوا بأمر دون استشارة المفتي، الحوت، المرجع السابق، ص 394 ؛ جريدة فلسطين 1939/4/14 م.

(54) محاضر مؤتمر لندن، ص 255. ناجي علوش، الحركة الوطنية الفلسطينية، (بيروت 1978م) ص 159.

(55) علي، المرجع السابق، ص 49.

(56) كامل محمود خله، فلسطين والانتداب البريطاني 1922 – 1939 (بيروت 1974) ص 475 ؛ النشاشيبي، المرجع السابق، ص 37 – 38 ؛

19. M. cohen ، op. cit، p -

(57) سايكس، المرجع السابق، ص 36.

(58) أميل توما، ستون عاماً على الحركة القومية العربية الفلسطينية، (دمشق، 1978) ص 162.

(59) النشاشيبي، المرجع السابق، ص 38، 39.

(60) Government of Great Britain، Statement of policy، the white paper of May 1939.
وسيشار إليه مستقبلاً (Cmd 6019). انظر الملحق رقم /3/.

(61) وهذا بمثابة اعتراف رسمي من الحكومة بأن هذا البيان لا يحمل أي جديد وأنه سبق وأن رفض من كلا الجانبين.

(62) Cmd 6019 op. cit. p p 3-10.

(63) Ibid p 10 – 11.

(64) Ibid p 10 – 12.

(65) جريدة فلسطين، 1939/5/24 م، ص1.

(66) المرجع نفسه.

(67) عادل أحمد غنيم – الحركة الوطنية الفلسطينية (القاهرة 1980 م) ص 58. عزت طنوس، الفلسطينيون ماض ومستقبل باهر (بيروت 1982) ص 242.

(68) ويقول بيتمان (Bateman) أحد المسئولين في الحكومة البريطانية في سنة 1939: «إن كسبنا الحرب وبقيت في منصبي فسوف نغير في سياسة الكتاب الأبيض وسنسمح بمزيد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، لأننا مجبرون وفقاً لشروط الانتداب أن نشجع هجرة اليهود إذ ما واتت الظروف الملائمة».

(69) صالح صائب الجبوري، محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية، (بيروت 1970) ص 84. حسين، المرجع السابق، ص 50.

(70) يعد شهرين من صدور الكتاب غزت إيطاليا ألبانيا، وألمانيا ضمت تشيكوسلوفاكيا، ودعا روزفلت (Roosevelt) إيطاليا وألمانيا للمفاوضات ولكن هتلر (Hitler) رفض ذلك قائلاً: «فلينظروا إلى أنفسهم في سلب حق الفلسطينيين وإحلال اليهود مكانهم».

واصف العبوشي، فلسطين قبل الضياع، ترجمة علي الجرباوي (مدريد 1985) ص 245.

- Hurewits، op. cit، p 54

(71) محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، (بيروت 1984) ج، ص 264 .

(72) وتمت إضافة العبارة التي وردت في الكتاب الأبيض بناء على مداولات ما بعد المؤتمر والتي تمت في القاهرة.

(73) محاضر مؤتمر لندن، ص 4.

(74) مذكرات دروزة، ج 8، ص 95، دروزة – القضية الفلسطينية، ص 246.

(75) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، (عمان 1976م) ص 146.

- توما، جذور القضية الفلسطينية، (بيروت، 1973) ص 273.

(76) باعتبار أن بريطانيا صرحت بأنها لا تسعى لإيجاد دولة بل تريد وطناً يهاجر له اليهود وهذا الأمر ليس بجديد بل سبق وذكر في الكتاب الأبيض لعام 1922 الذي تراجعت عنه فيما بعد، العبوش، المرجع السابق، ص 259.

(77) أحمد طربين، «الاحتلال والانتداب البريطانيان ومقاومة الفلسطينيين لها 1918 – 1948 م» (نشر في كتاب اتحاد الجامعات العربية، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني (عمان، 1976) ص 481 - نظام عباسي، العلاقات الصهيونية النازية وأثرها على فلسطين وحركة التحرر العربي 1933 – 1945 م، الكويت 1985م) ص 119 ؛ زعيتر، القضية الفلسطينية، ص 147.

(78) علي، المرجع السابق، ص 68 – 69، الغوري، المرجع السابق، ص 179.

(79) Co 733/408/4، from Iam pson (Cairo) to Butler Undersecretary of state no. 81، 22-7-1393.

- جريدة فلسطين 20-5-1939 م ص 1، مذكرات دروزة ج8، ص 111.

(80) الفريق الأول يتزعمه عوني عبد الهادي ورغم أنه يذكر في أوراقه أن الكتاب الأبيض لا يمكن أن يتم قبوله بمجمله أي لا بد من إجراء تعديلات عليه فهو لم يعارضه جملة وتفصيلاً كالمفتي ووافقه حسين الخالدي وأحمد حلمي والفريق الآخر كانوا أنصار المفتي. طنوس، المرجع السابق ص 252، عبد الهادي، المرجع السابق، ص 123.

(81) الشقيري، المرجع السابق، ص 190.

(82) طنوس، المرجع السابق، ص 253.

(83) وفي حديث ماكدونالد، نستشف منه اعتراف ضمني بأن سياسة بريطانيا السابقة تسعى لإيجاد وطن قومي يهودي، وإن لم تعترف من قبل بذلك مع أنها تعمل لذلك، وهذا مما يؤثر على سياستها، ويفقدها شيئاً من مصداقيتها، طنوس، المرجع السابق، ص 254.

(84) أكرم زعيتر، من أوراقه، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918 – 1939 م، إعداد بيان الحوت (بيروت، 1980 م) ص 649.

(85) عبد الهادي، المرجع السابق، ص 106.

- Survey V.2 p. 98. The Times 3-6-1939.

(86) مذكرات دروزة، ج8، ص 112 ؛ الغوري، المرجع السابق، ص 190.

(87) إن الثورة الفلسطينية المشتعلة جعلت شعارها الأول، مطالبة بريطانيا بتغيير سياستها تغييراً أساسياً تكون أولى بوادره وقف الهجرة فجاء الكتاب لا ليوقف الهجرة، يل يحددها. مقابلة شخصية مع أكرم زعيتر، عمان، يناير 1990م ؛ أكرم زعيتر، يومياته الحركة الفلسطينية 1936م 1939 م (بيروت 1980) ص 598.

(88) ومعظم هذه التفسيرات تتعلق بتوزيع المناصب على الأشخاص الذين توافق عليهم اللجنة العربية العليا بموجب خطة تعيين رؤساء الدوائر.

- Zweig، op. cit، pp 10 – 11.

(89) Co 733/1408/14، from Abdulatif Salah to Macdonald 19-3-1393.

(90) توما، جذور القضية، ص 275.

(91) ولم يفسر أميل توما ما المقصود بالقوى الديمقراطية وربما يقصد الجماعات اليسارية، المرجع نفسه، ص 275.

- Co 733/398/13، from High commissioner to Colonies Office ، No.80 12-7-1393.

(92) The Arab Office، The Future of Palestine، (GENEVA 1947)، p.46.

(93) دروزة، القضية الفلسطينية، ص 245؛ جريدة فلسطين، 1939/5/31م ص 2، زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 648.

(94) عباس عطيه جبار، العراق والقضية الفلسطينية 19 – 104 (بغداد، 1983م) ص 308.

(95) توفيق السويدي، مذكرات نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، (بيروت 1969) ص 327.

(96) ويفسر توفيق السويدي كيف شجعت مصر الفلسطينيين على رفض الكتاب بقوله: (إن بعض رجال السياسة المصريين الذين لا يهمهم الكتاب الأبيض أو فلسطين، بل تهمهم الوقيعة بين رجال السياسة، قد ألقوا في ذهن محمد محمود باشا أن الكتاب إذا قبل سيكون نصراً لعلي ماهر، فيزيد نفوذه وربما قاده للرئاسة، ولذلك تركزت فكرة الرفض لدى محمد محمود أكثر من أي مصر آخر)، ونحن نذكر ذلك ولكن نتحفظ عليه، فيبدو أن السويدي كانت نوازعه الشخصية هي المحرك ليذكر هذه القصة، المرجع نفسه، ص 328 – 329.

(97) وذكر أنيس صايغ أن الأمير عبد الله قد قبل بالكتاب الأبيض حتى قبل أن يسمع رأي عرب فلسطين، أنيس صايغ: فلسطين والقومية العربية (بيروت، 1966م) ص 100.

(98) محمد سليمان محافظة، العلاقات الأردنية الفلسطينية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية 1939، 1951 م (عمان 1983م) ص 84.

(99) عائشة المسند: المملكة العربية السعودية، وقضية فلسطين 1939 – 1948 م، أطروحة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية للبنات بجده، (1405هـ)، ص 152.

(100) جريدة فلسطين، 1393/6/3م، ص 1.

(101) وقد قامت المظاهرات في دمشق وبيروت وبغداد وعمان، الغوري، المرجع السابق، ص 188.

(102) سيد وعلي الدين هلال، تحرير الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، (1883- 1948 م)، (القاهرة 1975م) ص 353، سايكس، المرجع السابق، ص 362، الجبوري، المرجع السابق، ص 89..

(103) Teveth. Op.c cit، p 124.

(104) مهدي عبد الهادي، المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية 1934 – 1974 م (بيروت، 1979م) ص 71.

(105) جولدا مائير، الحقد: ترجمة سمية أبو الهيجا، أحمد بهجت، (عمان 1988م)، ص 135.

(106) المرجع السابق، ص 135.

(107) Hurcwitz، op. cit. p. 103.

(108) Hurcwitz، op. cit. p 104.

- Bethell، op. cit. p. 68.

- جريدة فلسطين، 1939/5/18م، ص1.

(109) وسبب هذه الهتافات المعادية لوايزمان أن الرأي العام اليهودي بدأ يتخلى عنه لأنه لا يؤيد أي اتجاه معاد لبريطانيا، ولهذا برز الزعماء الآخرون الذين يؤيدون سياسة العنف جابوتنسكي، وقد ذكرت الصحف اليهودية أن الجرحى نتيجة للمظاهرات بلغ عددهم 135 جريحاً، كما اعتدى المتظاهرون على سياسة قنصل تشيكوسلوفاكيا.

op. cit. pp. 35 – 45.، - Esco

- وصاحب هذه المظاهرات في فلسطين مظاهرات أخرى قام بها اليهود في لندن وأمريكا وبولونيا وجنوب أفريقيا للاحتجاج على الكتاب الأبيض.

(110) The Times، 18.5.1939.

(111) Esco، op. cit. v.2، p.45.

(112) طربين، المرجع السابق، ص 484، حسين، المرجع السابق، ص 39، يوميات زعيتر، ص 603.

(113) المكتب العربي بالقدس، مشكلة فلسطين الجزء الذي عرض على لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية، (مارس 1946م، القدس) ص 16.

- أريه أفنزي، دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي والعرب 1878-1948، ترجمة بشير البرغوثي، (عمان 1986م) ص 18.

(114) يعقوب إلياب، جرائم الأرغون وليحي، 1937 – 1948م، ترجمة غازي السعدي (عمان 1985م)، ص 67.

(115) توفيق أبو بكر، العلاقات الأمريكية الصهيونية 1914 – 1942 ، شؤون فلسطينية (ديسمبر 1981م) ص 78 – 79.

(116) ويذكر عبد الرحيم أحمد حسين، كدليل على هذا، أنه تمت مقابلة بين ماكدونالد ووايزمان يوم صدور الكتاب، ولا بد أن يكون ماكدونالد طمأن وايزمان بأن بريطانيا لن تتخلى عن الصهيونية، ويعزز رأيه بأن وايزمان كان يدافع عن موقف بريطانيا أثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني، ويشارك عبد الرحيم في هذا الرأي صلاح العقاد.

- حسين، المرجع السابق، ص 37.

*　*　*

الفصل الثاني: نشاط الفلسطينيين السياسي في الداخل

* موقف الفلسطينيين من الحرب.

* مساهمة الفلسطينيين في الحرب.

* القوى السياسية الفلسطينية.

* موقف الفلسطينيين من مشاريع الوحدة العربية.

*   *   *

الموقف في فلسطين من الحرب العالمية الثانية

اندلعت الحرب العالمية الثانية في 3 سبتمبر 1939، الموافق 19 رجب 1358هـ، فأخذ العرب في داخل فلسطين يتابعونها بحذر وترقب نظراً لظروفهم الصعبة. فالثورة الكبرى لا تزال بعض جيوبها مستمرة، وبالتالي معاناتهم قائمة، بالإضافة إلى أن الكتاب الأبيض سياسة بريطانية جديدة لا تزال تراقب بعين الشك، فلم تبدد كل مخاوفهم من سيطرة الصهيونية، ولهذا فلم يسارعوا إلى التهليل والوقوف مع بريطانيا وتأييدها، خاصة وأن ذكريات الحرب العالمية الأولى وآثارها لا تزال ماثلة أمام أعينهم(1).

لذلك لم تبادر القيادة المسئولة بتصريح يؤيد الحلفاء، والواقع لم تكن هناك قيادة داخل فلسطين، فاللجنة العربية حلت وتشرد أعضاؤها، أما بالنسبة للمفتي (الحاج أمين) فقد توقعت بعض الأوساط الرسمية العربية منه باعتباره رئيساً للجنة العربية العليا التي تمارس عملها من الأقطار المجاورة ورئيساً شرعياً للحركة الوطنية أن يصدر بياناً يؤيد الحلفاء الذين كانوا يمثلون الديمقراطيات، وانتشرت شائعات مصدرها بيروت أكدت ذلك فأفادت بان وثيقة بهذا المعنى يتم إعدادها بالفعل، وتم تقديمها للزعماء العرب للموافقة عليها وأن المفتي بصدد التوقيع عليها(2). ثم خاب الأمل في إصدار البيان بعد معرفة أمر الخطاب المرسل من الحاج أمين إلى السلطات الفرنسية، والذي لم يرد فيه أكثر من تأكيد مبهم على موقفه وشكره لهم على سماحهم له باللجوء إلى لبنان(3). وهناك من يؤكد أن المفتي لا يجرؤ على الإعلان عن تأييده لبريطانيا بسبب تخوفه من انتقام مموليه الألمان بنشرهم تفاصيل الأموال التي حصل عليها(4). ومع أن هناك من يرى عكس ذلك فيتهم المفتي بأنه عرض على بريطانيا التعاون من خلال

الحرب بشرط أن يسمح له بالعودة إلى القدس، ولكن بريطانيا اعتبرته عرضاً لا قيمة له في مثل هذه الظروف. فالثورة أخذت تتلاشى، بالإضافة إلى الاشتباه به لاتصاله بألمانيا، كما أن بريطانيا لن تتنازل أكثر مما تنازلت في الكتاب الأبيض، وشجعها على ذلك سير الأحداث في فلسطين، حيث بدأت مظاهر استعادة الأمن والنظام(5). إضافة إلى أن الموقف من المفتي لم يكن موحداً، فكل من وزارة الحربية وحكومة الانتداب تتمنى إلقاء القبض عليه، وأما الخارجية فتعتقد أن ذلك يجعل منه بطلاً شهيداً وكانت النتيجة أن رفضت بريطانيا عرض المفتي. وإن كان هناك من يعتقد أن بريطانيا هي التي سعت للتفاهم معه(6) ولكن بدون جدوى. وسواء موقف بريطانيا والمفتي خلال الثورة، وموقف بريطانيا المتشدد في مسألة حضوره لمؤتمر لندن 1939م / 1358هـ، فهو يجعلنا نميل إلى الاعتقاد أنه من المستبعد وغير المتوقع أن يصدر تصريح رسمي من المفتي يؤيد فيه الحلفاء وعلى رأسها بريطانيا عدوة الأمس فحتى لو أنه لم يرغب في مواجهة بريطانيا في تلك الظروف فعلى أبعد حد سيتخذ جانباً محايداً من الصراع دون أن يعلن عداءه وتأييده لبريطانيا.

أما بالنسبة لحزب الدفاع الذي يمثل وجهة نظر المعارضة في الحركة الوطنية الفلسطينية، فقد أعلن فور نشوب الحرب عن تأييده الكامل لبريطانيا ووقوفه معها واستعداده للتعاون. ومما لا شك فيه أن رغبة زعماء الحزب في هزيمة المفتي تشكل أحد أسباب هذا الموقف، بالإضافة إلى الطمع في تحقيق مكاسب شخصية من جراء هذا الموقف المتعاون مع الحكومة(7).

لذلك سارعت عدة فئات وشخصيات، لإعلان تأييدها لبريطانيا، ففي سبتمبر 1939م/1358هـ، اجتمع وجهاء نابلس واختاروا وفداً برئاسة سليمان طوقان(8)، لمقابلة حاكم اللواء معلنين تأييدهم واستعدادهم للتطوع إلى جانب الجيش البريطاني. كما أرسلت يافا أيضاً وفداً إلى حاكم اللواء للتعبير عن تأييد السكان ورغبتهم في التعاون مع الحكومة. وحدت جميع مناطق البلاد موقفها في التعبير عن ولائهم للحكومة، ففي القدس والرملة وغزة وطولكرم وجنين وبئر السبع سارعت وفود منها إلى حكام الألوية(9) للتعبير عن تأييدهم وتعاطفهم مع قضية الحلفاء. كما وصلت برقيات ورسائل من أفراد وهيئات بما في ذلك أمناء الحرم في القدس وعلماء من المسلمين في المجدل(10). وقد أخذ موقف عرب فلسطين المساند لبريطانيا تتضح معالمه كلما طالت مدة الحرب ففي النصف الثاني من عام 1941م/1360هـ/ طوّر العرب إحساسهم بالثقة في انتصار بريطانيا وبدأ التساؤل عن الوقت الذي ستكسب فيه بريطانيا الحرب وهي حالة تختلف عن السابق(11).

كما ساعد على زيادة التفاف عرب فلسطين حول بريطانيا دخول إيطاليا الحرب في 10 يونيو 1940م/جمادي الأولى 1359هـ/، مما كان له الأثر الأكبر في تحوّل العرب خاصة بدو المناطق الجنوبية في فلسطين نحو التعاطف مع بريطانيا لأن ذكريات الفظائع التي ارتكبتها إيطاليا والفاشيون في ليبيا ما زالت حية في أذهانهم، لذلك فقد أخذوا يقلقون من احتمال وقوعهم في يد موسوليني (Mussolini).

وإن كان لهذه الاتجاهات الإيجابية نحو الحلفاء، والتي سادت بين عرب فلسطين، عوامل دفعت حركتها، فقد تمثلت في النداءات المتكررة التي كانت تطلقها الصحافة المحلية وتدعو فيها العرب للوقوف مع الحلفاء في محاولة

لتوعيتهم بالخطر من الميل للقوى المضادة في الصراع، فمثلاً في مقال في صحيفة فلسطين في 27 أغسطس/24 رجب 1359هـ/ دعت فيه إلى نسيان وتجاهل سياسات الحلفاء السابقة مع العرب والمقارنة بين العقيدتين السياسيتين للحلفاء والمحور لمعرفة أيهما أصلح للوقوف معها وتأييدها. وفي عدد آخر من جريدة فلسطين في 20 ديسمبر 1941م/2 ذي الحجة1360هـ/ في الافتتاحية ركز الكاتب على التأييد للحلفاء والتعاون معهم في المشاريع المالية التي طرحت لمساندة المجهود الحربي واصفاً المعسكر الآخر بقوى الشر الذي يحمل نظاماً جديداً يحاول فرضه على العالم بالنار والدم(13).

وتشابه موقف جريدة الدفاع مع جريدة فلسطين، فأظهرت الكثير من السخط بعد دخول إيطاليا الحرب وعلقت بحرارة على عدم التعاطف مع دول المحور، وركزت على التوعية بأن انتصار النازي يعني نهاية الإمبراطورية البريطانية واحتلال فلسطين من قبل ألمانيا وإيطاليا.

وهكذا فقد ظهر أن هاتين الصحيفتين من أكبر المؤيدين للتعاون مع الحكومة ولا يخفى أنهما من أكبر الصحف المحلية وأقدمها(14).

وبالإضافة إلى نشاط الصحافة في الدعاية للحلفاء، كان للإذاعة أيضاً دورها الفاعل، فقد تحدث عدد من الأدباء والمفكرين العرب والزعماء في الإذاعة الفلسطينية عن الحرب، وكان لأحاديثهم تأثير كبير. وكان موقف عرب فلسطين المؤيد للحلفاء في الحرب يستند على دعامتين:

- الأولى: أن الأمل يتجدد بأن تقدر بريطانيا لهم هذا الموقف وتفي بوعودها على الوجه المرضي، فهم يعلمون أن إظهار العداء لبريطانيا سوف يضعف من موقفهم بعد الحرب، خاصة وأنهم يرغبون في فتح صفحة جديدة معهم.

- الثانية: هي خوف العرب من الاحتلال الألماني، فهم يعتقدون أن الشيطان الذي تعرفه أفضل من الشيطان الذي لا تعرفه، ويخشون من الاحتلال الإيطالي الذي سمعوا عنه روايات مفزعة في ليبيا والحبشة(15).

وخير تعبير عن حقيقة هذا الاتجاه نجده على لسان أحد وجهاء غزة في لقائه مع حاكم اللواء، إذ قال: (أعترف بصراحة أنني كنت أعمل ضدكم خلال السنوات القليلة الماضية ولا أحبكم الآن، ولكنني أدرك بأنني إذا لم أعمل بجانبكم في الوقت الحاضر، وإذا خسرت بريطانيا الحرب، حلت إيطاليا محلها في فلسطين، وسوف نخسر نحن العرب العمل الذي قمنا به خلال خمسة وعشرين سنة خلت من أجل الاستقلال، وبناء على ما تقدم أؤكد لكم دعمي الكامل لكم بكل ما أملك من قوة)(16).

ولكن هذا الموقف السابق لعرب فلسطين والمؤيد لبريطانيا وحلفائها لم يكن يشمل كل عرب فلسطين، فقد ظهر لدى البعض ميل واضح لانتصار المحور. فقد أذهلت انتصارات ألمانيا السريعة عرب فلسطين، وساد شعور بأن النازي تغلب إلى حد ما على بريطانيا، وأكثر ما أثار إعجابهم انتصارات هتلر (Hitler) البرية. وقد كسب شهرة أسطورية كقوة لم يتمكن الحلفاء من الوقوف أمامها. وشعروا أن الأمور تسير ببريطانيا نحو الأسوأ في أول مواجهة واختبار لقوتهم ضد هتلر (Hitler)، واعتبروا أن الهزيمة البريطانية هزيمة يهودية، وهو أمر لا يزعج العرب على الإطلاق، فسرعة التقدم الألماني كانت في نظرهم نوعاً من الإعجاز، فمثلاً كان رواد مقهى في الناصرة

يستمعون إلى الأخبار من إذاعة القاهرة، وفي خلال فترة التوقف القصيرة صاح أحد الحاضرين بأن المذيع ذهب إلى النافذة في الأستوديو ليرى إن كان هتلر قد دخل القاهرة أم لا، وهذا يدل على مدى الانبهار والإعجاب بهتلر (Hitler) وجيوشه، فأحمد الشقيري يذكر أن عرب فلسطين كانت: (عواطفهم ودعواتهم موجهة للمحور وعلى رأسها هتلر (Hitler) يقودهم من نصر إلى نصر)(17).

وفي عام 1941م/1360هـ/ تم تعليق ملصقات على جدران مدينة الخليل معادية لبريطانيا ومؤيدة لهتلر (Hitler). كما رفضت قرى في مناطق الخليل ونابلس وغزة دفع الضرائب خلال شهري يونيو ويوليو باعتبار أن عملية طرد الإنجليز من فلسطين ستتم قريباً بسبب انتصارات المحور. فقد كتب حاكم اللواء في تقريره عن هذا الأمر: (جلس جامع الضرائب أربعة أيام في إحدى القرى دون أن يجمع أي شيء. وقد تعلل الفلاحون بالفقر. ولكن من الواضح أنهم يعملون على تأخير الدفع بسبب الوضع السياسي غير المستقر، وقد جمعت الضرائب بعد ذلك بمساعدة الشرطة)(18).

ومما دعم هذه الاتجاهات المؤيدة للمحور قوة الدعاية التي كانت تبثها برلين وباري في 1941/10/3م (1360/9/13هـ)، جاء في إذاعة برلين ما يلي:

(تشعر ألمانيا بصداقة قوية نحو العرب وتتمنى لهم مكاناً سعيداً في الأرض يليق بهم، وتنظر باعتزاز إلى نضال الأمة العربية، ويمكن للدول العربية أن تعتمد في نضالها من أجل الاستقلال على تعاطف ألمانيا في المستقبل)(19). وعلى الرغم من غموض هذا التصريح وضعفه إلا أنه يدل على الرغبة في التأثير بشكل أكبر على العرب وكسب عواطفهم إلى جانبها، وقد تركز المؤيدون للمحور في أوساط الشباب والطبقات الوسطى والفقيرة. ومن أهم الدوافع التي دفعت البعض إلى تأييد المحور، ضعف آمالهم في مصداقية الحلفاء، كما أثبتت ذلك تجربة الحرب العالمية الأولى، فانتصارهم في الحرب الثانية سيكون وبالاً على العرب. لذلك أخذوا يتوقعون وصول الجيوش الظافرة إلى مصر وفلسطين ليفرحوا بهزيمة بريطانيا التي ستكون في صالح العرب حيث سيقضي على وعد بلفور، وستحصل فلسطين على استقلالها، فالكراهية الشديدة للاستعمار والعداء التقليدي لبريطانيا لم يدع لدى عرب فلسطين أملاً في الاستقلال على أيديهم، وإن كان الحلفاء ينادون بالمبادئ الإنسانية وبالديمقراطية في عالم حر جديد، فالعرب لم يلمسوا لهذه المبادئ أي أثر على مدى ربع قرن. ومن هنا كان تأييدهم للمحور على الصعيدين النفسي والعاطفي له مبرراته. وكانت انتصارات المحور تقابل بالفرحة في الأوساط الشعبية، فهؤلاء لا تعنيهم المبادئ النازية في قليل أو كثير.

ويرى البعض أن هذا الميل والدعم لقوى المحور لم يتعد نطاق المشاعر العاطفية، ولم يخرج عن حيز التمني ولم يترجم إلى مواقف مؤيدة أو مساندة بصورة فعلية للمحور في الحرب، فالعرب لم يشتركوا مع المحور والقليلون الذين انضموا لصفوفهم كانوا يقيمون في ألمانيا وإيطاليا لأن دول الحلفاء طردتهم وعددهم أقل من العرب الذين تطوعوا مع الحلفاء، أما بالنسبة لمظاهر التأييد للحلفاء والتي سبق ذكرها فيمكن تفسيرها بأنها إيحاء من السلطة لأن كل الذين قاموا بها تغلب عليهم الصفة الرسمية أو شبه الرسمية أي لا تمثل التيار الشعبي(20).

مساهمة الفلسطينيين في الحرب

لو أردنا أن نتعرف على الموقف الحقيقي لعرب فلسطين من الحرب فإن التعرف على حركة التطوع التي دعت لها الحكومة البريطانية في فلسطين وشملت كلاً من العرب واليهود، تلقي ضوءاً يساعد على تفهم موقف عرب فلسطين، ولكن تباينت وجهات النظر أيضاً في مسألة التطوع. فمنهم من وقف موقفاً سلبياً منها،لأن معاناتهم على أيدي بريطانيا لا تزال قريبة ماثلة في أذهانهم، فبريطانيا هي سبب البلاء فهي التي أصدرت وعد بلفور، وهي التي قامت سياستها في فلسطين على إنشاء الوطن القومي اليهودي، وأما وجهة النظر الأخرى في مسألة التطوع ترى أنه لا بأس من التطوع في الجيش البريطاني للتدريب على القتال والاستعداد بعد ذلك للمعركة التي ستنشب بين العرب واليهود، كما أن العرب أرادوا ألا يتركوا المجال لليهود وحدهم، فلا بد أن يشاركوا لكسب ثقة بريطانيا وصداقتها لحل قضاياهم(21). ومنذ دخول إيطاليا الحرب أصبحت هناك حاجة لتشكيل قوات محلية للدفاع عن النفس، وفي يوليو 1940م/جمادى الأولى 1359هـ/ قررت اللجنة السياسية العسكرية في الشرق الأوسط التابعة لمجلس الوزراء تكوين ست فصائل فلسطينية، ثلاث منها لليهود وثلاث للعرب، على أن تكون الفصائل الست المكونة من ألف رجل، لكل منها مسئوليات قتالية محددة وتحمل نفس اسم سلاح المشاة البريطاني، وكانت عملية التجنيد تتم بأعداد متساوية لأسباب سياسية(22). بالإضافة إلى هذه الفرق أو الكتائب المنفصلة شكل العرب أكثرية فرقة الكوماندوز الفلسطينية الواحدة والخمسين(23).

وتم جمع المتطوعين وحثهم على المشاركة في الخدمة في الجيش البريطاني بعدة طرق ووسائل، فقد وجّه المندوب السامي نداء مشتركاً مع القائد العام في سبتمبر 1941م/شعبان – رجب 1360هـ/، إلى جميع الفلسطينيين للتطوع لتشكيل سرايا تلحق بالجيش البريطاني للتدريب والقتال خارج فلسطين وداخلها(24). وتم افتتاح حملة التجنيد العربية في اجتماع بدار الحكومة في 14 سبتمبر 1941م(1360/8/23هـ). حضره ممثلون عرب عن الألوية الست وتحدث فيه المندوب السامي والقائد العسكري وعدد من المخاتير وعلى رأسهم رئيس بلدية القدس راسم الخالدي، وسليمان طوقان رئيس بلدية نابلس، فأشادوا بالتطوع واحتج طوقان أن تقتصر مهمة المتطوعين في الدفاع عن فلسطين، بل ذكر أن معظمهم يرغب في المشاركة مع القوات التي تعمل بالصحراء الغربية، كما عقد اجتماع آخر في 20 ديسمبر 1941م(1360/12/2هـ) في المدرسة البكرية في القدس حضره وجهاء ومخاتير وأعيان المدينة، كما حضره كبار رجال الانتداب والضباط، كما حضره عجاج نويهض مراقب البرامج الإذاعية ومراسلون من جريدتي الدفاع وفلسطين، وكان الهدف من هذا الاجتماع بحث شئون التطوّع، وبدأ الحديث حاكم لواء القدس مشيداً بالعلاقات البريطانية الفلسطينية وما لبريطانيا من أيادي بيضاء على العرب، خاصة بالنسبة للتعليم، لذلك فالواجب يحتم عليهم الوقوف إلى جانب بريطانيا، وما لهذا العمل من قدسية قائلاً: (نحن نريد رجالاً بل جميع الرجال الذين يمكن الحصول عليهم ولست أطلب شيئاً كثيراً). ثم تحدث رشيد عبد الفتاح الضابط العربي في الجيش البريطاني

مشيراً إلى ارتباط العالم العربي والإسلامي ببريطانيا وعدد المزايا التي يحصل عليها المتطوعون وعائلاتهم. وآخر الكلمات قالها عجاج نويهض فأشاد بالاجتماع وذكر الحاضرين بموقف العرب المشرّف في الحرب العالمية الأولى، ودعا إلى الوقوف هذه المرة أيضاً إلى جانب الحلفاء من أجل مصلحتهم وللدفاع عن وطنهم لتحقيق أمانيهم، ووصف التطوّع بأنه الطريق الوحيد لتأسيس جيش قوي مزود بالأسلحة وطلائع هذا الجيش هم المتطوعون. ثم تقرر تأليف لجان في جميع أنحاء البلاد تدعو للتطوع، وتكون مسئولة عنهم وشارك فيها أعضاء من جميع أقضية فلسطين(25). واستمر عقد الاجتماعات للحث على التطوّع والعمل على زيادة الإقبال عليه، فعقدت اجتماعات تحث على التطوعّ خلال عام 1942م/1361هـ/ في عدد من المدن شملت بيت لحم وأريحا ورام الله والخليل، ولم تكن الاجتماعات هي الوسيلة الوحيدة لحشد المتطوعين. فقد أخذ الضابط العربي رشيد عبد الفتاح يتجول في القرى ويدعو للتطوّع، وكان يلقى تشجيعاً ومؤازرة في كل رحلاته ونشاطاته(26).

ولكي تضمن السلطات البريطانية نجاح هذه الحملة، فقد قدمت كثيراً من التسهيلات للمتطوعين، فشكلت عدة لجان مهمتها الترفيه عن المتطوعين تقدّم لهم هدايا وبعضها خصص طبيباً لمعالجة عائلاتهم بالمجان، كما حرصت قيادة الجيش على تيسير فرص العمل للمتطوعين السابقين الذين خرجوا من الجيش لأسباب صحية. كما عملت السلطات على صرف رواتب لزوجات وأطفال المتطوعين(27). وأعلنت وزارة الحربية أن الحد الأعلى للإعانة سيزداد، وكنوع من التقدير الأدبي لهؤلاء المتطوعين كانت تقام المهرجانات التي تعرض فيها فرق المتطوعين وترفع الأعلام ويحيى فيها الجنود. ومما يؤكد ذلك تقرير لأحد مراسلي جريدة الدفاع كتبه بعد زيارته لأحد معسكرات المتطوعين في مكان ما من لواء حيفا. فوصف أحوالهم بأنها جيدة وصرّح لهم أحد المتطوعين بقوله: (إنهم بصحة جيدة ويشرف عليهم أطباء جيدون)(28). ولكن رغم كل هذه التسهيلات والمميزات التي منحتها السلطات البريطانية للمتطوعين إلا أن رواتبهم كانت زهيدة إذا ما قورنت بالوحدات البريطانية. وقد صرح وزير الحربية في مجلس العموم حين سئل عن ذلك بأن الوزارة لا ترى سبباً للعدول عن هذه الخطة. وهكذا يتضح أنه بالرغم من رغبة بريطانيا الشديدة لتقديم جميع الإغراءات للشباب العربي للتطوع في صفوف قواتها إلا أن معاملاتها لأولئك المتطوعين ظلت تقوم على أساس من التعسف والعنصرية والتمييز بين جنودهم الإنجليز والمتطوعين العرب(29).

وأما بالنسبة لمدى إقبال الشباب على التطوع، ففي البداية كانت المسألة مثار سخرية وتهكم وحتى الذي التحق بغير رضا أهله حملوا عليه، حتى دفع بالبعض إلى التظاهر بالجنون للتخلص من التطوّع. وعموماً فالإقبال على التطوّع في أوساط عرب فلسطين كان بطيئاً وفاتراً إذا ما قورن بدرجة إقبال اليهود. ولكن أخذ الإقبال يزداد على إثر انتصارات المحور عام 1360هـ(30).

ولقد تراوحت التقديرات عن أعداد المتطوعين العرب في صفوف القوات البريطانية ما بين 9000 – 12000 متطوع، وهكذا يتضح الفرق الشاسع بين الإقبال في أوساط العربي والإقبال في أوساط اليهود(31). وتعود ظاهرة قلة التطوع من جانب العرب، إلى العامل النفسي كحاجز بين العرب وبريطانيا، فإن ذكرياتهم المريرة حول الخدمة في الجيش التركي، حيث غادر فلسطين الشباب الصغار ولم يعد أحد يسمع عنهم. ولذلك وجدت فكرة التطوّع نفوراً

كبيراً من أبناء فلسطين. كما أن المسئولين عن التجنيد كانوا يرفضون العرب لافتقارهم لمستوى اللياقة البدنية الذي توافق عليه المجالس العسكرية.

كما انتشرت دعاية أطلقتها الدوائر المعادية بأن عائلات المتطوعين سوف يتعرضون للإرهاب، وغضب المفتي سوف ينصب على الذين يدعمون التطوع، وقد اعتقل رئيس بلدية المجدل في أكتوبر 1941م/رمضان 1360هـ/ الذي حذر المتطوعين بأنهم سوف يكونون بالخطوط الأمامية بينما يختبئ خلفهم الجنود البريطانيون. إضافة إلى حقيقة أدركها جميع العرب بان إخلاء عدد كبير من العائلات البريطانية بالسر جعل العرب يشعرون أن ذلك فألاً سيئاً ورأوا ضرورة التأني قبل التطوع فالأوضاع سيئة إلى درجة بالغة(32).

وبالرغم من قلة عدد المتطوعين، فقد شاركت أعداد كبيرة منهم في جبهات القتال في أفريقيا وأوروبا، كما اشتركت هذه الفرق مع الحملة البريطانية في فرنسا في بداية الحرب، وكذلك في حملة شمال أفريقيا والحبشة، والحملة اليونانية. وقد تعرض هؤلاء المقاتلون لأخطار الأسر والموت، ففي أعوام 1941م/1360هـ/، 1944م/1363هـ/، 1945م/1364هـ/ وصل عدد من الأسرى العرب الموجودين في ألمانيا، وتم تبادلهم وتعويضهم عما تجمد من رواتبهم خلال فترة الأسر. وعمل المجندون العرب في كافة قطاعات وحدات الجيش البريطاني في سلاح المهندسين، وفي فرق السيارات التي شاركت مع الجيش البريطاني في الصحراء الغربية(33)، وفي أعمال يدوية أخرى كالطهي وغسيل الملابس.

وهكذا رأينا أن مسألة تطوّع العرب في الجيش البريطاني أمر لا يمكن إغفاله، وفي نفس الوقت لا يعتبر اتجاهاً سائداً لدى عرب فلسطين بل هي في حقيقتها ظاهرة من إفرازات الحرب في أوساط القلة من عرب فلسطين. ولا ننسى أن العامل الاقتصادي ربما كان المحرك الأساسي للمتطوعين العرب، فقد جاء معظمهم من أوساط فقيرة. وكذلك ربما كان لعامل المغامرة الشخصي مكان في نفوس بعض المتطوعين.

* * *

القوى السياسية الفلسطينية

كانت القوى السياسية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية تتمثل في أكثر من مظهر، فخلافاً للأحزاب السياسية القديمة التي نشأت في الثلاثينات فقد ولدت أحزاب سياسية وتشكيلات جديدة تمخضت عنها الحرب، إضافة إلى النشاط السياسي الذي ظهر كرد فعل وصدى للمشاريع الوحدوية التي ترددت في العواصم العربية.

أ- الأحزاب السياسية التقليدية:

في السنوات الأولى للحرب كان معظم القادة السياسيون في الخارج معتقلين أو هاربين من قبضة السلطة. كما أن اللجنة العربية العليا كهيئة سياسية وطنية كانت مختفية عن الساحة منذ أن حلّت في عام 1937م/1356هـ/، وبالتالي فإن رؤساء الأحزاب السياسية الرئيسية والذين هم أنفسهم أعضاء في اللجنة غير موجودين في فلسطين(34). كما أن الحكومة البريطانية تشددت في تطبيق أنظمة الطوارئ وقانون الدفاع ضد العرب، فاعتقلت وسجنت المئات منهم وأبقت حظرها على الشباب الوطنيين داخل فلسطين نظراً لدورهم خلال الثورة. ولكن بعد عام 1942م/1361هـ/، والذي يعتبر حداً حاسماً لأفول نجم المحور وارتفاع أسهم الحلفاء(35)، شعرت السلطات البريطانية في فلسطين بنوع من الطمأنينة، فأخذت تخفف من قبضتها على النشاط السياسي وتغض الطرف عن المحاولات المتعثرة لإذكاء روح الحياة مرة أخرى في المؤسسات السياسية.

الحزب العربي الفلسطيني:

كان هذا الحزب يمثل مركز الثقل في الحركة الوطنية، فزعماؤه كانوا في المنفى معتقلين أو لاجئين لدى دول المحور في أوروبا، فلم يكن لهذا أثر سياسي فعّال في فلسطين في السنوات الأولى من الحرب، وبعد تغيّر ميزان القوى في صالح الحلفاء، أخذ النداء يرتفع لتشكيل قيادة وطنية قوية لتمثل البلاد في مشاورات الوحدة العربية التي كانت حديث الأوساط السياسية في العواصم العربية. كما أن التصريحات الأمريكية المساندة للصهيونية حتمت ضرورة نبذ الخلافات الداخلية وتنظيم الصفوف(36).

ونتيجة لكل هذه العوامل تخوّف الحسينيون، زعماء الحزب العربي، من أن نفوذهم وسلطتهم غير كافية لتحقيق وضع سياسي بارز على الساحة الفلسطينية، وشعروا أن التزامهم الصمت والابتعاد عن النشاط قد يؤدي إلى انخفاض نسبة شعبيتهم، ومن ثم ظهور قيادة جديدة تحلّ محلهم. وقد عجل هذا في اتخاذ زعماء الحزب العربي القرار بالعودة إلى العمل السياسي. وقد شهدت عملية إحياء الحزب اجتماعاً في القدس في 1943/11/26م (1362/11/29هـ) حضره الحسينيون ومؤيدوهم وأقاربهم من مختلف أنحاء فلسطين، واعتبر المجتمعون أنفسهم بمثابة الجمعية العمومية للحزب فصوتوا لاستئناف نشاطه، وبدأت الجهود لتنظيم الحزب وبالفعل أعيد تشكيله رسمياً في 28 أبريل 1944م/جمادى الأولى1363هـ/، وكان لأميل الغوري دور فعّال لعودة الحياة للحزب، فعقد اجتماع بالقدس وتشكلت من الحضور اللجنة المركزية للحزب وكونوا نواة اللجان الفرعية، كما تم تشكيل لجنة تنفيذية.

وقرر الحزب الاحتفاظ بالزعامة لجمال الحسيني الذي كان معتقلاً في روديسيا، وتم اختيار أخيه توفيق الحسيني نائباً له، على الرغم من وجود أشخاص أكفأ منه، ولكنه يمتاز عنهم جميعاً بصلة القربى برئيس الحزب(37). وقصد بانتخابه تجسيد حقيقة بأن المنصب ترك شاغراً لجمال الحسيني. وتكمن قوة الحزب الحقيقية في السكرتير أميل الغوري، فهو يتمتع بالصلاحية والقوة التي يدير بها الحزب لكافة الأغراض والأهداف، فقد كان جمال في سجنه يرسل كافة مراسلاته للسكرتير، ولم يرسل إلا عدداً قليلاً من الرسائل إلى أخيه الدجاني حيث ينتميان لفرع

الحزب في يافا، ويرجع ذلك إلى تأثيرهما وسلطتهما ومكانة الفرع، وكان رئيس الحزب والسكرتير العام يشاوران هذين الرجلين ويؤخذ برأيهما في المسائل المالية والتنظيمية وكذلك السياسية. ويمثل هؤلاء الأربعة هيئة اتخاذ القرار في الحزب. ورغم أن جمال كان في الاعتقال إلا أنه عمل ما في وسعه ليكون الرئيس الفعلي للحزب، وكان يحاول أن يكون على اتصال دائم بالحزب، ولاقت إعادة تنظيم الحزب تجاوباً شعبياً فاستطاع بسهولة أن يعيد الحياة في فروعه المنتشرة، وكانت أهم أهدافه تأسيس شبكة على مستوى الأمة والاستمرار في نشاطاته لقطع الطريق أمام الأحزاب الأخرى للاستيلاء على قيادة الحركة الوطنية (38).

ولتحقيق هذا الهدف تم التوسع في افتتاح الفروع، كما زاد أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب، وكان قادة الحزب يسعون من وراء تعبئة الحزب إلى الوصول إلى أعلى حد من التأييد والدعم من خلال وسائل حديثة، لذا كانت هناك وسائل اتصال بين المركز الرئيسي والفروع بغرض نقل المعلومات والتقارير والتعليمات، وفي الوقت الذي كان لكل فرع الحق في اختيار ممثليه، كان للسكرتارية الحق في الاعتراض على المرشحين، وقد حرصت سكرتارية الحزب على كسب الشخصيات الهامة في المدن الأخرى والقرى للانضمام للفروع. ولكن أحياناً تشكلت بعض الفروع دون الرجوع إلى سكرتارية الحزب. ففرع الحزب في حيفا أعيد تشكيله قبل إحياء المراكز الرئيسية، كما لم تساعد السكرتارية الفروع في أحوالها المالية، فالعلاقة بين الفروع والحزب غير محددة، ولم يكن للفروع تأثير على سياسة الحزب، واعتبرت الفروع آلات ووسائل لجمع الأموال وتعبئة الجماهير للمظاهرات، كما سيطرت النزاعات التقليدية العائلية على فروع الحزب. وبالرغم من محاولة قادة الحزب فرض التنظيم العصري على الحزب إلا أنه لم يمس التركيبة التقليدية، فلم يتغير التوازن الداخلي للسلطة، ولم يعمل على وضع نهاية للتنافس القديم بين العائلات وبين الأحزاب بعضها البعض، وفي داخل الحزب نفسه.

والنشاط الآخر الذي مارسه الحزب في فترة محدودة كان يسير للعمل على حمل الحكومة البريطانية على العفو عن المنفيين في الخارج وإطلاق سراح المعتقلين، وهذا يعتبر من أهداف الحزب الأولى. وقبل أن يعاود الحزب نشاطه كانت محاولات لإقناع الحكومة بالسماح لجمال الحسيني بالعودة إلى فلسطين، وقد حاولوا في نداءاتهم المتكررة خلق انطباع غير صحيح بأنه يعارض سياسة المفتي، ويمكن أن تستغل الحكومة ذلك لتدمير نفوذ المفتي. والمفهوم أن أتباع المفتي يقومون بذلك على اعتبار أن عودة جمال هي الأمل في الإبقاء على النشاط السياسي للحزب. وحتى بعد أن أعاد الحزب نشاطه بشكل رسمي لم يغفل عن هذا المطلب بل أخذ يكرره وبإلحاح، وخاصة بعد أن أصبح الانتصار للحلفاء أمراً واضحاً، ولم يعد الطلب بإطلاق سراح جمال الحسيني فقط بل كافة المنفيين والمعتقلين، وفي أبريل 1944م/ربيع ثاني1363هـ/ رفع الحزب مذكرة للخارجية يطالب بإطلاق سراح جمال الحسيني وأمين التميمي، وفي رد لحاكم لواء اللد على فرع الحزب الذي طالب بالعفو عن المعتقلين يتضح أن سياسة الحكومة البريطانية في هذا الاتجاه أن تماطل في الأمر لأنها تشترط ألا يخل خروجهم بالأمن العام وألا يكونوا من المشتبهين(39).

وهناك نشاط سياسي آخر قام به الحزب، وكان بمثابة عمل تمارسه سكرتارية الحزب بشكل شبه يومي، وتمثل في إصدار البيانات والمذكرات وتوجيهها إلى حكومة فلسطين وبعض الحكومات الأخرى. ففي ديسمبر عام 1944م/ذي الحجة 1363هـ/ بعث الحزب بمذكرة وافية إلى المندوب السامي تحتوي على المطالبة بتحقيق المطالب الوطنية لعرب فلسطين، وفي نفس العام بعث الحزب رسالتين الأولى للرئيس الأمريكي روزفلت والأخرى لوزير المستعمرات البريطاني، يلتمس فيها مطالب تقدم على أساس ميثاق الأطلنطي. كما حرص الحزب على انتهاز فرصة وجود وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الأوسط إدوارد جريج (Edward Grigg) في زيارة لفلسطين في عام 1945م/1364هـ/، فأعد مذكرة وافية عن تطورات القضية الفلسطينية مع أهم مطالبهم وتم رفعها له. كما لم يغفل الحزب عن متابعة ما يصدر عن بريطانيا من سياسة تخطط للتنفيذ في فلسطين، فبعد تصريح وزير المستعمرات في فبراير 1945م/ صفر – ربيع أول 1364هـ/، والذي جاء فيه أن حكومته ستنظر بعد الحرب إلى قضية فلسطين والوصول إلى تسوية ترضي العرب واليهود، فأصدر الحزب بياناً فيه احتجاج على هذا وتأكيد أن العرب لا يقبلوا بحل مناقض لميثاقهم القومي الذي ناضلوا في سبيله، ولن يرتبطوا بقرار لا يقترن بموافقتهم(40).

ومن فعاليات الحزب السياسية الأخرى الاجتماعات التي يعقدها المكتب الرئيسي أو الفروع وتتم بشكل دوري وفي المناسبات الوطنية. وأما المواضيع التي تكون مدار بحث في هذه الاجتماعات فكانت تتشابه، وإن لم تتطابق فتتم مناقشة أهداف الحزب والموقف السياسي الحالي. كما يتم التأكيد على الالتزام بالمطالب الوطنية. وفي أبريل 1945م/1364هـ/ عقد اجتماع للحزب في القدس تم الترحيب فيه بقرار تأسيس شركة لإنقاذ الأراضي، وتقرر تأسيس لجنة من الهيئة الإدارية بغرض متابعة مسألة الأراضي. وفي الاجتماع الآخر تم بحث شكاوى المساجين من المعاملة السيئة التي يعاملون بها، وشكل الحزب لجنة للاعتناء بالمساجين، وكان يتم جمع الأموال للجنة من فروع الحزب. كما بحثت شكاوى المزارعين من التدابير التي اتخذتها الحكومة لتوزيع المياه. كما عقدت أيضاً اجتماعات شعبية في يونيو 1945م/رجب 1364هـ/ في القدس بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس الحزب وألقيت فيها خطب حماسية، وتم اتخاذ قرارات بالمطالبة بإعادة المبعدين، والمطالبة بوقف الهجرة، وتأييد موسى العلمي في مهمته بالجامعة العربية في القاهرة، والاحتجاج على استمرار تسرب الأراضي. وكان الهدف من هذه الاجتماعات الجماهيرية إعطاء المؤيدين المحليين للحزب الانطباع بأنهم يشاركون في العملية السياسية، ونوع من استعراض القوة للتأثير على خصوم الحزب والرأي العام(41).

كما قام أميل الغوري يسانده توفيق الحسيني وبجهد شخصي بمراسلة المهاجرين العرب في الولايات المتحدة الأمريكية معلنين استئناف الحزب لنشاطه، مطالبين بالدعم المادي، وتبادلوا الآراء مع المهاجرين وطالبوا بمواجهة الدعاية الصهيونية، واقترح أميل الغوري عقد مؤتمر لجمع الأموال وإرسالها إلى مقر الحزب في القدس(42)، كما بعثوا مذكرات إلى عدد من الأساقفة والصحف البريطانية لإيضاح وشرح وجهة النظر العربية، والغرض من بعث المذكرات الإيحاء بان الحزب العربي يمثل الشعب الفلسطيني، وأنه حزب يمثل أكثر عرب فلسطين.

أما بالنسبة لمسألة تمويل الحزب فيتم تحصيل ميزانيته عن طريق التبرعات ورسوم العضوية. وفي سنة

1945م/1364هـ/ لم تكن الأموال التي تم جمعها كافية، وكان على فروع القدس ويافا وحيفا القيام بجمع ألفي جنيه. وفرع نابلس جمع ألف جنيه، ولكن يبدو أن الفرع الأصلي لم يسلم المبالغ إذ كانت ميزانية الفرع تعاني عجزاً يساوي 1330 في نهاية السنة.

وكان الحزب يعاني(43) من منافسة حزب الاستقلال، فقد أعلن الحزب العربي معارضته لحزب الاستقلال حينما طالب الأخير بتنفيذ سياسة الكتاب الأبيض. وقد تركزت المنافسة أيضاً على صندوق الأمة الذي كان يقع تحت سيطرة الاستقلاليين وقد حاولت قيادة الحزب العربي السيطرة على هذه المؤسسة لحل أزمتها المالية(44). ولكن عند تقييمنا لدور الحزب في هذه الفترة نجد أنه نجح في منع أية قوة وطنية أخرى من السيطرة على الحركة الوطنية وقيادتها، وكان الدعم التقليدي لعائلة الحسيني مع استخدام الوسائل التنظيمية العربية وأساليب التعبئة المتقدمة، عوامل مساعدة لإضعاف الأحزاب الأخرى، ودفع الحزب العربي الفلسطيني إلى الطليعة بحلول عام 1946م/1365هـ/. وقد أعتبر أن نشاطه كان بغرض تجميد الأوضاع السياسية الداخلية، وهذا مما يدل على حالة الشلل والضعف التي سادت البلاد. فهو لم يضف شيئاً إلى ميزان القوى في الحركة الوطنية الفلسطينية(45). وإن كان هذا الرأي قاسياً جداً إلا أنه لا يخلو من جانب من الصحة. ولكن إذا أخذنا بالاعتبار الظروف السائدة، كغياب القيادة السياسية عن الساحة، وظروف الحرب، وانطفاء جذوة الحماس في النفوس، والأمل في تنفيذ الكتاب الأبيض لدى العامة، وانتظار نتيجة الحرب، أدركنا لماذا كان نشاط الحزب في هذه المرحلة سطحياً جداً.

حزب الدفاع:

ويعتبر هو حزب المعارضة، فهو الحزب العربي الوحيد الذي وافق على مشروع التقسيم سنة 1356هـ، وقبل الكتاب الأبيض بدون تحفظ، فاعتبره يحقق الأهداف العربية ومسألة تنفيذه أمنية العرب الوحيدة. وحين اندلعت الحرب ضاعف مؤيدو الحزب جهودهم من أجل كسب اعتراف الحكومة به كمتحدث رسمي وحيد بلسان عرب فلسطين. ولكن التأييد الشعبي لزعيم الحزب راغب النشاشيبي أخذ في التدهور، ولذلك سعى راغب للحصول على دعم من الحكومة، فأعلن موافقته على سياستها. وأشرف الحزب على أعتاب أزمة داخلية نتيجة للازدراء الشعبي لموقف زعيمه، وللتنافس الشخصي على الزعامة بين راغب وفخري النشاشيبي سكرتير الحزب، وكان الأخير يقوم بنشاط واسع ومكثف لكسب مؤيدين لخطته التي تقوم على العمل لتأسيس حزب جديد يحمل لواء المعارضة لعائلة الحسيني وللحزب العربي(46).

وقد تم بحث تكوين حزب جديد مستقل عن حزب الدفاع ويخضع لرعايته، وجرت بعض المناورات لبحث إمكانية دعم الحكومة له، كما حاول كسب تأييد الأمير عبد الله، ولكنه فشل لأن الأمير تردد في ربط نفسه بمستقبل فخري السياسي. ونجح فخري في أن يخضع جريدة "الصراط المستقيم " لنفوذه ويجعلها ناطقة باسمه، وللحصول على المزيد من التأييد الشعبي وافق فخري على فكرة إنشاء اتحاد عمال عرب جديد على أمل الحصول على مؤيدين(47).

ومن سلسلة نشاطات فخري المؤيدة للحكومة أنه عقد اجتماعاً موالياً للحكومة في القدس في فبراير 1940م/1359هـ/ للقضاء على الإشاعات المناهضة للحلفاء، كما عقد عدداً آخر من الاجتماعات، ولكن كل هذا لا يشير إلى أن الحزب أخذ يشق طريقة في ممارسة النشاط السياسي، وكان فخري يهدف من كل هذا أن تسلّط عليه الأضواء في المسرح السياسي على أمل أن يحين موعد تطبيق الخطوات الدستورية حسب الكتاب الأبيض، فتكون بالتالي كل جهوده حينئذ مكان تقدير. ولكن نشاط فخري لم يستمر فقد اغتيل في بغداد عام 1940م، وانتشرت إشاعات بأن اغتياله سوف يؤدي إلى عمليات انتقامية بشكل ينذر بتجدد العمليات "الإرهابية"، ويعتقد أن نشاطه الشخصي كان سبب اغتياله، لأنه لم يهدف إلى تحقيق هدف سياسي بالمعنى الشامل، إذ كان على خلاف عميق حتى مع أعضاء حزبه، فقد اتهم بأن له تجاوزات في مجال السياسة. وقد اتجهت أصابع الاتهام إلى المفتي وجماعته، فقد صرح أحد المؤيدين للمفتي بعد اغتيال فخري بأن حزب الدفاع أصبح عديم الجدوى(48). ولعدم توافر أدلة أكيدة فإننا لا نستطيع أن ننفي أو نؤكد هذه التهمة التي ألصقت بمؤيدي المفتي. والحقيقة أن نشاط فخري أدى إلى استياء وسخط من جانب مؤيديه ومعارضيه على حد سواء، ولذا دفع حياته ثمناً له، فالمندوب السامي في أحد تقاريره عند حديثه عن زعماء حزب الدفاع وصف راغب بأن الدهر أكل عليه وشرب، ثم وصف فخري بأن همه الوحيد منصب على تحقيق متعته الشخصية فقط، مما يؤكد أن تصرفاته أثارت الحنق عليه(49).
ومن الشخصيات الأخرى البارزة في حزب الدفاع سليمان طوقان، وهو من الوجوه المحترمة في الحزب، إذ كان مخلصاً لراغب النشاشيبي، واجتهد في إبعاد أكثر عضوين مؤثرين يرميان لاتخاذ موقف مستقل(50). كما قام باتصالات وتحركات عديدة مع السلطات والمطالبة بتنفيذ الكتاب الأبيض واتخاذ اللازم للبدء بتطبيق الخطوات الدستورية. كما حاول طوقان الحصول على تشجيع بتشكيل مجموعة جديدة تضم المعتدلين العرب الذين يرغبون في التعاون مع الحكومة. وإن كان بعد ذلك أوضح بأن مسألة تشكيل حزب غير عملية لأنه سيأخذ وقتاً وهدراً للمال وسيثير الأحزاب الأخرى، وفضلوا معالجة الأمر دون أساس حزبي. وفي الواقع أن محادثات سليمان طوقان لم تكن باسم حزب الدفاع بل بدأها بشكل شخصي، ولكن انتماء السابق للحزب يجعلنا نصنفها ضمن إطارات نشاط الحزب، وأن مطالعات تقارير هذه المحادثات تجعلنا ندرك أن سليمان كان متساهلاً جداً مع الحكومة، فقد وافق كل آراء المندوب حتى نال رضاهم. وقد امتدح المندوب السامي في رسالة إلى حكومته، موقف سليمان حين قال: "اتصف اللقاء بالوضوح التام وحسن النوايا كما خلا من المناوشات أو أية محاولة لمساومة بصورة مباشرة أو غير مباشرة". وأوصى المندوب بدعوة سليمان طوقان للمشاركة في طرح أي اقتراح (51). ويفسر ذلك بأن طوقان يريد أن يكسب رضا الحكومة ويحثها لتسارع في تنفيذ الكتاب الأبيض، وربما يهدف إلى مكاسب شخصية ودعم من الحكومة عند أية تسوية.

وبالرغم من أن حزب الدفاع هو الحزب الوحيد الذي ظل قائماً بشكل رسمي وظل يمارس نشاطه لأن زعماءه لم يتعرضوا للاعتقال أو النفي، إلا أن نشاطاته خلال فترة الحرب كانت عقمية وشبه معدومة. وقد اقتصرت نشاطاته

على الأمور الاجتماعية، كما أن عدم اهتمامه بالشعارات الوطنية كإنهاء الانتداب، جعل الحزب مثار شكوك الغالبية من رجال الحركة الوطنية.

حزب الاستقلال:

وهو كغيره من الأحزاب تم انضمامه إلى اللجنة العربية عند تشكيلها في بداية الإضراب، ثم تشتت أعضاء الحزب في سنوات الثورة. ولكن بعد اندلاع الحرب العالمية بدأ زعماؤه بالقيام بمجهودات للعودة إلى فلسطين. ووافقت الحكومة بشرط ألا يشاركوا في أية نشاطات سياسية، وعلى أثر ذلك عاد كل من أحمد حلمي عام 1940م/1359هـ/، ثم تبعه رشيد الحاج إبراهيم في مارس 1941م/1360هـ/، ولحق به في يوليو/جمادى الثانية/ من نفس العام عوني عبد الهادي. وتمكن هؤلاء من إعادة تنظيم الحزب في عام 1943م/1362هـ/ تمهيداً لإعادة نشاطه، وبعد سنوات من اتباع الحزب لسياسية معادية لبريطانيا نراه يتبنى سياسة التعاون مع السلطات البريطانية وخاصة بالنسبة للكتاب الأبيض. ففي مقابلة أجراها عوني عبد الهادي في نوفمبر 1941/ذو القعدة 1360هـ/ مع المندوب السامي، طالب عوني بتنفيذ الكتاب الأبيض، كما بعث أيضاً برسالة بهذا المعنى إلى حكومة فلسطين، وساد اعتقاد أن اتصاله كان بمباركة من السلطات البريطانية بهدف جعله الناطق الرسمي باسم هذه البلاد، ولكنهم تخلوا عنه فيما بعد، وخاصة أنه في مقابلته السابقة مع المندوب السامي أشاد بتطوّر العقلية البريطانية وامتدح الساسة الإنجليز. ومع ذلك لم تجر أية محاولات أخرى مما يؤكد أن بريطانيا قد نفضت يدها منه(52).

ومن النشاطات التي حاول قادة حزب الاستقلال ممارستها، محاولة توحيد الحركة الوطنية المحلية تحت قيادتهم بمساندة الحكومة. فقد حاول رشيد الحاج إبراهيم تأليف جبهة عربية موحدة ودعا إلى عقد اجتماع وطني في حيفا، وبالفعل تم ذلك في نوفمبر 1943م/ذي القعدة 1362هـ/ وتم انتخاب رشيد رئيساً، واتفق على إرسال مذكرة إلى المندوب السامي يطلبون الموافقة على عقد مؤتمر عربي عام تنبثق منه لجنة تنفيذية مسئولة. ولكن فشلت هذه المحاولة واتهم أنصار المفتي بإجهاضها(53).

وعندما باءت الوسائل السياسية التي اتخذها بالفشل، اتجهوا إلى انعاش الاقتصاد. فقام أحمد حلمي عبد الباقي بإعادة تأسيس البنك الزراعي الذي غيّر اسمه عام 1942م/1361هـ/ إلى البنك الوطني والذي اعتبر منافساً للبنك العربي المحدود الذي يعمل بتحالف مستتر مع الحزب العربي. والعداء بين البنكين لعب دوراً أساسياً في التأثير على مجرى السياسة في البلاد. كما تم إنشاء بنك الأمة العربية بجهود أحمد حلمي بغرض إنقاذ الأراضي من التسرب إلى أيدي اليهود. ونظم حملة قوية في كل أنحاء فلسطين لإبراز مخاطر شراء اليهود للأراضي العربية، كما قام بجمع المال وزادت هذه الحملة مؤقتاً من نفوذ رئيس الصندوق. وبالرغم من الاعتقاد بأن دوافعه كانت ذاتية وتجري محاولة لتعديل الهيئة الإدارية للصندوق لتمثيل الفئات والأحزاب الأخرى. كما سعى هذا البنك إلى فتح فروع له في عدد من المدن حتى تعمل على مراقبة الأراضي المهددة بالبيع، وإبلاغ الجهات المختصة لاتخاذ الإجراءات اللازمة

للحيلولة دون ذلك. وهذا ما حدث في مدينة صفد بالجليل في مارس 1944م/ربيع أول1363هـ/ باعتداء على أراضي العرب من قبل بعض الأجانب وبالقوة(54).

حزب الكتلة الوطنية:

وقد كان زعيمه ومؤسسه عبد اللطيف صلاح في الخارج منذ عام 1937م/1356هـ/ ولكنه عاد إلى البلاد في مارس 1940م/محرم 1359هـ/، وأخذ يعمل لتنظيم حزبه فأبدى نشاطاً غير يسير في ذلك ودعا إلى عقد اجتماع في يناير 1944م/ربيع الثاني1363هـ/ وحضره مئة وعشرون مندوباً وافتتحه زعيم الحزب عبد اللطيف صلاح، وتم توجيه دعوة إلى كافة الأحزاب والشخصيات الوطنية لتوحّد جهودها في سبيل نصرة قضيتهم (55). واستمر الحزب يعقد الاجتماعات، وفي أحدها في مايو/ جمادى الأولى/ من نفس العام أصدر قراراً اعتبر فيه الكتاب الأبيض قراراً حاسماً لإنهاء وعد بلفور، لهذا فهو يعتبره وثيقة ملزمة للحكومة، فلا بد للعمل على تنفيذه، وقد حان الوقت لذلك. ثم تقرر أيضاً رفع مذكرات إلى عدد من الحكومات. كما استمر في إصدار البيانات وبعث المذكرات، ففي مارس 1944م/ذو الحجة 1363هـ/ رفع مذكرة للمندوب السامي احتجاجاً على زيادة الضرائب بحجة عجز الميزانية. وفي أبريل 1944م/جمادى الأولى1364/ أرسل زعيم الحزب مذكرة إلى المندوب السامي ضمنها احتجاجاً شديداً على السياسة البريطانية المهادنة لليهود عكس موقفها مع العرب، فالحكومة تعمل لحساب اليهود على حساب مصالح العرب، لذلك يطالب بحل كل المؤسسات اليهودية واعتبارها غير قانونية، وطالب برفع مذكرته إلى وزير المستعمرات(56).

واستمر الحزب على سياسة إظهار الظلم الذي وقع على العرب من جراء السياسة البريطانية حتى في المذكرة التي رفعها الحزب بمناسبة قدوم المندوب السامي الجديد في يناير 1945م/صفر1364هـ/. ونتيجة لهذا النشاط الذي مارسه الحزب ظهر وكأنه ثاني حزب منظم بعد الحزب العربي، وفي الحقيقة كان نشاطه لا يخرج عن نطاق نشاطات الأحزاب الأخرى من حيث اكتفائه بالمذكرات والبيانات وربما كان ذلك أقصى ما في استطاعته(57).

حزب مؤتمر الشباب:

ويرأسه يعقوب الغصين الذي كان في لبنان مع بقية زعماء الأحزاب(58)، ولكنه عاد إلى فلسطين في مارس 1940م/محرم 1359هـ/، وفي نوفمبر 1944م/ ذي الحجة 1363هـ/ اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب في مدينة الرملة المقر الرئيسي للحزب، وتناول البحث الوضع الراهن والظروف المستجدة والتحديات التي يواجهونها، وتناول البحث أيضاً ميزانية الحزب فاكتتب الحاضرون لجمع المبلغ. وفي بداية عام 1945م/صفر 1364هـ/ رفع مكتب اللجنة التنفيذية للحزب مذكرة وافية إلى المندوب السامي مشيراً إلى الموقف الحكيم لعرب فلسطين مع بريطانيا خلال الحرب، وأكد على المطالب الوطنية التقليدية، وفي النهاية أشاد المكتب بالمصالح المتبادلة بين العرب وبريطانيا وأن تدعيم هذه الصداقة يعتمد بالدرجة الأولى على معالجة قضية فلسطين لما لها من أهمية في

العالمين العربي والإسلامي، كما أرسل المكتب التنفيذي في مارس/ربيع أول/ رسالة قصرها على المطالبة بإعادة المبعدين العرب من فلسطين، وحيث أن الظروف تحسنت وأزالت أسباب إبعادهم فإن مكتب اللجنة التنفيذية للحزب يطلب درس قضيتهم من جديد والسماح لهم بالعودة مع السماح لوفد من أهل البلاد بزيارتهم. كما درست اللجنة التنفيذية في أحد اجتماعاتها ضرورة بذل الجهد لقيام جبهة وطنية على أسس قومية. وقد انتهت لجنة لدراسة الوسائل والاتصال بباقي الشخصيات السياسية في البلاد كمؤنس العلمي(59).

لم يكتف الحزب بالمذكرات والبيانات بل شكل وفداً يمثل الحزب وقام بزيارة مساعد حاكم لواء الرملة في مايو 1945م/جمادى الثانية 1364هـ/ مطالباً أن يشمل العفو المعتقلينبناء على القرار الذي أصدرته الحكومة للغائبين عن البلاد. ثم اتجه النقاش إلى تسرب الأراضي إلى اليهود. ولم يقصر الحزب اهتماماته على الناحية السياسية، فقد اهتم بأحوال المساجين السيئة حتى تقرر تأليف لجنة مركزية عليا للعناية بهم، مع تخصيص يوم في السنة تجمع فيه التبرعات لهم، والسعي لدى المحامين لتأليف لجنة تعمل من أجلهم(60). وهكذا نرى أن هذا الحزب لا يختلف عن غيره من الأحزاب التقليدية التي ظهرت في الثلاثينات، فقد قام بنشاط مكثف في فترة زمنية قصيرة نسبياً. ويتبين لنا من هذه الدراسة الموجزة لنشاط الأحزاب السياسية الفلسطينية التقليدية، أنه لم يكن لها ذلك الأثر الفعّال في النشاط السياسي خلال سنوات الحرب.

مظاهر النشاط السياسي:

لقد برزت على الساحة السياسية في فلسطين خلال فترة الحرب نشاطات تصنف داخل الإطار السياسي، وفي نفس الوقت لا تدخل في إطار نشاطات الأحزاب السابقة، بل هي في مجملها نشاط سياسي لعرب فلسطين ذوي الانتماءات المختلفة. وبما أن هذه الممارسات تعني الباحث في النشاط السياسي لعرب فلسطين في هذه الفترة، لذا لا غنى عن دراستها(61).

وأبرز هذه النشاطات المحاولات المستمرة لإعادة البنية السياسية المتمثلة في إيجاد هيئة أو لجنة تمثل عرب فلسطين بهدف تنسيق الأعمال الوطنية ولتنظيم الدعاية للقضية العربية وتوثيق الروابط مع الأقطار والجهات اللازمة ولتحل محل الأحزاب القديمة التي دخلت مرحلة الخسوف(62). وقد كانت هذه الفكرة حلماً راود الأحزاب التقليدية التي سعت لتنفيذها على أمل السيطرة على الحركة الوطنية وقيادتها(63). وكان للإرهاب اليهودي ضد الإدارة الحكومية أثره في توفير مناخ مناسب لتشكيل حركة جديدة. وبدأت هذه المحاولة في حيفا بعد فشل محاولة رشيد الحاج إبراهيم الأولى(64)، ثم ظهرت هذه الفكرة مرة أخرى خلال انعقاد مؤتمر الغرف التجارية الخامس عشر في 12 نوفمبر 1943م/ذي القعدة 1362هـ/ وقرر المؤتمر تأليف هيئة سياسية عربية، لذلك تألفت لجنة تحضيرية مكونة من اللجنة التنفيذية لمؤتمر الغرف التجارية وأعضاء اللجنة العربية العليا الموجودين، وأعضاء مؤتمر لندن، ورؤساء البلديات العربية، وأصحاب الصحف، لانتخاب لجنة تنفيذية سياسية تنطق باسم العرب، وتم انتخاب أحمد حلمي ورشيد الحاج إبراهيم كنائبين للرئيس الذي لم يحدد

اسمه، ويعلّق دروزة على هذا القرار بأنه معقول ويدل على أن الروح الوطنية هي المسيطرة وأن اسم اللجنة العربية ووفد لندن وهما متصلان بالثورة الكبرى لا يزال لهما الاعتبار القوي في البلاد، وقد دلل هذا التحرك على الرغبة في موازنة التأثير الصهيوني خارجياً عن طريق جمع مؤازري العرب كرد فعل عربي على الدعاية الصهيونية(65). وإثر ذلك وجه أحمد حلمي دعوة إلى اجتماع اللجنة التحضيرية الذي عقد في القدس في 18نوفمبر 1943م/ذي القعدة 1362هـ/. واتخذ في هذا الاجتماع عدد من القرارات وأهمها: تأليف لجنة عربية سياسية جديدة باسم الوفد على الأساس الذي تألفت عليه لجنة عام 1936م /1355هـ/(66). على أن تمثل هذه اللجنة فلسطين في مشاورات الوحدة العربية المزمع عقدها. وتم المطالبة بإعادة المبعدين والعفو عن المعتقلين السياسيين، وكان أغلب الحاضرين لهذه الاجتماعات من المجلسيين(67). ومسألة حضور رؤساء البلديات مع أنهم صفة حكومية يعني أنه نشاط معارضين ومعتدلين وشبه رسميين(68). وتكونت اللجنة التي عرفت باسم الوفد من راغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وأحمد حلمي وعبد اللطيف صلاح. ولكن لم يكتب لهذه اللجنة أن ترى النور بالرغم من أنها شارفت على النجاح، وكان من أهم أسباب فشلها عدم قدرة أحمد حلمي على إبعاد الأعضاء المجلسيين أو الاستغناء عنهم، كما كان لتردد راغب النشاشيبي في التعاون، ومنعه لسليمان طوقان بالتعاون الإيجابي بدلاً منه حال دون نجاح هذه اللجنة(69).

ولم تكن هذه هي المحاولة النهائية في إعادة تشكيل هيئة سياسية وطنية، فقد تبعتها محاولات أخرى. ففي سبتمبر 1944م/1363هـ/ اجتمع فريق من علماء الدين الإسلامي في ديوان الشيخ سليمان التاجي الفاروقي(70) في الرملة وبعد نقاش مطوّل عن الأوضاع الحالية وما يجب من إصلاح اجتماعي والتطلع لتحقيق الأماني الوطنية، تقرر اعتبار هذا الاجتماع مؤتمراً، وتقرر إنشاء لجان فرعية، وتم انتخاب لجنة تنفيذية برئاسة الفاروقي(71)، ولكن لا نجد بعد ذلك أي ذكر لهذه اللجنة مما يدل على أنها لم تعش طويلاً، ولم يكن لها أي دور فعال بل ولدت ميتة. كما انبعثت محاولة أخرى في مدينة يافا في مايو 1940م/ربيع الثاني 1359هـ/ حين اتفق عدد من رجالات المدينة على تأليف هيئة سياسية جديدة وأطلقوا عليها اسم (الجبهة العربية) وجاء في بيانها التأسيسي: " إن جبهتنا الوطنية في الداخل قد أصابها التصدع والشلل، فإذا لم يتفاهم أبناء الأمة الواحدة، فقد ذهبت ريحنا وأفلت الأمر من أيدينا، فعلينا جمع الكلمة وتوحيد الصفوف"(72). وأهداف هذه اللجنة تنظيم الشئون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في يافا ثم العمل على إقامة جبهات مماثلة في أنحاء البلاد. وتم انتخاب المجلس من اثني عشر عضواً. ويبدو أن الابتعاد عن كلمة الرئيس مثل الابتعاد عن كلمة الحزب، وكلاهما بدافع الخوف من إثارة الحساسية. ولكن هذه الجبهة لم تعش طويلاً نظراً للخلافات بين أعضائها(73).

وهكذا كان الفشل نصيب كل محاولة لإيجاد بديل للجنة العربية العليا. وربما يعود ذلك إلى أن اللجنة العربية عندما شكلت أول مرة كانت تحت ضغط ظروف الثورة التي أجبرت زعماء الأحزاب على التوحد للسيطرة على الموقف واحتوائه قبل فوات الفرصة واستمرار تزعمها للحركة الوطنية. أما الظروف الحالية فلم يكن هناك أي عامل

ضغط، كما أن المشاعر الوطنية لم تكن متهيجة، كما كانت في أوائل الثلاثينات وقبيل اندلاع الثورة الكبرى عام 1936م/1355هـ.

ومن مظاهر النشاط السياسي الآخر الذي مارسه المجتمع العربي في فلسطين إبان سنوات الحرب كثرة عقد المؤتمرات، كمؤتمر البلديات الذي عقد في مارس 1944م/ربيع أول 1363هـ/، وكان بمثابة رد فعل غير مباشر للنشاط الصهيوني، ولمعالجة الظلم الفادح الواقع على المواطنين من جراء الميزانية، وللرد على التصريحات المعادية للعرب في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد حضر المؤتمر رؤساء البلديات في مختلف أنحاء فلسطين ووفود أخرى من ملاكين وتجار ومزارعين. وتمت المطالبة بتنفيذ الكتاب الأبيض، ثم انتقد الحاضرون سياسة الحكومة المالية لأنها تعمل لصالح سياسة الوطن القومي، وقرروا الاحتجاج وأصدروا بياناً أعده مصطفى الخالدي يستنكرون فيه التصريحات المعادية للعرب، واعتبروا المؤتمر مظاهرة عربية كبرى(74).

ومن ضمن النشاطات السياسية التي قام بها عرب فلسطين خلال فترة الدراسة عملية الإضراب الشامل الذي عم جميع أنحاء فلسطين في أواخر مارس 1945م/ربيع الثاني 1364هـ. وسبب الإضراب المباشر سياسة الحكومة الجائرة التي وضحت عندما حسمت مسألة بلدية القدس بأن اقترحت أن تكون الرئاسة بالمناوبة بين عربي ويهودي، بعد أن كانت الرئاسة في السابق لعربي مسلم، مما أدى إلى عاصفة من الاستياء والهياج في الأوساط العربية الإسلامية والمسيحية على السواء. ثم اقترحت الغرفة التجارية في القدس إعلان الإضراب، وأذاع عوني عبد الهادي بياناً أكد فيه خطورة الموقف، ومدى استهانة الحكومة بحقوق العرب"وأن بريطانيا ستفاجئ العرب بسياسة الأمر الواقع"، ودعا الجميع إلى التماسك وإلى وقفة تاريخية. وأعقب ذلك بياناً شديد اللهجة من الكتلة الوطنية وعم الإضراب جميع مدن فلسطين، فكانت الشوارع مقفرة، وانقطع العمل وشلت الحركة، وتوقفت عن العمل جميع مرافق المدن التجارية والصناعية والعمالية والمواصلات، ثم تبع الإضراب خروج مظاهرات في القدس ومن الحرم الإبراهيمي قام بها الطلبة، وخرجت مظاهرة أخرى من يافا، وكانت الهتافات تتعالى وكذلك الأناشيد، وشاركت في الإضراب كل قطاعات المجتمع، وجاءت وفود من قرى القضاء للمشاركة في الاحتجاجات على حل المناوبة بخصوص رئاسة بلدية القدس، كما بعثت برقيات احتجاج إلى المندوب السامي والجامعة العربية تطالب بحل المشكلة على الوجه الذي يرضي العرب. وقد وصف الإضراب بأنه رائع وقوي عبر عن السخط والاستياء الذي تغلي به صدور العرب في فلسطين ضمن سياسة بريطانيا الجائرة والتي أخذت تظهر على حقيقتها في عدم رغبة الحكومة في تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض(75).

ب – الأحزاب السياسية الجديدة:

لم تقتصر الخريطة السياسية في فلسطين إبان سنوات الحرب على الأحزاب التقليدية، بل لقد تفتقت أحزاب وتشكيلات سياسية جديدة في هذه الفترة.

حزب التقدم:

قام بتأسيس هذا الحزب أحد أبناء نابلس، فقد شرع إحسان النمر بتأسيسه في نوفمبر 1944م/ذي الحجة 1363هـ/ بعد أن صدرت الموافقة من الدوائر الرسمية المختصة. وقد اتخذ إحسان النمر هذا الاسم رغبة في إظهاره بمظهر التقدمية وشرح منهجه بقوله: "يقوم على مواد قيمة فيها التحدي لمسالك الهيئات السابقة"(76). وهذا يوحي بأنه معارض أو غير متفق مع أساليب الأحزاب التقليدية، وتتلخص أهم مبادئ هذا الحزب في:

1- العمل على عودة المبعدين من الفلسطينيين العرب.

2- المطالبة بإعادة النظر في نظام الضرائب.

3- رفع المبادئ والأخلاق فوق النزاعات الشخصية والعائلية.

4- العناية بتثقيف الشعب العربي تثقيفاً قومياً صحيحاً.

5- المطالبة بمنح الفلسطينيين الحكم الذاتي ورفع الحواجز والجمارك مع الأقطار العربية.(77)

وعقد الحزب عدداً من الاجتماعات، كما أرسل عدداً من الرسائل والمذكرات إلى السلطات البريطانية، فقد بعث في ديسمبر 1944م/ذي الحجة 1363هـ/ مذكرة إلى رئيس الوزراء البريطاني ووزير المستعمرات عن طريق المندوب السامي يطالب فيها بالحكم الذاتي للعرب، كما يطلب أيضاً تسليم إدارة المعارف للعرب، وإعادة النظر في فرض الضرائب، وتنقيح القوانين، كما طلب زعيم الحزب في مارس 1945م/ربيع الثاني 1364هـ/ من مدير الأمن بياناً بالمعتقلين السياسيين وطريقة معاملتهم، كما أشار أيضاً إلى فداحة الضرائب التي يعاني منها الفلاح العربي مرفقاً بياناً بالأرقام التي تظهر حالة الفلاح السيئة مع الرجاء أن يتم رفع الضرائب الجديدة والعدول عنها (78). وهكذا تبين لنا أن مطالب هذا الحزب الجديد واهتماماته لم تخرج عن نطاق الأحزاب التقليدية رغم أن إحسان النمر أشار أن منهجه غير تقليدي.

وبالرغم من هذا كله فقد ظل الحزب محدود النطاق، ولم يترك أثراً يذكر، وقد يعود ذلك إلى إقليمية الحزب المحدودة، وعدم وجود تأييد شعبي كبير له لا في منطقته فحسب ولكن في جميع أنحاء فلسطين. وهكذا ولد حزب التقدم هزيلاً ومات في المهد.

جمعية المكارم:

وقد نشأت هذه الجمعية ممثلة لجماعة الإخوان عام 1943م/1362هـ/، فبعد نشأة حركة الإخوان المسلمين في مصر بقيادة حسن البنا عام 1928م/1346هـ/ أخذت دعوته تنتشر في أواخر الثلاثينات في المدن والعواصم العربية، وقد سلكت طرقاً غير مباشرة عن طريق إنشاء جمعيات دينية متعددة (79). وقد مهدوا لدعوتهم في فلسطين عن طريق جريدتهم التي كانت تصل إلى فلسطين يومياً. كما أخذوا بإرسال الدعاة إلى المساجد في كل مكان. وكانوا يتعرضون للقضايا السياسية بطريقة متوافقة مع رغبات وآمال أبناء فلسطين مما جعل فكرهم يلاقي قبولاً في الأوساط الفلسطينية. كما كان لانضمام الطلبة الفلسطينيين في مصر إلى جماعة الإخوان المسلمين أثر كبير في نشر أفكارهم بعد عودتهم إلى بلادهم. ومن أشهر هؤلاء الشيخ مشهور بركان، الذي كان أحد الدارسين في مصر ثم أصبح فيما

بعد رئيساً للمعهد الديني في عكا. كما أصبح رئيساً لشعبة الإخوان في نابلس عند تأسيسها بعد الحرب(80). وكانت جمعية المكارم أحد الفروع الأولى لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين، وهي فرع صغير تم تأسيسه في السنوات الأخيرة من الحرب، ولهذا فإن تأثيرها لم يكن كبيراً فهي لم تخط خطواتها الأولى بعد(81). وعموماً فإن التدقيق في التنظيمات أو التشكيلات الجديدة التي ظهرت لم يكن لها الأثر القوي على الساحة السياسية، بل كانت في حقيقتها مجرد تجمعات أضيفت لما سبقتها ثم فشلت في تعميق جذورها واحتلال مركز رئيسي في الميدان السياسي إلا في نهاية الأربعينات، وخاصة بعد أن شاركت جماعة الإخوان المسلمين في مصر بإرسال متطوعين في حرب فلسطين عام 1948م.

التنظيمات العمالية:

أصبحت التنظيمات العمالية من أهم التشكيلات التي كان لها أثر فعال في ميزان القوى السياسية خلال الحرب. ورغم أن وجود البعض منها يعود للعقد السابق، إلا أن مسالة تصنيفها ضمن التشكيلات الجديدة التي ولدت في فترة الحرب يعود إلى قوة شوكتها واتساع نفوذها إبان سنوات الحرب.

ومسألة نزول الحركة العمالية إلى الميدان السياسي خلال الحرب يعزى إلى عدد من الأسباب:

1- ازدياد القوة العمالية نظراً لتزايد أعداد العمال بسبب انتعاش الصناعة وزيادة عدد معسكرات الجنود مما تطلب أيدي عاملة كثيرة.

2- إن مسألة دخول الاتحاد السوفييتي إلى حلبة الصراع ووقوفه إلى جانب الحلفاء في الحرب جعلت السلطات البريطانية في فلسطين تغض النظر عن النشاط اليساري من ناحية، كما كانت فرصة لمراقبتهم والتعرّف على أشخاصهم وعلاقاتهم من ناحية أخرى.

3- تزايد عدد العمال المنتمين إلى الاتجاهات السياسية المتباينة، أدى إلى التنافس بل الصراع بين هذه الاتجاهات. مما جعل للقيادات العمالية قوة سياسية يحسب حسابها في موازين القوى السياسية القائمة بعد الحرب(82).

جمعية العمال العربية:

وهي من أقدم التنظيمات الخاصة بالعمال فيعود تاريخ تأسيسها إلى مارس 1925م/شعبان 1343هـ/ في حيفا. وكان الهدف من إنشائها في البداية أن تقوم بالعمل فتخدم العمال العرب من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وانتزاع حقوقهم في مواجهة صعوبات وقوى معادية. ودخلت الجمعية في صراع غير متكافئ مع الهستدروت(83)، لأنه كان يعمل على محاربة قيام تنظيم للعمال العرب فيحاول احتواء العمال العرب. ولكن جمعية العمال العربية صمدت أمام هذه المحاولات ونجحت في تشكيل النقابات العمالية. واستخدمت الجمعية أسلوباً للضغط على أصحاب العمل لتحقيق مطالبهم. واستمر الكفاح النقابي العمالي بقيادة الجمعية يتصاعد ويحقق للعمال في كل يوم مكسباً وانتصاراً إلى أن قامت في فلسطين الثورة الكبرى عام 1936م/1355هـ/، والتي بدأت بالإضراب العام، وقد شارك العمال مشاركة فعالة في هذا الحدث التاريخي، فالتحق بعض النقابيين باللجان الفنية التي كانت تشرف على تنظيم

الإضراب، وقد تأثرت الحركة العمالية بالإضراب. وبعد أن كانت الجمعية تقفز قفزات نحو تنظيم العمال في نقابات عديدة فاجأت الأحداث الجمعية قبل أن تكمل تنظيمها ويكتمل نموها وقبل أن تستطيع مواجهة القيادة السياسية والمشاركة فعلياً في السياسة العامة للبلاد، فانحسر النشاط العمالي وقل عدد المشاركين في الجمعية. وقد حاولت المحافظة على وحدة العمال واستمر ذلك حتى عام 1937م/1356هـ/ عندما اعتقلت السلطة وبدون محاكمة عدداً من المسؤولين في الجمعية وسجنتهم. ونتيجة لهذه الأوضاع السيئة لم يبق للجمعية أي فرع نقابي في فلسطين، فأغلقت جميعها ولم تبق إلا نقابة حيفا. ولهذا كان من الصعب على الجمعية أن تعقد أية اجتماعات، ومن المستحيل أن تطالب بأية حقوق للعمال في مثل هذه الظروف. ولم يكن هدف الجمعية في ذلك الوقت إلا المحافظة على كيانها والتصدي لأعدائها خوفاً من حلها نهائياً(84).

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية دبت الحياة وبشكل قوي في الحركة العمالية بشكل عام واستطاعت الجمعية استعادة نشاطها بفعل الطلب على العمال مما زاد نمو حجمهم. وتدفق العمال إلى مكتب الجمعية للانتساب إلها فأنشأت نقابات عمالية جديدة، ودخل بعض اليساريين إلى الجمعية فاتصلوا بزعيم الجمعية سامي طه مع أنه كان معادياً للشيوعيين، ولم يكن اهتمام الشيوعيين منصباً على نوعية القيادة بل على ضرورة العمل لإحياء الحركة النقابية(85). لذلك غض سامي طه الطرف عنهم وسمح لهم بالعمل تحت قيادته، فأنشأت الجمعية لها مجلساً أعلى مكوناً من ممثلي الفروع ومهمته وضع السياسة النقابية. وفي الحقيقة اقتصرت مهمته على الاستشارة، بينما ظلت القيادة العملية للجمعية بيد سامي طه. وهذا الأمر الذي كان الشيوعيون يطالبون بإنهائه عن طريق قيام انتخابات ديمقراطية للجمعية(86).

وبدأت الجمعية نشاطها الفعلي عام 1361/1942هـ/ وأخذت فروعها تنمو وتتزايد، ففي عام 1943م/1362هـ/ افتتحت فروعاً لها في القدس ويافا ورام الله وبيت لحم وعكا والرملة وطولكرم وعدداً آخر من القرى. وكانت نقابة عمال السكك الحديدية تابعة أيضاً للجمعية. وكانت الخطوات الرئيسية التي اتخذتها الجمعية عن طريق تنظيم نفسها أن عقدت مؤتمراً في يافا شاركت فيه جميع فروع الجمعية، كما شارك فيه مفتش دائرة العمل الحكومية، وممثلون عن الصحافة، وانتخب سامي طه رئيساً للمؤتمر، كما قدم المؤتمر احتجاجاً على السياسة الحكومية التي لم تعمل على إلغاء التمييز في الأجور ما بين العمال العرب واليهود، والاحتجاج على افتقار دوائر العمل في عدد من المناطق للموظفين العرب. وبلغ عدد أعضائها في 1943م حوالي ثلاثين ألفاً. ولقد خاضت جمعية العمال العربية عدة إضرابات ومعارك ضد أصحاب الشركات والحكومة والجيش. واستغلت الجمعية ظروف اشتداد حدة التناقضات في المجتمع الفلسطيني، والتي تمثلت في ازدياد التمايز بين العمال العرب والعمال اليهود، وازدياد الهجرة اليهودية، وازدياد حدة الاستغلال مع بداية الحرب، وقلة أجور العمال العرب في المؤسسات الإنتاجية العربية. لذلك لجأت إلى سلاح الإضراب. وتميزت فترة الأربعينات بسلسلة من الإضرابات، بدأت منذ 1939م/1358هـ/ حيث دعت الجمعية إلى الإضراب كاحتجاج على الحكومة لتعيينها يهودياً رئيساً لبلدية حيفا، وبعد يومين تم الاتفاق بين الجمعية والبلدية. وفي الأعوام 1940و 1941م/1359و1360هـ/ أضرب العمال أربع

مرات، وفي عام 1943م/1363هـ/ أضرب عمال المطاحن في نابلس. وكان نجاح الجمعية في إحباط الإضراب الذي دعا له الهستدروت في 7 أبريل 1943م (1362/4/2هـ)، فلم يشارك العمال العرب فيه، مما أكد على قيادة الجمعية للحركة العمالية العربية وأخفقت حركة تغلغل الهستدروت في صفوف العمال العرب(87). ونجحت الجمعية في تحقيق المساواة بين العمال العرب واليهود، وفرضت قاعدة تشغيل المدربين والفنيين من العمال العرب بنسبة الضعف بناء على عدد السكان، فأصبح للجمعية كيان رسمي في مواجهة الهستدروت. وقد حاولت الجمعية كسب بعض أعضاء حزب العمال البريطاني إلى جانب قضية الحركة الوطنية العربية، وقد قام جورج منصور النقابي العريق(88) في المركز العربي بلندن، فاتصل ببعض نواب حزب العمال وقدم القضية الفلسطينية في الدوائر العمالية للمرة الأولى، ويذكر أن علاقة صداقة ربطت بين سامي طه وموسى العلمي وأرنست بيفن (Bevin) من حزب العمال البريطاني. وكان سامي طه يسعى للاقتداء بهذا الحزب في نشاطه السياسي، والهدف من كل هذا أن يحصل على اعتراف سلطات الانتداب وهيئات التحكيم التي أقامتها السلطات(89).

والجمعية لم تدع أية صفة اشتراكية أو معادية للفاشية، بل كانت قيادتها مخلصة لزعامة المفتي، فدأبت الجمعية على الإعلان بأنها تدعم أهداف الحركة الوطنية، وتؤكد عدائها للهجرة الصهيونية التي كانت تعتبرها العامل الأساسي لمشاكل البلاد الاقتصادية. والجدير بالذكر أن الجمعية في جميع نشاطاتها لم تحرز اعترافاً رسمياً من سلطات الانتداب، بل ربما كان اعترافاً ضمنياً نتيجة لعدم اعتراضها سبيلها، ولم يزهر الاعتراف الرسمي إلا في عام 1944م/1363هـ/، بعد أن أصبح لها كيان تمثيلي ينوب عن العمال، ووجهت لها الدعوة لحضور المؤتمر الأول لاتحاد العمال للنقابات في لندن.

وكان أحد أهداف الحركة العمالية التكتل القومي للاشتراك والمساهمة في الحركة الإنسانية الدولية بشرط المحافظة على استقلال وشخصية التكتل العمالي العربي، ولهذا حرصت الجمعية على الانتساب إلى الاتحاد العمالي للنقابات، وحضرت مؤتمر الاتحاد العالمي للنقابات عام 1945م/1364هـ/. وإن مسألة اشتراك العمال الفلسطينيين في هذا المؤتمر يعتبر خطوة هامة تدل على قوة تنظيم الحركة العمالية ومدى اهتمامها بالنشاط النقابي والسياسي داخل البلاد وخارجها. فنجحت الحركة العمالية على أن تخرج القضية الفلسطينية لأول مرة إلى الميدان الدولي العام باشتراكها في هذا المؤتمر(90).

إن الدعوة التي وجهت للجمعية أدت إلى انشقاق في صفوفها، فعقد المجلس الأعلى للجمعية اجتماعاً في يناير 1945م/1364هـ/ لانتخاب وفد يمثل العمال العرب في فلسطين لحضور مؤتمر لندن. وبعد المداولة تقرر اختيار حنا عصفور(91) وسامي طه لحضور المؤتمر. ولكن هذا الاختيار لم يرض أصحاب الاتجاه اليساري في الجمعية الذين رأوا في هذه الدعوة فرصة ليظهروا كقوة لها مكانتها في الحركة العمالية. فاجتمعوا وأخذوا من ذلك نقطة ارتكاز لتفجير الأزمة وإعلان الانفصال. ورشحوا بولي فرح، ولكن سامي طه عارضه كما عارضته السلطات أيضاً التي أخرت منحه التأشيرة، وحين منح بولس فرح التأشيرة ووصل لندن وجد سامي طه وحنا عصفور

يشغلان المقعدين المخصصين لعرب فلسطين، وسمح له بالحضور كمراقب. فكان لهذا العمل الأثر الفعال في تكريس أهمية هذه الجمعية داخل الحركة العمالية. وقد صرح كل من سامي طه وحنا عصفور إلى وكالة الأنباء العربية بأن هدفهم الرئيسي في هذا المؤتمر هو شرح قضية فلسطين، وقد أعدوا اقتراحين يتم البحث فيهما أحدهما بخصوص الصهيونية وهل تصنف كحركة تقدمية أم رجعية؟ والثاني كيف يبنى العالم بعد الحرب لتجنب نشوبها في المستقبل؟

وعند افتتاح جلسات المؤتمر أتيحت الفرصة للوفد الفلسطيني ليلقي خطابه الأول، فأدهش الحضور بالأرقام التي ذكرها عن عدد العمال العرب وعن تنظيماتهم وعن مؤسساتهم في فلسطين، ثم قدمت لجنة مطالب النقابيين حول إقرار السلم تقريرها إلى المؤتمر، وقبل التصديق عليه قدم حنا عصفور اعتراضاً على المادة /26/ من التقرير والتي تنص على "أن يعطى الشعب اليهودي الإمكانية لإعادة بناء فلسطين كوطن قومي لهم كما بدأوه بكل نجاح بهجرتهم إليه وبتقدمه الزراعي والصناعي" (92)، مما جعل الوفد العمالي العربي يعترض بشدة مطالباً حذف المادة الخاصة بذلك، وأيد مندوب الهند هذا المطلب، إلا أنه بعد التصويت رفض التعديل وبقيت المادة كما هي، ومع ذلك فقد نجح الوفد في إبعاد القرار الخاص بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين من النداء الموجّه إلى شعوب العالم والذي اشتمل على جميع قرارات المؤتمر، فكان هذا نصراً جزئياً للوفد. وبعد أن عاد الوفد إلى فلسطين استقبل فيها استقبال الأبطال، وأقيم لهم مهرجان شعبي، وتقرر إرسال برقية إلى حكومة الاتحاد السوفييتي يتحفظون فيها على موافقتهم على برنامج الصهيونية، ويرجون أن ترفع برقيتهم إلى المجلس المركزي لجميع النقابات في الاتحاد السوفييتي(93). وهكذا كانت مشاركة وفد جمعية العمال العربية في المؤتمر أكبر نشاط سياسي قام به العمال خلال هذه الفترة.

التنظيمات العمالية الشيوعية:

ويقصد بها التشكيلات العربية ذات الاتجاه اليساري، وقد ظهرت لأول مرة على الساحة الفلسطينية خلال سنوات الحرب ولا يعني هذا أنها اتجاه جديد سرى في أوساط المجتمع العربي الفلسطيني، ولكن في الحقيقة أنه اتجاه قديم كان يعمل في البداية ضمن الحزب الشيوعي الفلسطيني والتنظيمات العمالية، ولم يعلن عن نفسه إلا إبان الحرب بعد أن اشتد الصراع والتناقض بين هذا الاتجاه والاتجاهات الأخرى، كما أن سماح سلطات الانتداب لهذا الاتجاه بممارسة نشاطه له أكبر الأثر على ظهوره. وأهم هذه التنظيمات: عصبة التحرر الوطني، ومؤتمر العمال العرب، واتحاد نقابات العمال العرب.

1- عصبة التحرر الوطني:

لم تأت العصبة من فراغ بل جاءت نتيجة الانشقاق في الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي تأسس عام 1919م/1337هـ/، وقد عانى منذ مولده من تناقض أساسي تمثل في محاولة الجمع بين اليهود والعرب في حزب

واحد برغم التناحر القومي بينهم، وتركز التناقض الآخر في التناقض بين الشيوعية والصهيونية داخل المجتمع اليهودي الذي كان الحزب يعمل على كسب أنصار له بين أبنائه (94).

وبدأت أولى إرهاصات الانشقاق داخل الحزب عندما لم يوافق الحزب على الإضراب الذي بدأت به الثورة الكبرى عام 1936م/1355هـ/، فقد هوجم سكرتير الحزب رضوان الحلو، ومن هنا بدأ الأعضاء العرب في التفكير بالانشقاق. وكذلك فالثورة زادت من شقة الخلاف بسبب مواقف الأعضاء العرب واليهود المتباينة منها. فقد عارض الكثير من اليهود الدعم التام للثورة أو الاشتراك فيها. كما أن انتصارات الاتحاد السوفييتي ضد القوات النازية(95) ساعدت على انتشار الأفكار الاشتراكية العمالية، وتشكل عدد من الحلقات الماركسية، مما نتج عنه تيار وطني تقدمي واسع بين صفوف العمال والمثقفين العرب في فلسطين. فالأعضاء اليهود في الحزب اتجهوا نحو تبني أهمية تطور كيان يهودي منفصل في البلاد، أي أيدوا المشروع الصهيوني، فترك ذلك أثراً سلبياً على الأعضاء العرب. وأما تفاصيل الانشقاق، فقد حدثت بعد أن عارض السكرتير رضوان الحلو الإضراب الذي دعا له الهستدروت في معسكرات الجيش البريطاني على اعتبار أنه محاولة من الهستدروت للسيطرة على العمال العرب في معسكرات الجيش، مما أغضب الشيوعيين اليهود، فأصدر هؤلاء بدورهم بياناً أعلنوا فيه طرد رضوان الحلو ورفاقه من السكرتارية العامة للحزب. وإزاء هذا التطور كله حل الحزب الشيوعي في أغسطس 1943م/شعبان 1362هـ/، فانتهز الأعضاء العرب هذه الفرصة وأعلنوا عن تأسيس عصبة التحرر الوطني بعد شهر واحد من ذلك التاريخ(96).

إن عصبة التحرر في حقيقتها امتداد طبيعي للحزب الشيوعي الفلسطيني، ولكن بأعضائه العرب فقط، فبات معروفاً أنها التنظيم الشيوعي للعرب، وقد تجمعت حول العصبة جميع العناصر التقدمية العربية في البلاد. وأدركت الطبقة العمالية العربية أنه لا يمكن فصل كفاحها الخاص عن الكفاح الوطني. وكان من الضروري للحركة العمالية أن تعبر عن ارتباط مصالحها بمصالح الشعب بالتعبير السياسي بدلاً من أن تترك القيادة السياسية لممثل الأحزاب التقليدية. لذلك أصبحت العصبة مصدراً للتهييج السياسي بدلاً من القيادة الوطنية. ومما ساعد على تصعيد نشاطها غياب الزعامة الوطنية المتماسكة مما دفعها إلى المواقع المتقدمة في الحياة السياسية. وظهور العصبة انعكاس مباشر لجملة من التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على بنية المجتمع العربي في فلسطين، فهي عبارة عن تجسيد لتيار وطني تقدمي عريض جمع المثقفين والعمال. وليس صحيحاً تقييم تجربة العصبة على أساس أنها تجربة الحزب الشيوعي العربي مقابل اليهودي باعتبار أن اليهودي انكشف بأنه يعمل للصهيونية. فابتعد بذلك عن المبادئ الشيوعية التي تتناقض مع الصهيونية. وقد تم بناء العصبة على أسس شيوعية خالصة من حيث الارتكاز إلى المركزية الديمقراطية، وتنظيم الخلايا والفروع المختلفة لفروع في المدن والقرى. ولكن ما ميّز العصبة عن بقية الأحزاب الشيوعية توجهها شبه الكلي إلى عرب فلسطين وتجاهلها لليهود. وأما بالنسبة للمبادئ والأهداف فلم تختلف عن أهداف الحركة الوطنية من حيث المطالبة بإلغاء الانتداب وتشكيل حكومة وطنية. ولكنها تتميز عنهم في نظرتها التي تفرق بين الصهيونية والشعب اليهودي، فالصهيونية حركة عدوانية

وأجيرة للإمبريالية، وهي لذلك عدوة للأمة العربية واليهود أنفسهم. كما فضحت العصبة الصهيونية لأنها تعبر عن جميع مصالح البرجوازية اليهودية الكبيرة المتواطئة مع الإمبريالية والساعية إلى تسخير جماهير اليهود داخل فلسطين وخارجها لخدمة مصالحها الطبقية. وشددت العصبة على أهمية استغلال وتعميق التناقض بين الجماهير اليهودية وبين الحركة الصهيونية، وانتقدت مواقف القيادة الوطنية التي كانت تعلن أنها لا يمكن أن تعيش بسلام مع السكان اليهود(97).

وأما موقف العصبة من الهجرة اليهودية فهي تعتبرها مشكلة عالمية ومسؤولية دولية، لذلك اقترحت أن يؤيد اليهود القوى الديمقراطية في العالم، ثم يعودون إلى أوطانهم في ظل المناخ الديمقراطي، فتحل معاناتهم ولا يتعرضون لأي نوع من الاضطهاد فلا تعود هناك مشكلة. وأما رأي العصبة في مسألة بيع الأراضي، فأكدت أن هذه المسألة مرتبطة بقضية البلاد السياسية ولا يمكن حلها الحل العملي ما لم يتمكن العرب من الحصول على استقلالهم، وانتقدت العصبة مسألة الاتجاه لإنقاذ الأراضي بشرائها، ومن الأفضل إصلاح أحوال الفلاح وتحسين أدوات إنتاجه ومساعدته حتى لا يحتاج أن يعرض أرضه في السوق. ودعت العصبة إلى جعل حركة إنقاذ الأراضي حركة فلاحين جماهيرية قوية بإشراكهم وضمهم لصفوف العصبة (98).

وعصبة التحرر الوطني تأمل في إيجاد مجلس نيابي في البلاد يمثل الشعب تمثيلاً ديمقراطياً، ويمكن جميع السكان من الاشتراك في إدارة شئونه كخطوة تقربه من الهدف النهائي"الاستقلال والسيادة الوطنية"، وفي الاجتماع الذي عقدته العصبة في مايو 1945م/جمادى الأولى 1364هـ/، دارت المناقشات حول الوحدة الوطنية، وتليت مقررات تركزت حول الدعوة إلى تحقيق الوحدة الشعبية، وإنشاء لجان قومية في كل مدينة وقرية، مع استمرار المناشدة بإطلاق سراح المعتقلين وتخفيض الضرائب ونشر التعليم المجاني. وقد بلورت العصبة هذه المطالب في مذكرة قدمتها إلى رئيس الوزراء البريطاني في أكتوبر 1945م/1364هـ(99).

فعصبة التحرر الوطني هي باختصار ظهرت كنتيجة طبيعية لتطور الحركة العمالية وازدياد حدة الاتجاه اليساري داخل الحركة الوطنية.

2 – اتحاد جمعيات ونقابات العمال العربية:

هذا التشكيل الثاني من منظومة التنظيمات العمالية، وظهر نتيجة لنشاط نادي"شعاع الأمل" الذي وجد بعد خلاف في الحزب الشيوعي بين رضوان الحلو السكرتير وبولس فرح عضو اللجنة المركزية في الحزب فجمدت عضوية الأخير، مما جعله يتجه إلى استقطاب عدد من الشبان النشيطين. وأسس هذا النادي في نوفمبر 1942م/ذي القعدة 1361هـ/. فأسس الحزب الشيوعي نادي "الشعب" كنوع من رد الفعل، ولكنه لم يستمر طويلاً، إذ نجح نادي "الأمل" في إغلاقه(100)، ثم ما لبث أن حل نادي"شعاع الأمل" نفسه بعد أن نجح في إقامة اتحاد نقابات وجمعيات العمال العربية في نهاية عام 1942م/1361هـ/. الذي تحول بسرعة كبيرة إلى محور للحركة النقابية العربية التقدمية في البلاد. ونجح هذا الاتحاد في أن ينظم صفوف العمال في عدد من الشركات وارتفع عدد أعضائه،

وأظهر الاتحاد ميولاً سياسية واضحة المعالم بتعريفه لنفسه بأنه مناهض للفاشية، ويعرف الاتحاد نفسه بأنه تنظيم اشتراكي، وتأييده للمجهود الحربي البريطاني في فلسطين تأييد بالتالي للحلفاء ضد النازية. أما بالنسبة لأهداف الاتحاد على النطاق الدولي فكان إنشاء علاقات مع مؤتمر النقابات البريطاني، ويعتقد مؤسسو الاتحاد أن أية محاولة لتعبئة البلاد في مجابهة الاستعمار تتطلب إنشاء هيئة عليا ديمقراطية في تكوينها. وفي يوليو 1943م/رجب 1362هـ/ رفع الاتحاد مذكرة إلى المحكمة يشجب فيها استمرار الهجرة الصهيونية، كما ردد مطالب الحركة الوطنية التقليدية، وانتقد الكتاب الأبيض واعتبره ناقصاً، وطالب الاتحاد باعتراف بالمنظمات النقابية العربية(101).

وقد تعزز موقف الاتحاد بعد تأسيس عصبة التحرر الوطني. فقد اعتبرت العصبة هي المركز الرئيسي ذي الاتجاه اليساري في المجال السياسي، فيما وجّه الاتحاد نشاطه لخدمة العمل النقابي والعمال. وكان هناك أعضاء من الاتحاد شاركوا في تأسيس العصبة، فكان الاتحاد والعصبة تشكيلين يساريين متساويين ومتفقين. وفي يناير 1944م/محرم 1363هـ/ أرسل الاتحاد مذكرة إلى جمعية العمال العربية لتوحيد الجهود للمطالبة بتأسيس جريدة عمالية بعد أن رفضت الحكومة إعطاء ترخيص منفرد للجمعية.

كانت علاقة هذا الاتحاد بجمعية العمال العربية لا تشعر بارتياح من جراء نشاطه لأنه شكل تحدياً ومنافساً قوياً لنفوذ الجمعية في صفوف الطبقة العاملة. وحاول الاتحاد إقامة علاقات ودية مع الجمعية، وتوصلا إلى اتفاقية بين الطرفين تعهدا بموجبها بعدم سرقة كل طرف أعضاء الطرف الآخر. ولكن هذا التعايش لم يدم طويلاً فقد حاولت الجمعية تنظيم عمال كان من المفروض أنهم يتبعون الاتحاد مما أدى إلى احتدام العداء بين التنظيمين النقابيين. ورفضت الجمعية دعوة الاتحاد في بداية 1943م/1362هـ/ إلى إنشاء اتحاد مع الجمعية مما أثر بعد ذلك على موقف الاتحاد فأدى إلى انفصال بعض فروع الجمعية(102).

وزاد نفوذ الاتحاد في صفوف العمال بعد أن نجحوا في إصدار صحيفة باسم "الاتحاد" في 14 مايو 1944م/ جمادى الأولى1363هـ/ وحررها أميل توما وبعض زملائه(103)، وقد أصبحت هذه الجريدة في حقيقتها لسان حال الشيوعيين العرب في فلسطين المنتظمين تحت لواء عصبة التحرر. وأكدت جريدة الاتحاد أنها صوت جميع العمال العرب في فلسطين وكافة التنظيمات العربية، ولكن محتوياتها تظهر أنها ظلت منبراً للقوى اليسارية داخل الحركة النقابية، وأصبحت منبراً بعد ذلك لعصبة التحرر بشكل خاص(104). والحقيقة أن هذا الاتحاد جزء مكمل لعصبة التحرر الوطني فالاتحاد يعنى بالعمال وتنظيماتهم ونقاباتهم والعصبة اقتصر عملها على المجال السياسي، وخاصة بين أوساط المثقفين كالمعلمين والطلاب.

3- مؤتمر العمال العرب:

وهذا هو التشكيل الثالث للمنظمات العمالية والشيوعية، ونشأ أثر عملية انفصال بعض فروع جمعية العمال العرب الفلسطينية ذات الاتجاه اليساري عن المركز الرئيسي في حيفا، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير وأدت إلى

هذا الانفصال مسالة تشكيل وفد من الجمعية لحضور مؤتمر العمال في لندن 1945م/1364هـ(105). فقد شعر التنظيم الشيوعي داخل الجمعية أن الفرصة مواتية ليظهر كقوة في الحركة الوطنية الفلسطينية ويصبح وجهاً مميزاً من أوجهها. لذا من الضروري أن يمثل في الوفد العمالي. ولما تم انتخاب حنا عصفور وسامي طه اعترض الشيوعيون لأنهم يريدون مقعداً في الوفد، فانفجرت الأزمة وأعلنت أربعة فروع من الجمعية انفصالها وأعلنوا عن أنفسهم تحت اسم مؤتمر العمال العرب. وتم انتخاب لجنة تنفيذية لهذا التشكيل، وقد ركز مؤتمر العمال العرب على مقررات ومطالب سياسية ونقابية أبرزها التأكيد على مقاومة الاستعمار والصهيونية، والمطالبة بإنهاء الاستعمار البريطاني، والتأكيد على ضرورة أن تبني الديموقراطية في الحركة العمالية مع الرغبة في التعاون مع الأحزاب والمنظمات التي عملت في سبيل حرية فلسطين. وطالبوا بإقامة حكومة ديموقراطية يتساوى في ظلها جميع المواطنين في الحقوق والواجبات. وقد بلغ عدد أعضائه في 1946م/1365هـ/ نحو ثمانية عشر ألف عامل، مما يؤكد على نجاحه رغم قصر الفترة التي مضت على تشكيله(106).

ويتضح من استعراضنا كافة المنظمات الخاصة بالحركة العمالية، أنها في حقيقة أمرها تتلخص في اتجاهين فقط، الأول يتمثل في جمعية العمال العربية ذات التيار الموالي للقيادة الوطنية التقليدية، والثاني التيار اليساري والذي تمثل في عصبة التحرر الوطني والتنظيمات الأخرى التي تتشابه مع ميول العصبة، وأن مسألة تفرع وتعدد اتجاهات الحركة العمالية دليل قوة وتعبير عن التطور الذي أصاب هذه الحركة، إضافة إلى أنه أكبر دليل على تسامح السلطات مع الاتجاه اليساري والذي عبر عن نفسه بأكثر من شكل، ولكن كل هذا لا يمكن أن يعتبر أنه أضاف شيئاً للحركة الوطنية الفلسطينية، فهو في الواقع قد كرس انقسامها وزاد في تعدد اتجاهاتها وكثرت فروعها، ولكن كشف أيضاً عن وجود تيار يساري عربي قوي داخلها(107).

* * *

موقف الفلسطينيين من مشاريع الوحدة

إن مسألة الوحدة العربية هي الحلم الذي راود تحقيقه جميع العرب، فقاموا بثورتهم خلال الحرب العالمية الأولى من أجلها أملاً في حل مشاكلهم وبالرغم من خيبة الأمل التي أصابت العرب بعد أن تخلت بريطانيا عن وعودها لهم، ظل أمل تحقيق الوحدة يداعب خيالهم وهدفاً لحركاتهم الوطنية وخاصة في أقطار الهلال الخصيب.

وإبان سنوات الحرب العالمية الثانية عادت تتردد نغمة الوحدة العربية في كثير من العواصم العربية (108)، فالأوساط السياسية أخذت تتحدث عن أنواع كثيرة من الوحدة ويدور معظمها في فلك الهيمنة البريطانية. فقد ظهر لبعض المسئولين العرب أن بقدرتهم استخدام هذه الأداة لتحقيق بعض المطالب السياسية و القومية. و رأت بريطانيا من الحكمة عدم معارضة حركة الوحدة العربية و أدركت أن من مصلحتها توجيه الحركة وفقا للنسق الذي يخدم

مصالحها الخاصة بعد أن تحسن الموقف العسكري بعد معركة العلمين في أكتوبر 1943م/1361هـ/ وانسحاب جيوش المحور لصالح الحلفاء. فلابد لبريطانيا من تغيير سياستها التقليدية تجاه العالم العربي خشية منافسة قوية دولية أجرى. هذا الموقف العسكري القوي دفع بريطانيا إلى شن حرب الدعاية لكسب تعاطف شعوب الشرق العربي، بتأييدها لأي شكل من أشكال الاتحاد الذي يحبذه العرب بصفة عامة. وكان صناع السياسة البريطانية يدركون تماماً أنه في حالة قيام مثل هذا الاتحاد رغم ضعفه، إلا أنه لا بد أن يتطلع إلى بريطانيا طلباً للنصح والمساعدة، وقد طرحت عدداً من المشاريع الوحدوية حتى تم الاستقرار أخيراً على مشروع جامعة الدول العربية(109).

وأصدرت حكومة شرق الأردن ممثلة بالأمير عبد الله بن الحسين كتاباً ينص على مشروع وحدوي عربي عرف بمشروع سوريا الكبرى. والذي يقوم على الوحدة بين فلسطين وشرق الأردن ولبنان وسوريا، ويعتمد المشروع على الثقة اللامحدودة في الحلفاء. وقد حاول الأمير عبد الله تحقيقه بكل جهده وإقناع بريطانيا به على اعتبار الصداقة التي تربطه بهم، ففي يونيو 1940م/ربيع الثاني 1359هـ/ أرسل الأمير مذكرة إلى المندوب السامي يطلب فيها إصدار تصريح يحقق أمل العرب وأيضاً يعمل للحد من دعاية دول المحور. ولكنه لم يتلق صدى لطلبه. ولم ينفذ صبره، ففي العام الثاني في مايو 1941م/ربيع الثاني 1360هـ/ حاول الأمير عبد الله استغلال تصريح بريطانيا بتأييدها استقلال سوريا وتأييدها للوحدة العربية، فأصدر على الفور قراراً وزارياً أعلنه توفيق أبو الهدى رئيس وزرائه يرحب فيه بتصريحات الحكومة البريطانية. وأولى الخطوات التي يجب أن تتخذ أن يتم جمع الكلمة في البلاد السورية، ولكن الحكومة البريطانية رفضت المشروع. أما الأمير عبد الله فلم ييأس، وتحدث إلى الوزير المقيم بالشرق الأوسط أوليفر لتلتون (Oliver Lyttelton) ليبثه همومه، وكان أقصى ما فعله الوزير أن أصدر بياناً عاماً عن الوعود البريطانية بشأن تحقيق العرب لأمانيهم القومية في الوحدة. ثم ألقى بعد ذلك الأمير عبد الله بكل ثقله وراء مشروع سوريا الكبرى بعد أن فشلت كل المحاولات السابقة. فأرسل رسالة إلى الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله ورئيس الوزراء نوري السعيد باعتبار العراق دولة حليفة له بسبب وحدتها في العرش الهاشمي، وأوضح فيها الخطوط الرئيسية لمشروعه الذي يقوم على توحيد البلاد السورية، ثم أصدر بياناً مطبوعاً في 18 أبريل 1943م/ربيع الثاني 1362هـ/ بعنوان "من عبد الله بن الحسين إلى أهل الشام" يدعو فيه أهل الحل والعقد والزعماء إلى عقد مؤتمر سوري لمناقشة مشروعه. فمنعت بريطانيا توزيعه، وحاول الأمير عبد الله الشكوى إلى المندوب السامي من أن مشروعه لا ينافي التصريحات البريطانية بشأن الوحدة ولكن بدون جدوى، وسقط هذا المشروع(110).

والمشروع الوحدوي الآخر تقدم به نوري السعيد، وعرف بـ"الكتاب الأزرق". كتب نوري السعيد في مذكرة سريّة بهذا المشروع إلى وزير الدولة البريطاني المقيم في القاهرة كيسي (Casey)، ويقوم على الوحدة بين فلسطين وشرق الأردن وسوريا ولبنان، وبمجرد قيام دولة سوريا الكبرى تنضم إليها العراق وأية دولة عربية أخرى ترغب في ذلك، أما اليهود فالمشروع يقترح لهم حكماً ذاتياً ضمن إطار الوحدة العربية. وطالب المشروع بتنفيذ الكتاب

الأبيض الخاص بفلسطين، وقد وجد هذا المشروع صدى طيباً في فلسطين، وعكف على دراسته عوني عبد الهادي، وموسى العلمي، وأحمد حلمي، ورشيد الحاج، وأيدوه بعد إجراء بعض التعديلات، واستأذن عوني أن يكتب لوزير الدولة المقيم في القاهرة بشرح ملاحظاته على المشروع، ويعتقد أن هذه الملاحظات هي اعتراض على جوهر المشروع بغرض نسفه بدبلوماسية مهذبة، وفقاً لسياسة المناورة حتى لا يفقد الفلسطينيون حقهم في التحدث باسم فلسطين لأنهم في حالة الرفض المطلق ينسحبون ويتركون الميدان لغيرهم، ولكن حين يقبلون بالتفاوض ولو بشروط يبقى لهم وجود(111).

والمشروع في إطاره العام شبيه بمشروع سوريا الكبرى فهو قائم على الدعوة إلى الوحدة، وكلاهما ينطلقان تاريخياً من أهداف الثورة العربية، ويعتمدان سياسياً على الصداقة المطلقة مع بريطانيا العظمى والاختلافات بينهما طفيفة(112). والمهم أن هذا المشروع سقط كما سقط الذي سبقه. فقد وقفت السياسية البريطانية له بالمرصاد وساعدت على إفشاله، ففي أحد تقارير وزارة الخارجية جاء فيه بخصوص نوري السعيد وتحركاته: "أنه يجب أن يأخذ نوري منا الانطباع بأن يضع قدميه فوق أرض شديدة الزلقان"(113).

وهكذا نرى أن مشاريع الوحدة العربية جابهت في طريقها مصاعب شتى وعوائق كثيرة حالت دون خروجها إلى حيز الوجود أهمها: المعارضة البريطانية، فالعوائق تبدأ من داخل البلاد العربية وتتمثل في المصالح الاقتصادية أو القومية الإقليمية في وحدات ما بعد الحرب العالمية الأولى. بالإضافة إلى عدم وجود الخبرة السياسية علاوة على الضعف الاقتصادي، كما أن وجود الانتدابات الفرنسية في سورية ولبنان والحماية على أقطار شمال أفريقيا.

حدث التحول الكبير في السياسة البريطانية عندما صرح إيدن (Eden) في سبتمبر 1941م/شعبان 1360هـ/ في مجلس العموم أن حكومته تدرس مسألة الوحدة العربية، وفي فبراير 1943م/صفر 1362هـ/ سئل إيدن في مجلس العموم عن الوحدة العربية، فقال إن بريطانيا سوف ترعى وتحمي أي تطور عربي يهدف لتحقيق وحدة اقتصادية وثقافية وسياسية، ولكن يجب أن تصدر من العرب أنفسهم. وهكذا أعطت بريطانيا الضوء الأخضر للعرب للمضي في طريقهم، فربحت لندن الكثير من القيمة الدعائية الكاملة نتيجة لتأييدها للآمال العربية، في حين أنها في نفس الوقت راعت ألا تقدم أي التزام فعلي في سبيل تحقيق ذلك.

وكان لهذه المشاريع التي تدعو للوحدة العربية صدى كبير في نفوس عرب فلسطين، فإذا كانت الوحدة ضرورة للدول العربية، فإن ضرورتها لفلسطين أكثر إلحاحاً، لأن عرب فلسطين يعيشون في فراغ وطني من غير نشاط ولا قيادة، ويرون اليهود يعبئون كل طاقاتهم للمعركة، وعرب فلسطين هدف هذه المعركة مصيراً ووجوداً، وأن الوحدة العربية هي التي يمكن أن تنقذهم من مشروع الوطن القومي اليهودي(114).

مشروع جامعة الدول العربية:

وبعد تصريح إيدن السابق الذي يظهر فيه بوضوح رضا بريطانيا التام عن أي مشروع وحدوي، شريطة أن ينبع من العرب وينال موافقتهم جميعاً، أضحت القاهرة مركزاً دبلوماسياً لبريطانيا تدير منه شئون الشرق الأوسط. ولهذا

قامت مصر بقيادة فكرة الوحدة العربية، بعد أن تلقف مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر فكرة الوحدة وأدرك مغزى بريطانيا، ودعا إلى عقد مؤتمر في القاهرة في نهاية مارس 1943م/ربيع أول 1362هـ/. صرح النحاس باشا بأنه يرغب في الاطلاع على آراء الحكومات العربية المختلفة عن طريق الاتصال المباشر. وكانت هذه هي البداية الرسمية والشرعية لمولد الجامعة العربية، بإشارة من إيدن بدبلوماسية ممهدة واستجابة رسمية من مصر وتحركات سندبادية من نوري السعيد، ولم تتلق فلسطين دعوة رسمية كغيرها من الدول العربية للاشتراك في المفاوضات التمهيدية، وما كان يمكن دعوتها لأنها لم تكن دولة مستقلة. ولكن النحاس باشا أبلغ القنصل المصري في القدس رغبته في أن ترسل الأحزاب الفلسطينية وفداً عنها. فثارت إثر ذلك مسألة اختيار مندوب لفلسطين فعقد اجتماع في بيت أحمد حلمي أحد الزعماء المستقلين، وكان موضوع البحث تمثيل عرب فلسطين في اجتماعات الإسكندرية(115). وطال الحديث وطرح أحمد حلمي فكرة تشكيل وفد، ولكن أحد الحاضرين اقترح أن تختار الأحزاب مندوباً عنها يكون معروفاً بحياده واستقلاله، ورشح لهذه المهمة موسى العلمي، وقد حاول نوري السعيد السعي لدى السلطات البريطانية لإطلاق سراح جمال الحسيني ليمثل عرب فلسطين في محادثات الإسكندرية ولكن دون جدوى. وفي النهاية وبعد مداولات ومحادثات مطولة تم الاتفاق على أن يكون موسى العلمي ممثلاً لعرب فلسطين في محادثات الإسكندرية. وقد تم اختياره نظراً لحياده وعدم انتمائه لأي حزب سياسي. وقد فوجئ هو نفسه بهذا الاختيار. ولم يكن ترشيحه مرضياً لكل الأطراف الفلسطينية، فقد باشر عوني عبد الهادي اتصالاته مع رجال مصر للتذكير بوضعه وعمله مع الأمير فيصل في دمشق خلال العشرينات، وهدف عوني من ذلك شد الانتباه وحتى لا يخطف موسى العلمي الأضواء(116).

واتجه موسى العلمي إلى مصر وحضر مؤتمر الإسكندرية في 7 أكتوبر 1944م/20 شوال 1363هـ/، وسمح له بالحضور كمراقب فقط. وقد أبلغ النحاس باشا موسى العلمي وبصراحة فائقة، أنهم يتعرضون لضغط من لندن حتى لا يكون لفلسطين دور مهم ورئيسي كبقية الدول العربية قائلاً: " شوف يا علمي بيه بلا مناورة ولا دبلوماسية ولا لف ولا دوران إن حكاية فلسطين دي بعدين، وما عليك إلا أن تستريح معانا شوية وأنا سأطلب من محمود فوزي أن يرافقك"، وبالفعل استمر يلازم العلمي، ولكن العلمي لم يعجبه هذا الوضع وسعى لمقابلة الوزير البريطاني المقيم في القاهرة، واستطاع أن يحصل منه على الموافقة بحضور اجتماعات الجامعة ويلقي كلمته(117). وتحدث بالفعل العلمي في الجلسة قبل الأخيرة شارحاً قضية بلاده بملابساتها وأبعادها وأفاض في الحديث عن مشكلة الأراضي، وامتازت كلمته بواقعيتها وبساطتها. ثم أصدرت الوفود العربية المشتركة بياناً عرف ببرتوكول الإسكندرية ناشدوا فيه الدول العربية العمل لقيام جامعة للدول العربية يكون فيها لكل الدول تمثيلاً متساوياً. وتكون وظيفة هذه الهيئة تقوية الروابط بين الدول العربية، وتنسيق الأمور السياسية، ولخدمة المصالح العربية بشكل عام، مع التعاون المشترك في الشئون الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية. واحتوى هذا البروتوكول أيضاً على قرار خاص بفلسطين حيث"اعتبرت فلسطين إحدى دعامات البلاد العربية، وأن حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير الإضرار بالسلم والاستقرار بالعالم العربي"، وطالبت بتنفيذ بريطانيا لسياسة الكتاب الأبيض خاصة بندي الهجرة والأراضي،

ودعت إلى عدم الخلط بين مسألة اليهود المضطهدين في أوربا وبين الفكرة الصهيونية. وتمت المصادقة على هذا البروتوكول من قبل جميع الدول العربية المشتركة، وتوقع عرب فلسطين أن تكون إحدى نتائج المحادثات في شكل مساعدة إيجابية وفورية لقضية بلادهم.

وبعد أن عاد موسى العلمي إلى فلسطين اجتمع برؤساء الأحزاب، وبعد المداولة أقر الحاضرون البروتوكول وأرسلوا كتاباً لرئيس المؤتمر يشكرونه على موقف الدول العربية من فلسطين. ومنذ أكتوبر 1944م/ذي الحجة 1362هـ/ أخذت اللجان الفرعية التي تبنتها لجنة الإسكندرية تمهد للمؤتمر العام. ويبدو أن الأجواء الحماسية في غمرة الاجتماع الأول للعرب في الإسكندرية ساهمت في صنع القرار الخاص بفلسطين الذي اعتبرته الحكومة البريطانية تحدياً لسلطاتها وتدخلاً من قبل الجامعة في شئون فلسطين بشكل لا ترضى عنه. وندم الوزير البريطاني على تسهيله مهمة العلمي، فقد ظن أن العلمي الذي عمل سكرتيراً للمندوب السامي سيسير وفقاً للسياسة البريطانية، ولكن العلمي تكلم بلسان عربي فلسطيني(118).

وفي العام التالي وبالتحديد في مارس 1945م/ربيع الثاني 1364هـ/ صدر ميثاق الجامعة العربية في القاهرة ووقع عليه ممثلون عن الدول الأعضاء، وقد جاء فيه بخصوص فلسطين أن تختار الدول الأعضاء مندوب فلسطين للاشتراك في أعمال الجامعة، وكان هذا القرار بإيعاز من بريطانيا لأنها لا تريد أن يكون الاختيار من قبل الفلسطينيين بل بموافقة الدول العربية، أي بمعنى أن يقوم الفلسطينيون بالترشيح وتتولى الجامعة التعيين والتصديق حتى تستطيع بريطانيا أن تستمر في الضغط على الدول العربية(119). وهكذا فالجامعة العربية بعد قيامها لم يكن من الممكن استبعادها عن تطورات القضية بل في الواقع أمسكت بزمام الأمور.

قرارات الجامعة الخاصة بفلسطين:

رأت الجامعة العربية أن أهم مشكلة في طريق فلسطين وانضمامها هي مسألة التمثيل، خاصة بعد استقالة العلمي وفشل الجهود التي بذلت في فلسطين من قبل رؤساء الأحزاب في أبريل 1945م/جمادى الأولى 1364هـ/ لتشكيل لجنة عربية، ويعود السبب أن أعضاء اللجنة العربية العليا القديمة لم يكن موجوداً منهم في فلسطين إلا ثمانية أعضاء. وكما أصر الحزب العربي على انتخاب ثمانية أعضاء لضمان الأكثرية، وكانت النتيجة أن فشلت هذه المباحثات، فلم تشارك فلسطين في مشاورات الدورة الأولى ولا الثانية للجامعة، ولذلك سافر جميل مردم رئيس الدورة يرافقه تقي الدين الصلح وخير الدين الزركلي من أجل التوفيق بين الزعماء واختيار اللجنة، واقترح أن تتكون الهيئة العربية من اثني عشر عضواً، وقد قام هذا الوفد بزيارة لراغب النشاشيبي زعيم حزب الدفاع للتعرف على رأيه، فلم يؤيد أن يرأس الهيئة المفتي، وواصل مردم جهوده حتى أثمرت، فتشكلت الهيئة العربية العليا من اثني عشر عضواً في 20 نوفمبر 1945م(1364/2/15هـ). ومثل الحزب العربي توفيق الحسيني ورفيق التميمي وكامل الدجاني وأميل الغوري ويوسف صهيون، وانضم رؤساء الأحزاب الخمسة ووقع الاختيار على أحمد حلمي

عبد الباقي وموسى العلمي بصفتهم مستقلين، وبقي منصب الرئاسة شاغراً حتى عاد جمال الحسيني من منفاه، وترأسها في غيابه أخوه توفيق الحسيني(120).

وهكذا كان للجامعة العربية الدور الرئيسي في إعادة تشكيل هيئة سياسية لعرب فلسطين بعد أن حلت منذ 1937م/1356هـ/، وفشلت كل الجهود التي بذلت منذ عودة نشاط الأحزاب حتى شكلت هذه الهيئة، ولفهم ذلك نعتقد أن اللجنة في عام 1937م، وتشكيل الهيئة عام 1945م كانا تحت ضغوط معينة، فالمحاولة الأولى كانت تحت ضغط الثورة الكبرى، والمحاولة الثانية تعددت الظروف التي أدت إلى إنشائها، فالحرب على وشك الانتهاء والصهيونية في أوج نشاطها وتمارس ضغوطاً لتلبية مطالبها، لذلك تكتلت الدول العربية في الجامعة. فكل هذه التحديات أمام عرب فلسطين جعلتهم يتجاوزون خلافاتهم، وبمعاونة الجامعة العربية شكلوا هذه الهيئة لقيادة حركتهم الوطنية.

وأما القرار الآخر الذي صدر من الجامعة العربية بخصوص فلسطين، فقد كان خاصاً بمسألة الأراضي، فقد تحدث موسى العلمي عن هذه المشكلة في المؤتمر التحضيري الذي عقد في الإسكندرية قائلاً: "بالرغم من ادعاء الحكومة البريطانية أنها تسير في سياسة المنع والتحديد لبيع الأراضي على ضوء التقارير السابقة وعلى توصيات مختلف لجان التحقيق، نرى أن الأنظمة التي وضعتها لتنفيذ ذلك لا تؤمن المقصد ولا تمنع البيع. كما تعلم ذلك الحكومة جيداً، وكما نعلمه نحن، وكما ثبت ذلك بشراء اليهود بعد وضع هذه الأنظمة للمساحات الشاسعة التي تعد بعشرات وعشرات الألوف من الدونمات في المناطق التي منعت الحكومة فيها البيع"(121). واقترح الحل بان يتم تأسيس صندوق قومي عربي عام تشترك فيه جميع البلدان العربية وتشرف على إدارته حتى تصبح جميع أراضي فلسطين وقفاً للعرب لا يجوز التصرّف فيها، وبذلك تضمن عدم انتقال الأراضي إلى أيدي الجمعيات الصهيونية، مع الاهتمام بتحسين حالة الأراضي ومساعدة الفلاح على أن يكون مشروعاً عمرانياً واسعاً من شأنه أن يصون الأراضي في أيد عربية، ويمكن الفلاح من استثمارها على خير وجه، ثم أعدت اللجنة التحضيرية القرار الآتي: "يحال هذا الاقتراح إلى لجنة الشئون المالية والاقتصادية لبحثه وعرضه على اللجنة التحضيرية". ولما صدر بروتوكول الإسكندرية تضمن هذا القرار وعيّن موسى العلمي عضواً فيها، وطلب منه دراسة عملية إنقاذ الأراضي وتقديم اقتراحاته بهذا الشأن، وقد عرف المشروع بعد ذلك باسم "المشروع الإنشائي العربي" وكان له أساسان مهمان، بأن يتم تقديم المساهمة من الحكومات العربية دون أن تتطلع إلى الربح أو استرجاع رأس المال، بل على أساس المحافظة على الكيان العربي. والأساس الثاني أن يتم الإنقاذ بألا ينتظر حتى تقع الأراضي في خطر البيع. فيسارعوا إلى إنقاذها، بل منع الظروف والأسباب التي تحمل صاحب الأرض لبيع أرضه، وأية معالجة جذرية(122). وقد رحب الحزب العربي الفلسطيني بقرار تأسيس شركة الإنقاذ هذه، وقرروا تأسيس لجنة من الهيئة الإدارية للتحقيق في بعض الإشاعات حول بيع الأراضي، ووصفوا المشروع بأنه مشروع جليل، وأعلنوا الانسحاب من صندوق الأمة بعد مهاجمة أحمد حلمي للمشروع، كما رحب أيضاً مؤتمر الشباب بالمشروع وقرروا انضمام عضوين منهم إلى الشركة التأسيسية لهذا المشروع(123).

إذاً فالجامعة العربية كانت على علم بأهمية القضية الفلسطينية بالنسبة لجميع أنحاء العالم العربي، لذا أعطيت تمثيلاً على مستوى الجامعة(124)، ونظراً لنشاط مندوبها موسى العلمي كان للوضع الاقتصادي نصيباً أيضاً من هذا الاهتمام، فالتمويل كان يجب أن يكون عربياً، ولكن ظل المشروع حبراً على الورق.

*   *   *

هوامش الفصل الثاني

(1) فقد وقف العرب بجانب الحلفاء وثاروا ضد الدولة العثمانية بقيادة الشريف حسين، على أمل أن يحققوا أملهم في الوحدة، ولكن خابت آمالهم.

(2) إن مثل هذا البيان من وجهة النظر العربية سوف يمكنهم من إنهاء الإرهاب أو حتى الهجوم، وبالتالي ينهون حالة الفوضى وانعدام الأمن الذي عانوا منه الكثير.

- Co 732/84، Report from High Commissioner to the Secretary of State، no.80، .21-4-1939

(3) انظر الملحق رقم /2/، مذكرات دروزة ج8، ص 217.

(4) Co 732/84، Report from High Commissioner in Palestine، 29-9-1939.

(5) الحوت، المرجع السابق، ص 431.

M.cohen، op. cit. p. 65.

(6) الحوت، المرجع السابق، ص 431 ؛ هيرزوير، المرجع السابق، ص 42.

(7) Co 732/84، Report from High Commissioner in Palestine، 1-9-1939

- هيرزوير، المرجع السابق، ص 93.

- Co 733/341، from High Commissioner to the Secretary of State no 80. 21-4-1939.

(8) رئيس بلدية وعضو حزب الدفاع تعاون دائماً مع الحكومة البريطانية وعارض العنف في عام 1940م، شارك شكري الناجي وعبد القادر المظفر في المشروع الخاص بالتعاون بين الحكومة والعرب.

- Co 733/444/9 – Arab Notables Who Attended Discussion on Food Production at Internal Meeting Held At Government House on 24-3-1941.

(9) جمع لواء، وقد كانت فلسطين مقسمة إلى ستة ألوية..

(10) Co 733/341، from High Commissioner to the Secretary of State no 80. 21-4-1939.

- Co 732/84، from High Commissioner to the Secretary of State no 80. 1-9-1939

- علوش المرجع السابق، ص 167.

(11) الحوت، المرجع السابق، ص 433.

(12) Co 323/1740، from High Commissioner to the Secretary of State no 83. 9/4/1941.

(13) سامي هداوي، فلسطين بين عامي 1914 – 1979 م، ترجمة فخري يغمور (عمان، 1982م)، ص 76.

- Co 323/1740، from High Commissioner to the Secretary of State no، 80. 21/4/1939.

(14) Co 323/1740، from High Commissioner to the Secretary of State، no، 85. 4-6-1941.

- Co 323/1740، Report from High Commissioner in Palestine. 15-9-1939.

(15) Co 323/1740، from High Commissioner to the Secretary of State، no، 85. 4-6-1941.

(16) Co 323/1740، from High Commissioner to the Secretary of State، no 83. 9-4-1941.

- طنوس، المرجع السابق، ص 291.

(17) الشقيري، المرجع السابق، ص 196.

(18) Co 323/1740، from High Commissioner to the Secretary of State no 83. 9-4-1941.

(19) Co 323/1740، from High Commissioner to the Secretary of State no 85. 4-6-1941.

- ومن الأخبار الشائعة في مصر أن الجماهير كانت تطلق على زعيم المحور الحاج محمد هتلر وأن المعتقلين السياسيين يدعون لهتلر في صلاتهم بالنصر، الحوت، المرجع السابق، ص 430.

(20) أنيس صائغ، الهاشميون والقضية الفلسطينية، (عمّان)، ص 185.

- الحوت، المرجع السابق، ص 449.

(21) دروزة، القضية الفلسطينية، ج2، ص 27.

- علي، المرجع السابق، ص 96. مقابلة شخصية مع أكرم زعيتر، يناير 1990 م، مقابلة مع وليد الخالدي، يناير 1990م.

(22) كانت مقاصد بريطانيا من وراء ذلك إرضاء الصهاينة.

- Cohen، op، cit. p. 163.

(23) ويذكر أن الوحدات العربية من فرقة فلسطين كانت خمس مجموعات فقط تم إضافة مجموعتين لها بعد ذلك.

- Co 733/432، Memorandum on Internal Secretary in Palestine ، 1/12/1942..

(24) Esco، op. cit. V.2، p. 1007 ; Kirk، G.the Middle East in the War (1939-1945) (W.1949) p.37.

- Co 323/1740، from High Commissioner to the Secretary of State no 83. 9-4-1941.

(25)جريدة فلسطين، 1941/12/20م ن ص6.

(26) جريـــدة فلـــسطين، 1942/1/23م، ص 2، 1942/3/10م، ص 2، 1942/3/19م، ص 3، 1944/2/10م، ص3، 1943/2/7م، ص1، 1941/12/2م، ص3.

(27) ص2 ، 1941/12/4م ،ص2، 1942/4/8م، ص2، 1942/4/11م.

(28) جريدة الدفاع 1942/8/5م، ص2.

(29) جريدة الدفاع 1942/7/17، ص 2، 1945/1/17، ص 3.

(30) حسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، (نابلس 1975م)، ص26، جريدة الدفاع، 1943/2/16م، ص 3.

(31) حسين، المرجع السابق، ص 43، 170ز جريدة الدفاع 1944/12/28م، ص 2.

(32) Co 733/421/9. from MacMichael to Secretary of state، no. 80. 6/5/1940.

- Barbour، op. p. 217.

(33) النمر، المرجع السابق، ص 26، الحوت، المرجع السابق، ص 434. جريدة الدفاع، 1944/2/4م ص 2، 1945/1/25 م ص 3.

- أميل الغوري، فلسطين، (1962م) ص 57.

- Kirk، op. cit، p 43.

(34) أمين الحسيني كان في العراق ثم انتقل لأوروبا، جمال الحسيني اعتقل ونفي إلى روديسيا، دروزة في تركيا، أحمد حلمي وفؤاد سابا وألفرد روك وحسين الخالدي في لبنان، وعوني عبد الهادي ويعقوب الغصن وعبد اللطيف الغصن وعبد اللطيف صلاح في مصر. الحوت، المرجع السابق، ص 469.

(35) نتيجة لانتصار الحلفاء على المحور في معركة العلمين الحاسمة في الصحراء الغربية لمصر في أكتوبر 1942 م، وعلى أثرها انسحبت جيوش رومل من صحراء أفريقيا وزال خطرها عن مصر والشرق الأوسط، العقاد، المرجع السابق، ص 279.

(36) الحوت، المرجع السابق ن ص 471. op. cit. V.2. p 111،- Esco

(37) وكان معروف عنه ضعف الشخصية وكان يعمل موظفاً مدنياً في دائرة الهجرة.

- Joseph Nevo. The Palestine Arab Party، Asian and African Studies. 1980، no. 14، p. 10.

(38) سايكس، المرجع السابق، ص 433، الحوت، المرجع السابق، ص 475. فقد كان السكرتير يرفع لجمال التقارير بشأن المشاكل الحالية، حيث كان مال يحاول أن يحلّ تلك المشاكل من سجنه، ومشورة جمال بمثابة الأمر تعمل به اللجنة التنفيذية للحزب.

- Nevo، op. cit. p. 102.

(39) Co 733/439، from High Commissioner to the Secretary of State no 230. 24/2/1942

- التماس مقدم من الحزب العربي الفلسطيني إلى وزير الخارجية البريطاني بخصوص إطلاق سراح جمال الحسيني وأمين التميمي. انظر الملحق رقم /5/. Co 732/88/15. ويؤكد الدكتور وليد الخالدي، أن علاقة المفتي بجمال الحسيني كان يشوبها بعض الحزازات، نظراً لأنه يوجد بينهم بعض الخلافات الشخصية.

Nevo، op. cit. pp 110-111.-

(40) Co 733/464. from MacMichael to Secretary of state، no. 814، 28/4/1944.

- جريدة الدفاع 1944/12/1 م، ص 3.

(41) وفي عام 1944م عقد الحزب عدداً من الاجتماعات في المنطقة الشمالية، وفي يافا، ووجّه فيها الشكر للدول العربية للاهتمام بقضية فلسطين، واجتماعاً آخر في القدس تم فيه الاحتجاج على نشاط الصهيونية في أمريكا، جريدة فلسطين 1944/8/6م، ص 2، 1945/6/2م، ص 1،1945/5/4م، ص2، جريدة الدفاع 1944/8/13م، ص 2، 1945/4/12 م ، ص2.

(42) وقد سبق لأميل الغوري القيام برحلة للولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك وكوبا للدعاية لقضية فلسطين خلال عام 1938م، ولهذا فقد أصبحت له سابقة معرفة بالمهاجرين العرب، الغوري، المرجع السابق ص 210.

(43) النمر، المرجع السابق، ص31، 32 ؛ جريدة الدفاع، 1944/5/17م، ص 1.

(44) وسوف يتم الحديث بشكل مفصل عن هذا الحزب لاحقاً.

(45) الحوت، المرجع السابق، ص 478. سايكس، المرجع السابق ص 443.

- Nevo، op. cit، p 114.

(46) فقد حمل أقطاب حزب الدفاع على لابسي الحطة والعقال وأطلقوا عليه زي الإجرام، النمر، المرجع السابق، ص 26.

- Hurweitz، op. cit، p30 ; Esco، op. cit، V.2 p. 1010.

- Co 733/87/11، from High Commissioner to the Secretary of State، 27/4/1943.

(47) Co 733/444، from High Commissioner to the Secretary of State، 31/3/1941.

- Co 323/1740، from High Commissioner to the Secretary of State، no. 83. 9/4/1941.

- Co 733/431/9. from MacMichael to Secretary of state، no. 80، 6/5/1940.

- Esco، op. cit، p 1010.

(48) Co 733/439/16، from High Commissioner to the Secretary of State No. 1657، 24/11/1941.

- Co 733/444، from High Commissioner to the Secretary of State ، 31/3/1941.

- Harewitz، op.cit، p6.

(49) Co 733/444/9، from High Commissioner to the Secretary of State ، No. 441، 27/3/1941.

(50) ويقصد طوقان، عبد الرؤوف البيطار عمدة يافا وعضو حزب الدفاع وهو ناشط في التعاون مع الحكومة، وأخيه عمر البيطار أحد وجهاء يافا. الحوت، المرجع السابق، ص 883.

- Nashashibi، Nasser Eddin، Jeruslem Other Voice، (London، 19 p90) p. 160.

(51) Co 733/426/12، from Colonies office to Macminoel. 14/8/1940.

- Co 733/426/12، Report About Conversation with Tugan. 14/6/1940.

- Co 733/444/4، from High Commissioner to Colonel's office، 10/1/1941.

(52) Co 733/428/12، from High Commissioner to Colonel's office، 7/11/1941.

- Co 733/439/16، from High Commissioner to the Secretary of State ، No. 1647 ، 24/11/1941.

- تيسير الناشف، النخبة السياسية في المجتمع العربي الفلسطيني، شؤون فلسطينية، العدد 48 (أغسطس 1975م)، ص 155.

(53) Barbour، op. cit، p217; Esco، op. cit، V.2 p 1010.

- Co 733/439/16، from High Commissioner to the Secretary of State، No. 1657 ، 24/11/1941.

(54) حريدة فلسطين، 1944/1/28م، ص 1، 1944/3/11م، ص 3.

(55) Co 733/457/1، from High Commissioner to Colonial office، 603/1944.

(56) جريدة الأهرام، 1944/5/2م. ص4.

- Barbour، op. cit. p 180.

(57) Co 733/457/1، from Abdillatif Salah to Colonial office، 29/9/1944.

- جريدة الدفاع، 1944/12/10م، ص3، 1944/3/6م، ص 2، 1945/1/21م، ص 2، مذكرات دروزة، ج17، ص 100.

(58) انظر ص 13.

(59) جريدة الدفاع، 1944/10/21م، ص 2. 1945/1/10م، ص3. 1945/3/13م، ص2.

- Barbour op. cit. p 183.

(60) المرجع السابق، 1945/5/27م، ص2.

(61) لذلك وجد من المناسب فصله عن نشاط الأحزاب التقليدية التي عرضت في مكان سابق.

(62) Co 733/147/13، Memorandum by the Government of Palestine، 1943.

(63) لقد سبق وناشد الوطنيون الرسميون باسم حزب الاستقلال قادة الأحزاب الخاملة للالتحاق بهم لتشكيل مجموعة سياسية تنفيذية ناطقة باسم عرب فلسطين.

- Barbour، op. cit. p 129.

(64) وقد سبق الإشارة لهذه المحاولة عند الحديث عن نشاط حزب الاستقلال في مكان سابق.

(65) جريدة الدفاع، 1943/3/12م، ص2، مذكرات دروزة، ج17، ص 276.

- Co 733/147/13، Memorandum by the Government of Palestine، 1943.

(66) تألفت اللجنة العربية العليا في أبريل 1936م من ممثل واحد عن كل حزب سياسي وبعض الطوائف وهي في حقيقتها أعطت مقعدين للأحزاب الرئيسية (العربي، الدفاع، الاستقلال) وأهدافها وطنية: وقف الهجرة، منع انتقال الأراضي، إنشاء حكومة وطنية.

(67) المجلسيون، نسبة إلى المجلس الإسلامي الأعلى، وكان يرأسه الحاج أمين الحسيني. ومن هنا أصبح لفظ المجلسيين يطلق على أنصار المفتي أنصار الحركة الوطنية، في مقابل المعارضين أنصار النشاشيبي وحزب الدفاع. الموسوعة الفلسطينية، ج2، ص227 – 230.

(68) بالنسبة لعوني عبد الهادي ورشيد الحاج إبراهيم فهما لا يعتبران من المعارضين ولكنهما يمثلان لوناً خاصاً مستقلاً، كما أنهما لم يكونا متفقين مع المجلسيين، مذكرات دروزة، ج 17، ص 276.

(69) Fo 317/4517، Recent Developments in Palstine Arab Politics ، 24/7/1945.

(70) سياسي فلسطيني، ولد في الرملة، من خريجي الأزهر، عمل بالمحاماة بعد الحرب العالمية الأولى، وأصدر جريدة الجامعة الإسلامية عام 1933م – دينية وأدبية وسياسية – عطلت عام 1938م، الموسوعة الفلسطينية، ج4 ص 586.

(71) وعضوية المشايخ الآتية أسماؤهم: يونس الخطيب، والشيخ صبحي خيزران، ومطيع درويش أحمد، وعثمان الصباغ، وصبحي عيسى الحنين، وحلمي الآغا، وموسى المحمودي، وأحمد الخطيب، وعبد الله المصري.

- مذكرات دروزة، ج 17، ص 277.

(72) جريدة الدفاع، 1945/3/29م، ص 2.

(73) ويتكون مجلس الجبهة من اثني عشر عضواً: عبد الحمن السكك السكرتير، ومصطفى أبو زيد، كمال ترزي، معطف الطاهر، شكري سلامة، عبد الله متري، حكمت التاجي، محمد عودة، موسى الكيالي، جورج مطر، سليم السعيد.

- الحوت، المرجع السابق، ص 474، 900 ؛ جريدة الدفاع 1945/3/29 م ص 2.

(74) فكانت ميزانية المعارف لا تتجاوز 3%، بينما ينفق على الأمن العام حوالي 15%، وهذا دليل صارخ وقاطع للسياسة البريطانية المتحيزة للمشروع الصهيوني وعدم العناية بالخدمات الصحية والتعليمية لعرب فلسطين.

عبد الله عبد السلام قشطان، التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1516 – 1948 م، (عمّان 1987م)، ص 50.

- مذكرات دروزة، ج14، ص 69.

(75) وهذه المدن التي شملتها الإضرابات: القدس، نابلس، جنين، قلقيلية، الناصرة، طبريا، صفد، طولكرم، غزة، المجدل، الرملة، اللد، الخليل، بئر السبع، رام الله، جريدة فلسطين 1945/3/25م، ص 2.

(76) النمر، المرجع السابق، ص 30.

(77) جريدة الدفاع، 1944/11/12م، ص 2.

(78) جريدة الدفاع، 1944/12/11م ص 2 ؛ 1945/3/26 م ص 3 ؛ الحوت، المرجع السابق، ص 473.

(79) وقد أراد الشيخ حسن البنا من تأسيس هذه الحركة إحياء معاني الإسلام الصحيحة في النفوس والالتزام بتعاليمه عقيدة وسلوكاً ومنهجاً وتخليص البلاد من الاستعمار. وقد احتاجت فلسطين من الإخوان جهوداً خاصة ومركزة لأن الاضطرابات السياسية التي تعاني منها تجعل للقضايا السياسية أولوية على الأمور الدينية بالإضافة للاهتزازات الداخلية في الحركة الوطنية. محسن صالح، التيار الاسمي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، 1917 – 1948م، (الكويت، 1988م)، ص 435.

(80) محسن صالح، المرجع السابق، ص 436.

(81) المرجع نفسه، ص 436.

(82) الحوت، المرجع السابق، ص 516 ؛ الشقيري، المرجع السابق ن ص 457. موسى البديري، تطوّر الحركة العمالية العربية في فلسطين، (بيروت 1981م)، ص 30.

(83) اختصار للاتحاد العام للعمال اليهود في أرض إسرائيل، تأسس عام 1920م وهدفه خدمة العمال اليهود، ويعتبر أحد مؤسسات الصهيونية، ويشكل أيضاً قوة سياسية كبرى تتصارع شتى الأحزاب والجمعيات السياسية للسيطرة عليه. وللهستدروت تنظيم هرمي دقيق تتشكل قاعدته من مئات اللجان العمالية في المصانع والمؤسسات والمعامل، ويقف على قمته المؤتمر العام الذي ينتخب أعضاؤه. الموسوعة الفلسطينية، ج4، ص 543 – 544.

(84) نبيل أيوب بدران، التعليم والتحديث في المجتمع الفلسطيني، (بيروت 1969م)، ص 249. فائق طهبوب، الحركة العمالية والنقابية في فلسطين (بيروت 1973م)، ص 12 – 19.

(85) سامي طه: أحد رواد الحركة العمالية النقابية العربية في فلسطين، حرص على تثقيف نفسه، فارتفع بثقافته إلى درجة عالية، وتدرّج في استلام مسئوليات جمعية العمال العربية حتى وصل إلى مركز النقابي الأول وبات رئيساً لها، وقد اعترفت الهيئة العربية العليا بأهمية الجمعية واختارته ضمن وفدها إلى لندن عام 1947م، وقد اغتيل في نفس السنة في حيفا. الموسوعة الفلسطينية، ج2، ص 530.

(86) البديري، المرجع الساب ق، ص 44.

- Chudleigh، H. Labour problems. (Palestine Economic) ، 24/1/1943. p 14.

- A Survey of Arab Labour Organization in Palestine. (Jerusalem 1945) ، p 20.

- هاني حوراني " ملاحظات حول أوضاع الطبقة العربية العاملة في فلسطين في عهد الانتداب " شؤون فلسطينية، العدد 5 (نوفمبر 1971م)، ص 123.

(87) كما اهتمت الجمعية بتيسير الأعمال للعمال لدى السلطة، وفي عام 1942م قدمت ألف عامل لتشغيلهم، واتفقت الجمعية منذ 1941مع سلطات الجيش بأن يستخدموا جميع العمال العرب. وفي عام 1944م عقدت الجمعية

اتفاقية مع أصحاب مصانع الكرتون على زيادة رواتب العمال الأساسية وإدخال تعديلات على الاتفاقية القديمة لصيانة حقوق العمال.

- طهبوب، المرجع السابق، ص 192؛ البديري، المرجع السابق، ص 421 – 424. مذكرات الخفش، ص 44.

(88) جورج منصور: نقابي فلسطيني لم يحصل على مؤهل علمي عال، عمل في مهنة التعليم، وهو من رواد الحركة العمالية، وأدى نشاطه إلى تكوين أول نقابة عمالية، شارك في الثورة الكبرى فاعتقل ثم أطلق سراحه وأدلى بشهادته أمام لجنة بيل، ثم اختاره المفتي لإدارة المكتب العربي الفلسطيني في لندن عام 1937م. عمل في الصحافة في مصر خلال الحرب الثانية، وانتقل مع الهيئة العربية من القاهرة إلى بيروت وتوفي فيها عام 1959م. الموسوعة الفلسطينية، ج، ص 57.

(89) البديري، المرجع السابق، ص 50 – 51.

(90) الخفش، المرجع السابق، ص 34 – 40 ؛ طهبوب، المرجع السابق، ص 213. صادق سعد، فلسطين بين مخالب الاستعمار، (القاهرة) ص 57.

(91) حنا عصفور، محامي نشيط في صفوف الجمعية العربية للعمال منذ الثلاثينات، البديري، المرجع السابق، ص 51.

(92) جريدة فلسطين، 1945/5/8م، ص2.

(93) موسى خليل، " الحزب الشيوعي الفلسطيني 1919م "، شؤون فلسطينية، العدد 39 (نوفمبر 1974م)، ص 132.

- طهبوب، المرجع السابق، ص 216 ؛ جريدة فلسطين، 1945/2/28م، ص 2. 1945/3/24م، ص3 . جريدة الدفاع، 1945/5/3م، ص 2.

(94) محمد عبد الرؤوف سليم، نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين منذ إنشائها حتى قيام دولة إسرائيل 1922 – 1948 م، (بيروت 1982م)، ص 575.

(95) والتي حدثت في معركة ستالينجراد عام 1943م وانهزم فيها الجيش الألماني على يد الجيش السوفيتي، العقاد، المرجع السابق، ص 201.

(96) ومن أهم أعضاء العصبة البارزين، جبرا نقولا، فخري مرقة، مخلص عمرو، أميل توما، توفيق طوبى، فؤاد نصار، أميل حبيبي، يونس فرج. الحوت، المرجع السابق، ص 488، سليم، المرجع السابق، ص 575. ماهر الشريف، "عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين 1943 – 1948 م"، شؤون فلسطينية، العدد 108، (نوفمبر 1980م) ص 68.. خليل، المرجع السابق، شؤون فلسطينية، العدد 139، ص 124. سميح سمارة، العمل الشيوعي في فلسطين، بيروت 197 م، ص 274.

(97) الشريف، المرجع السابق، شؤون فلسطينية، العدد 108، ص 96؛ سمارة، المرجع السابق، العدد 39، ص 128-129

(98) عبد القادر ياسين، كفاح شعب فلسطين، ص 204 ؛ الشريف، المرجع السابق، شئون فلسطينية، العدد 108، ص 72؛ سمارة، المرجع السابق، ص 251.

(99) فقد عبرت المذكرة عن وجهة النظر القائلة بأن الحل الوحيد للمعضلة الفلسطينية تكمن في إعطاء الشعب الفلسطيني حقه في تقرير المصير ودعت إلى حكم وطني ديموقراطي مستقل يضمن حقوق سكان فلسطين.

الشريف، المرجع السابق، شؤون فلسطينية، العدد 108، ص 38 – 48.

(100) ونادي شعاع الأمل من أبرز النوادي الاجتماعية والسياسية، وكان هدف بولس فرح من إنشائه أن يكون بمثابة صلة الوصل بين أعضاء "رابطة المثقفين العرب" التي شكلت عام 1938م وبين العمال العرب العاملين في شركات النفط، فقام أميل حبيبي وسعيد قبلان بتشكيل نادي الشعب، وقد اختلف الناديان في التوجّه، فبينما كانت مجموعة شعاع الأمل تصر على ضرورة تشكيل حركة نقابية تطرح برنامجاً مضاداً لجمعية العمال كان نادي الشعب يصر على اختراق جمعية العمال المهيمنة على الحركة النقابية. الشريف، المرجع السابق، شؤون فلسطينية، العدد 108، ص 17. سمارة، المرجع السابق، ص 253.

(101) البديري، المرجع السابق، ص 39 .50 –

(102) وقد وافقت قيادة اتحاد النقابات على الاتفاق والترتيب مع الجمعية لأن اهتمامها الأكبر كان ينصب على إمكان تغير الجمعية من الداخل، ولذلك رأت أن دورها يكمن في تقوية الفرع الأكثر راديكالية في داخل الجمعية.

- البيري، المرجع السابق، ص 41. جريدة فلسطين، 1944/1/25م، ص 2.

(103) كأميل حبيبي، وبولس فرح، ومحمد موسى، وتوفيق طوبي، سمارة، المرجع السابق، ص 258.

(104) البديري، المرجع السابق، ص 45.

(105) انظر، ص 27.

(106) فروع الجمعية التي انفصلت هي: القدس، يافا، الناصرة، غزة، مذكرات الخفش، ص 40، 41.

(107) حوراني، المرجع السابق، شئون فلسطينية، العدد 5، ص 123 – 128. سليم، المرجع السابق، ص 533، ياسين، كفاح شعب فلسطين،ص 197م

(108) عمان، بغداد، القاهرة.

(109) M.Cohen، op. cit، p 141 ; Marlowe، op. cit، p 10.

- من هذه المشاريع مشروع سوريا الكبرى ومشروع الهلال الخصيب.

(110) مذكرات الملك عبد الله، الآثار الكاملة، مذكرات (بيروت)، ص 208 – 220. الحوت، المرجع السابق، ص 236، 237.

(111) M.Cohen، op. cit، p 143 ; the Times، 18/5/1943.

- عبد الهادي، المرجع السابق، ص 125.

(112) الحوت، المرجع السابق، ص 125.

(113) M.Cohen، op. cit، p 145.

(114) Hurewitz، op. cit، p4.m. M.cohen، op. cit، p 143.

- الشقيري، المرجع السابق، ص 203 ؛ جريدة فلسطين 1943/6/3 م، ص 2.

(115) نجيب صدقة، قضية فلسطين، (بيروت)، ص 267.

- Fo 371/35047، From Macmcheal to Colonies office، no. 143، 16/11/1943.

(116) Al-Nashashibi، op. cit، pp 8.9 ; Barbour، op. cit، pp 7. 19.

- الشقيري، المرجع السابق، ص 204.

- The Arab office ، the Future of Palestine، p 47.

(117) وسوف يشار إلى تفاصيل هذه الحادثة عند الحديث عن نشاط موسى العلمي في الفصل التالي.

(118) والوفود العربية المشاركة في مباحثات الإسكندرية وفد مصر والسعودية والعراق وشرق الأردن وسوريا ولبنان واليمن.

- Esco، Op. Cit. V.2، p 992.

- النشاشيبي، المرجع السابق، ص 30؛ صدقة، المرجع السابق ن ص 268.

- Fo 371/35047، From Macmcheal to Colonies office، no. 143، 16/11/1943.

(119) الحوت، المرجع السابق، ص 548 ؛ صدقة، المرجع السابق، ص 270.

(120) Al Nashashibi، op. cit، p 190.

- رؤساء الأحزاب هم راغب النشاشيبي، عوني عبد الهادي، حسين فخري الخالدي، عبد اللطيف صلاح، يعقوب الغصين.

- الناشف، المرجع السابق ن ص 136. 137.

(121) الحوت، المرجع السابق، ص 809.

(122) النشاشيبي، المرجع السابق، ص 215 – 220. ريدة الدفاع، 1945/4/12م، ص 3. جريدة فلسطين، 1945/4/15م، ص 3. الحوت، المرجع السابق، ص 518.

- Furlonge، Geoffrey، Palestine is my Country، the Story of Musa Alami، London، 1967.

(123) جريدة فلسطين، 1945/4/15م، ص 3.

(124) The Arab Office، The Future of Palestine، p 48.

* * *

الفصل الثالث: نشاط الفلسطينيين السياسي في الخارج

* عوني عبد الهادي.
* محمد علي الطاهر.
* موسى العلمي.
* أكرم زعيتر.
* محمد عزة دروزة.
* الحاج محمد أمين الحسيني.

* * *

نشاط الفلسطينيين في الخارج

يعتبر نشاط الفلسطينيين خارج بلادهم من أهم سمات الحركة الوطنية خلال سنوات الحرب، فظروف الثورة الكبرى قبيل الحرب وما أدت إليه من قيام حكومة الانتداب بحلّ اللجنة العربية العليا كزعامة شرعية للحركة الوطنية، اضطرت هذه الزعامات ومن تبعها إلى الخروج من فلسطين حتى لا يقعوا في قبضة السلطة، ثم تبع ذلك اشتعال الحرب ومزيد من الإجراءات التعسفية من قبل السلطات البريطانية ضد أي نشاط سياسي. كل هذا كان له أكبر الأثر في نقل الحركة الوطنية إلى خارج حدود الوطن فأخذوا من أماكنهم يتابعون العمل في سبيل قضيتهم، وقد تشتت هؤلاء الزعماء في عدد من الأقطار العربية المجاورة.

وسنعرض في هذا الفصل لنشاط بعض الشخصيات المؤثرة في ميدان الحركة الوطنية الفلسطينية لنتابع نشاطها خارج فلسطين، بعد أن اضطرتها سلطات الانتداب إلى مغادرة البلاد، ومن هؤلاء:

عوني عبد الهادي:

اشترك عوني عبد الهادي في عضوية الوفد الفلسطيني في مؤتمر لندن 1939م /1358 هـ/ فبعد انقضاء المؤتمر لم يعد إلى فلسطين لأنه كان معتقلاً خلال الثورة ولم يطلق سراحه إلا عند وصول لجنة التحقيق الملكية سنة 1937م/ 1356هـ/ وبعد أن مثل أمامها توجه إلى بغداد للدعاية لقضية بلاده، ومنذ ذلك الوقت لم يرجع إلى فلسطين فاتجه إلى القاهرة التي كانت مركزاً للدبلوماسية البريطانية. وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية، بعث برسالة إلى رئيس الوزراء المصري علي ماهر يشكوه فيها على سعيه للحصول على العفو عن المبعدين الفلسطينيين من الحكومة البريطانية. وفي يناير 1941م/ ذي الحجة 1359هـ/ سافر إلى المملكة العربية السعودية وواصل فيها مساعيه من أجل القضية الفلسطينية بسبب الاهتمام الذي يبديه الملك عبد العزيز تجاهها، وبدأ مع الملك سلسلة من المحادثات

تناولت القضية الفلسطينية، وأخذ عوني يشرح مدى الأخطار التي تحدق ببلاده. ورأى الملك عبد العزيز بأنه يجب أن تكون الخطوة الأولى في هذا المجال السعي لإنشاء لجنة عربية عليا من ممثلي الأقطار العربية، ويتم اختيار أعضائها من الشخصيات العربية المحترمة، وأنيط تنفيذها بعوني ليقوم بالاتصال مع الدول العربية الأخرى، ولكن يبدو أنه لم تقابل فكرة إنشاء اللجنة بالاستحسان من جهات عربية أخرى، لذلك لم تر الفكرة النور. وغادر عوني المملكة بعد ذلك إلى مصر ثم تسنى له الرجوع إلى فلسطين في يوليو 1941م/جمادى الثانية 1365هـ/ ومن هناك استأنف نشاطه السياسي(1).

محمد علي الطاهر :

ومن ضمن الفلسطينيين الذين عملوا خارج حدود بلادهم لخدمة قضيتهم الصحفي محمد علي الطاهر، الذي كان منذ العشرينات يعيش خارج بلاده، حيث أقام في مصر واستطاع أن يصدر جريدته "الشورى"، وقد وقفها على التنديد بسياسة الاستعمار وفضح مؤامراته، ولكنها تعرضت للمصادرة والإغلاق أكثر من مرة فكان يتحايل على ذلك بإصدارها تحت اسم جديد، وظل يعيش في مصر مدة ثلاثين عاماً، واعتمدت الحركة الوطنية عليه وهو في مصر لأنه يقوم بالتعريف بالثورات الوطنية، وساهم بالإعداد للمؤتمر الإسلامي عام 1931 م/1351هـ/ نتيجة لنشاطه هذا كانت السلطات البريطانية لا تسمح له بالدخول إلى فلسطين إلا للزيارة كأجنبي، وخلال الثورة الكبرى أعد كتاباً عن فظائع السلطة ومعاملتها للعرب ولكنه صودر(2). كما رأس الطاهر اللجنة الفلسطينية في مصر والتي كانت تعتمد على جهوده الشخصية. ففي عام 1939م / 1358 هـ/ أرسلت هذه اللجنة برقية إلى لندن وإلى عدة جهات أخرى رداً على بلاغ بريطاني تم التنصل فيه من فظائع الجيش البريطاني لذلك جاءت برقية الطاهر تكذيباً لمحتويات البلاغ البريطاني. وشرح أن وجود نقطة البوليس قرب المسجد الأقصى لم توجد إلا أيام الانتداب البريطاني. وهكذا استطاع الطاهر أن يكون الصوت الصادق للحركة الوطنية وأن يفلت من رقابة السلطات البريطانية إلى حد كبير(3).

وعندما تأزم الموقف الدولي قبل اندلاع الحرب، رأى الطاهر أن يحث الحكومة المصرية بانتهاز فرصة اضطراب بريطانية والعمل لصالح قضية العرب. فبعث برسالة إلى علي ماهر رئس وزراء مصر في 1939/1/27 م (7/12/ 1358هـ) يقترح عليه مراجعة الحكومة بخصوص حل القضية الفلسطينية حلاً عادلاً، وهو يعتقد أن بريطانية لن ترفض طلب مصر حليفتها وهي في ظرف دقيق لتكسب رضا مصر وتأييد ملايين العرب والمسلمين. وأن وجود هذه الأزمة سيبرر أي حل ستتخذه بريطانيا. ورد علي ماهر بأن القضية الفلسطينية حاضرة دائماً في أذهان المسئولين المصريين وأنه لن يضيع أية فرصة لعمل اللازم. وقام الطاهر بإخراج وإصدار ما لديه من مقالات نشرت في أعداد قديمة من مجلات كان قد قصرها على فظائع الإنجليز وأخذ يعطيها لباعة الجرايد، كنوع من شحذ الهمم ضد بريطانيا وهي في أزمتها(4).

وكان الطاهر قد أوجس خيفة بعد اشتعال الحرب من أن يزيد تسلط الحكومة البريطانية ضده على أساس ما عاناه خلال الحرب الأولى. فأوقف جريدة ''العلم'' التي يصدرها قائلاً: (ما دام السيف قد تكلم فما على القلم إلا أن يسكت)(5)

كما حل اللجنة الفلسطينية وأوقف كل نشاطاته مترقباً نتيجة الحرب. وقام بتوزيع كل الأوراق والملفات على عدد من أصدقائه، فإذا وقع منها شيء في يد السلطة بقيت هناك أشياء أخرى. وبالفعل أخذ الإنجليز يعملون للقبض عليه ولكن رئيس الوزراء المصري رفض تنفيذ ذلك قائلاً: (هاتوا ما يثبت عليه عملاً ضاراً بقضية الحلفاء لأحبسه)(6). ويعود هذا التسلط من السلطات البريطانية إلى نشاطه وفعاليته في خدمة الحركة الوطنية. وبما أنها شددت قبضتها في داخل فلسطين وضمنت باعتقال الزعماء وحل الأحزاب تجميد أي نشاط سياسي، فكان لا بد أن تعمل على إخماد ما بقي منها في الخارج. وكان الطاهر قد فطن لنوايا بريطانيا فأوقف نشاطه ولم يقم بأي عمل يمكن مؤاخذته عليه. وبعد مرور سنة على اشتعال الحرب، وتغير الوزارة المصرية(7) أوعزت السلطات البريطانية في مصر إلى حكومتها بالقبض على الطاهر، وبالفعل تم إلقاء القبض عليه وأودع أحد المعتقلات سنة 1940م/ 1359 هـ/، وقد أثار اعتقاله الكثيرين وخاصة في العراق، ونشرت الصحف ذلك وبدأت التساؤلات توجه للحكومة العراقية أن تفعل ما في وسعها للعمل على إطلاق سراح الطاهر. كما توسط بعض العلماء والطلبة لدى الحكومة المصرية بغرض الإفراج عنه. وقدم بعض أبناء الأقطار الإسلامية الموجودين في مصر عريضة لرئيس الوزراء المصري يجددون فيها الطلب. ولكن بريطانيا رفضت دائماً أن تستمع إلى أي شيء بشأنه، مع أن بعض ممثلي الدول العربية أعلنوا استعدادهم لأخذه عندهم وضمانه كمحمد السنوسي من ليبيا وتحسين العسكري من العراق. ولكن ساد اعتقاد بأنه يجب أن توقف كل هذه المساعي حتى لا تفطن بريطانيا لأهميته فيتشددون أكثر، ولكن يبدو أن بريطانيا كانت مدركة لذلك لأنها لم تلن في موقفها(8).

وحين أصيب الطاهر بوعكة صحية في السجن تم نقله إلى المستشفى ومن هناك استطاع أن يهرب ويتنكر واختفى إحدى عشر شهراً، حتى تغيرت الوزارة وجاء الوفد إلى الحكم. فلجأ الطاهر إلى النحاس باشا، وأصدر بالتالي أمراً بالإفراج عنه. وبعد أن نال الطاهر حريته، وجه اهتمامه إلى العمل على حث الحكومة المصرية كي تتوسط لدى بريطانيا للإفراج عن الزعماء الفلسطينيين المعتقلين في روديسيا.

وأما موقف الطاهر من تشكيل الجامعة العربية ومسألة فلسطين فيها، فكان من رأيه ألا يشارك أي فلسطيني حتى يتم الإفراج أولاً عن المعتقلين لأن هذا سيكون أكبر برهان على تغير السياسة البريطانية. ولكنه تراجع عن هذا الموقف حين فطن أن بريطانيا ترغب في ألا تشارك فلسطين في الجامعة، فاقترح الطاهر على النحاس باشا أن يطلب مندوباً عن فلسطين ورشح موسى العلمي، وكان الطاهر يرى أن يقوم موسى العلمي بعد حضوره إلى مصر بطرح مسألة المبعدين في اجتماعات الجامعة، وبذلك تخشى بريطانيا إثارة مسألة كهذه فتطلق سراح المعتقلين. وقد تأثر الطاهر بالنتيجة التي أسفرت عنها الحرب. فتأسف على ألمانيا واليابان حين تم إخراجهما من الميدان العالمي بعد أن كان وجودهما كفيلاً لحفظ التوازن بين الدول ويخيف دول الانتداب في الوطن العربي والاستعمار.

فأصبحت الساحة خالية من أي منافس. هكذا رأينا الطاهر قد قلص نشاطه خلال سنوات الحرب نتيجة لاعتقاله، ولكن تاريخه الطويل في الكفاح الوطني يجعلنا لا نستطيع أن نغفل عن ذكره وتتبع تحركاته إبان سنوات الحرب(9).

موسى العلمي:

يعتبر موسى العلمي من أهم الذين خدموا قضية بلادهم من الخارج، وهو معروف بأنه سياسي من الدرجة الأولى، فهو مستقل لا يتبع أي حزب سياسي، وعرف بأسلوبه المعتدل عند مناقشته للقضية الفلسطينية، وقد تخرج من جامعة كمبردج البريطانية. وكان موظفاً كبيراً في الإدارة البريطانية في فلسطين، ولكن بعد قيام الثورة الكبرى اشتدت إجراءات السلطة البريطانية ففقد وظيفته في أكتوبر 1937م/شعبان 1356هـ/. ومنذ ذلك الوقت لجأ إلى لبنان وفي 1938م/1357هـ/ اتجه إلى لندن في مهمة إعلامية شبه سياسية ليشرح للإنجليز الأسس والمفاهيم التي يريد عرب فلسطين أن يشاركوا بموجبها في مؤتمر لندن وشارك موسى العلمي في وفد مؤتمر لندن، ويعتقد موسى العلمي أن العرب في المؤتمر فشلوا في الالتزام بالمحافظة على وحدة جبهتهم مع أنه يوجد تحول كبير في بريطانيا، في المشاعر على الأقل، لصالح الفلسطينيين. وكان موسى العلمي يعتبر الكتاب الأبيض اعترافاً لم يسبق له مثيل بقوة القضية الفلسطينية، وكان على استعداد لقبوله كتأمين لأساس مفاوضات أخرى مقبلة مع الحكومة البريطانية حينما يحين الوقت المناسب(10).

وحين اندلعت شرارة الحرب العالمية كان موسى العلمي في بيروت، ولم يقدم طلباً إلى سلطات الانتداب للسماح له بالعودة رغم أنه خدم بريطانيا عندما شارك في إقناع عرب فلسطين بحضور مؤتمر لندن. ولكن كرامته لم تسمح له أن يرجو بريطانيا من أجل العودة إلى وطنه.

واتجه العلمي إلى بغداد وقابل نيوكمب الذي زار الشرق الأوسط في يوليو 1940م / جمادى الثانية 1359هـ/ وذكر نيوكمب أنه يرغب في مقابلة اثنين من عرب فلسطين كان موسى العلمي أحدهم. وبالفعل عقد معه اجتماعاً، ولكن لم تستمر المحادثات بسبب ظروف موسى العلمي العائلية إذ توفيت والدته. وكان نيوكمب قد أبلغه أن يستعد للعودة إلى فلسطين فور موافقة الحكومة البريطانية، ولكن لم يكتب لمهمة نيوكمب النجاح ولم تصدر بريطانيا أي تصريح(11).

ومكث موسى العلمي في بغداد إلى أن حدثت ثورة الكيلاني. ولم يتعاطف موسى العلمي معها ورغب في الابتعاد. فتقدم بطلب إلى حكومة فيشي الفرنسية ليعود إلى بيروت وسمح له بذلك، فعاد في مايو 1941م/ربيع الثاني1361هـ/.وبعد نجاح بريطانيا في القضاء على الثورة في العراق وأعادت سيطرتها على الشرق الأوسط، ولم يعد هناك سبب لمنع موسى العلمي من العودة إلى فلسطين، فعاد في أغسطس 1941م/رجب1360هـ/، وبعد عودته استدعاه المندوب السامي في القدس وحذره بأن فلسطين تشهد فترة هدوء وأنه سوف يتحمل أية مسئولية عند حدوث اضطرابات في المستقبل. وطلب من موسى العلمي عدم البقاء في القدس وأن ينتقل إلى مكان آخر، وهذا مما يدل

على أن السياسة البريطانية في تلك الفترة كانت لا ترغب أن ترى أي نوع من النشاط السياسي أو أي أحد من رموز هذا النشاط في مكان يمكن أن يشكل خطراً على بريطانيا.

وفي عام 1944م/1363هـ/ ظهر دور لموسى العلمي عندما اختلفت الأحزاب السياسة في اختيار مندوب لها لحضور مباحثات الجامعة العربية في مصر. وبما أن موسى العلمي لم يكن يتابع تطورات السياسة خلال العامين السابقين، فقد فوجئ بزيارة جمال طوقان وعبد الحميد شومان وحسين الخالدي يطلبون منه سرعة السفر بعد أن أخبروه بضرورة تمثيل فلسطين في محادثات تأسيس جامعة الدول العربية، وأنه وقع عليه اختيار كافة الأحزاب السياسية لأنه لا ينتمي لأي حزب ويمكن أن يمثل الجميع، وحاول العلمي أن يرفض العرض بحجة أنه ليس سياسياً، ولكن محاولته باءت بالفشل. وأكد له الزعماء الفلسطينيون بأنهم اختاروه باعتباره محامياً عن قضيتهم وأن المؤتمر لن يستغرق أكثر من أسبوع وبعدها يمكنه أن يستأنف حياته الخاصة(12).

واتجه موسى العلمي إلى القاهرة وأدرك بعد وصوله أن بريطانيا لا تحبذ حضوره المؤتمر وأن النحاس باشا لا يستطيع أن يفعل له شيئاً. ولكن موسى العلمي بشخصيته الوطنية لم يرغب أن يقف مكتوف الأيدي أمام التعنت البريطاني في سبيل تمثيله لفلسطين في محادثات الوحدة. واستطاع بدبلوماسيته الماهرة أن يجد مخرجاً من هذه الأزمة. فوجد حليفاً غير متوقع تمثل في شخص"الملك فاروق" الذي كان على خلاف تقليدي مع رئيس الوزراء النحاس باشا، ورأى الملك فاروق استخدام مسألة التمثيل الفلسطيني لإحراج النحاس باشا. ولذلك حرص الملك فاروق على إرسال دعوات إلى موسى العلمي لحضور احتفالات ذات علاقة بفلسطين. كما حرص على مخاطبته تارة"برئيس وزراء فلسطين" وتارة أخرى"برئيس وفد فلسطين".

وبعد أسبوع أعلن مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر قبوله موسى العلمي ممثلاً لفلسطين، وليشارك في الجلسة الختامية للمؤتمر، وليلقي خطابه أمام الجميع. ولكن موسى اتجه إلى مكتب الوزير البريطاني المقيم كيسي (Casey) والتقى بالضابط السياسي كلايتون (I. N.Clayton)، وطلب موسى أن ترفع بريطانيا اعتراضها على مسألة حضوره مهدداً بأنه سيعود إلى فلسطين ويعلن سبب إبعاده عن المؤتمر وهو أمر لن يكون في صالح بريطانيا. وبعد نقاش مستفيض وافقت السلطات البريطانية على حضور موسى العلمي مباحثات الوحدة العربية ممثلاً لعرب فلسطين. وحينئذ وافق النحاس باشا على حضور العلمي الجلسات الرسمية.

وقدم موسى آنذاك اقتراحين مستقلين لمواجهة التهديد الصهيوني لعروبة فلسطين على أساس أن فرصة العرب الحقيقية تكمن في إقناع البريطانيين بأن العرب جادون في تحقيق مطالبهم الوطنية.

وبهذا فقط يمكن أن تتخلى بريطانيا عن تأييدها الأعمى للأهداف الصهيونية. كما طالب العلمي بتركيز الجهود في الدعاية بهدف محاربة ومواجهة الدعاية الصهيونية التي لم تواجه أي تحد من قبل العرب وضمان عرض القضية العربية بقوة مماثلة ليس فقط لدى الحكومة البريطانية ولكن أمام الشعب البريطاني ولدى جميع شعوب العالم.

أما اقتراحه الآخر فكان بخصوص المحافظة على عروبة الأرض في فلسطين على ضوء مختلف عن المحاولات السابقة، ويرى العلمي أن تقوم الدول العربية بتأسيس صندوق لتحسين ظروف الحياة في القرى خاص لإزالة

مخاوف المزارعين من إجراء الحجز على ممتلكاتهم بسبب عجزهم عن تسديد الديون وذلك بتحويل ممتلكاتهم إلى وقف عائلي لا يمكن إلغاؤه أو بيعه إلى الأبد. وقد تمت الموافقة المبدئية على فتح مكاتب الدعاية في جميع عواصم العالم لتنظيم الدعاية للقضية العربية وتأسيس صندوق لمساعدة الفلاحين الفلسطينيين، وبعد التصديق على ميثاق تأسيس الجامعة في مارس 1945م/ربيع الثاني 1364هـ/ تمت الموافقة الرسمية على اقتراحات العلمي(13). وارتبطت مسألة تنفيذها بشخص العلمي وشرع بالفعل بتنفيذ مقترحات فأذاع بياناً عن مشروعه الإنشائي لإنقاذ الأراضي في فلسطين(14).

كما واصل العلمي العمل لفتح مكاتب الدعاية العربية في عواصم العالم، وتقرر تأسيس مكاتب عربية في لندن وأربعة أخرى في واشنطن ونيويورك وبوسطن وسان فرانسيسكو، وستتولى هذه المكاتب الدعامة للقضية العربية عامة وقضية فلسطين خاصة، ويلتحق بها عدد من الموظفين من مختلف الأقطار العربية. وقام موسى العلمي برحلات مكوكية بين الأقطار العربية بغرض حشد الجهود والمساعي للحصول على الدعم اللازم لقيام هذه المكاتب بواجبها، ورصد اعتمادات ثابتة من أجل ذلك، وبدأ باختيار الموظفين وقد حاول الوصول إلى تفاهم مع جميع الأطراف لتجنيد أفضل الكفاءات لهذه المكاتب ولكنه واجه صعوبات عديدة(15).

واختارت الأحزاب الفلسطينية عدداً من الأشخاص الأكفاء، وإن كان إشراف العلمي على هذه المكاتب أبعد تدخل هذه الأحزاب السياسية. وتقرر أن يضم المكتب العربي في القاهرة بعض الشخصيات الفلسطينية، ويشرف عليه مجلس الجامعة. وتكون مهمته جمع المعلومات والإحصاءات لتزويد مكتب الدعاية الأخرى بها. وينظر أن يعين بعض الأمريكيين والإنجليز في هذه المكاتب. وتم إنشاء مكاتب في لندن وواشنطن ونيويورك والقدس والقاهرة وألغيت فكرة فتح مكاتب في باريس وموسكو نظراً لقلة الإمكانات الحالية(16).

واستعان العلمي بأحمد الشقيري للعمل معه فاختاره لرئاسة مكتب واشنطن، وأخبره بأن منصبه حساس لأن واشنطن ستصبح مركز الثقل السياسي بعد الحرب، ومنها سيتقرر مصير القضية الفلسطينية. وفوض العلمي الشقيري باختيار من يشاء من الشباب الأكفاء. وسافر أحمد الشقيري في 1945م/1364هـ/ إلى أمريكا وقام بالاتصال بالمفوضات العربية هناك، والتقى بالأمريكان من أصل عربي وباشر عمله في سبتمبر 1945م/ رمضان1364هـ/ . وقد نشط الشقيري في إلقاء الخطب والكلمات التي يشرح فيها موقف بلاده في عدد من المناسبات، وتعرف عن كثب على دوائر الحكومة الأمريكية. كما نجح في إصدار نشرات بخصوص الهجرة وكانت جهوده تقابل بعدد من العقبات نتيجة لتغلغل النفوذ الصهيونية في أمريكا. ولكن الشقيري استمر بجهده حتى استطاع أن يقف بالمكتب العربي في واشنطن على قدميه(17). بالإضافة إلى الشقيري كان هناك أيضا شباب أكفاء آخرين أمثال إدوارد عطية وألبرت حوراني ورجائي الحسيني وبرهان الدجاني وأنور النشاشيبي، وقد بذل هؤلاء جهدهم حتى وصل الصوت العربي إلى رجال البرلمان البريطاني وإلى الأحزاب البريطانية وإلى خطباء المهرجانات والمواسم والأندية السياسية، وحرص أنور النشاشيبي الذي يعمل في مكتب لندن أن يرد على مقال كتبه رئيس تحرير جريدة التايمز اللندنية (Times) أورد فيه أن سياسة التقسيم الخاصة بفلسطين هي خير حل، فرد عليه أنور

النشاشيبي بجواب تم نشره في التايمز أيضا حاول أن يفند الرأي السابق شارحاً بأن سياسة التقسيم هي حل غير عملي وغير عادل وله أضرار كثيرة موضحاً أن الاتجاه العام في العالم يتجه نحو الوحدة وليس التقسيم، فكان هذا برهاناً على مدى الفائدة من وجود مكتب عربي في عاصمة بريطانية يقوم بمتابعة مختلف الآراء التي تطرح كحل لمشكلة فلسطين ومحاولة إظهار وجهة النظر العربية بشكل سريع وموضوعي لمتابعة التطورات المتلاحقة. ولكن هذه المكاتب رغم جهودها الدعائية إلا أنها لم تسلم من النقد الموجه لها. فالبعض نظر إليها كبديل لحزب الدفاع بعد أن فقد فعاليته بمعنى أنها تقف موقف المعارضة،كما كان يقف دائماً حزب الدفاع. والبعض الأخر اعتبر هذه المكاتب محوراً للتنديد بسياسة قيادة الحركة الوطنية التقليدية.ومن الطبيعي أن يوجد من يعارض نشاط هذه المكاتب ويقلل من نجاحها نظراً لاختلاف التوجهات داخل الحركة الوطنية(18).

أكرم زعيتر:

ومن رجال الحركة الوطنية الآخرين الذين مارسوا عملهم خارج بلادهم أكرم زعيتر فقد غادر فلسطين في سبتمبر 1937م/رجب 1356هـ/ إلى دمشق وعمل على تأسيس مكتب إعلامي للقضية الفلسطينية. وفي فبراير 1939م/ذي الحجة 1357هـ/ طلبت منه الحكومة الفرنسية مغادرة البلاد تحت ضغط من بريطانيا. وبعد وساطات شاقة سمح له بالبقاء في بيروت بشرط إثبات وجوده كل يوم في دائرة الأمن العام مع عدم مزاولة أي نشاط سياسي. ولكنه استطاع أن يتحايل عليهم ويثبت وجوده كل ثلاثة أيام ويعود إلى دمشق لمزاولة عمله في مكتبه هناك. وكان على اتصال بالمفتي في لبنان، وعرض المفتي على زعيتر الاتجاه إلى العراق والعمل في وزارة المعارف من الناحية الرسمية مع استمراره في عمله من أجل قضية وطنه. وأفهمه أن وجوده في العراق في صالح قضية فلسطين، وأن هناك كثيراً من رجالات العرب الوطنيين يطالبون بحضور أكرم زعيتر إلى بغداد(19)، خاصة وأن فرنسا أخذت تضيق الخناق عليه وعلى زملائه من رجالات فلسطين إرضاء لبريطانيا حليفتها المرتقبة في الحرب المقبلة(20). فثارت شكوك مفادها أن لبريطانيا هوى في سفره إلى العراق والعمل فيها. ولكن أكرم زعيتر ينفي هذه الاتهامات ويرد السبب في ذهابه إلى العراق إلى وجود (رجل وطني) على رأس وزارة المعارف رحب بزعيتر ودعاه إلى العراق. وبالفعل اتجه أكرم زعيتر إلى بغداد في أبريل 1939م/صفر 1358هـ/ حيث وجد استقبالاً واحتفاءً عظيمين. وباشر عمله في ديوان الوزارة، وعهد إليه بمهمة التوجيه القومي والإشراف والاشتراك في وضع المناهج وتقرير الكتب، كما أصبح عضواً في نادي القلم في بغداد (21).

وهكذا كان أكرم زعيتر قد نقل جل نشاطه إلى البلاد العربية المجاورة، فكان متابعاً للتطورات الخاصة بفلسطين محاولاً إيجاد صدى فعال لها في كل مكان ينتقل إليه. وشارك في كثير من الاجتماعات واللقاءات وجرى البحث فيها حول القضية الفلسطينية وأبعادها وجرت الدعامة لها وجمعت التبرعات، كما حثت الهيئات القومية في المدن العراقية على مضاعفة النشاط. فقد قابل نوري السعيد في سبتمبر 1939م/1358هـ/ وأثار معه عدداً من الموضوعات دارت حول قضية فلسطين والكتاب الأبيض وموقف الحكومة العراقية من تهم الاتصال بألمانيا.

وجرى اتصال آخر بين زعيتر والحكومة العراقية ممثلاً في وزير الخارجية علي جودت الأيوبي، فحاول زعيتر أن يشرح لـه صعوبة وضع الفلسطينيين في سوريا ولبنان وعلى رأسهم المفتي وأنهم مهددون بالطرد مع الرجاء أن يتم تسهيل أمورهم في العراق. فقوبل هذا الطلب بالترحيب البالغ ثم قدم لـه الأيوبي بعض المال ليرسله للمفتي، ومنذ ذلك الوقت تقاطر على بغداد كبار المجاهدين والساسة الفلسطينيين(22). وهكذا كان أكرم زعيتر يسعى للحصول على مكان يجتمع فيه رجالات وزعماء فلسطين ليكونوا بؤرة سياسية جديدة يتم منها مواصلة الكفاح والنشاط السياسي الفلسطيني. وتبادل زعيتر الرسائل مع زملائه المشتتين في الدول العربية. وكتب لدروزة في مايو 1939م/ربيع أول 1358هـ/ يطلعه فيها على النشاط الذي يمارسه في العراق وموقف الحكومة العراقية منه. كما بعث زعيتر رسالة أخرى إلى محمد علي الطاهر الموجود في القاهرة يخبره فيها بصدى نبأ اعتقاله في الأوساط الوطنية العراقية. وقد شارك زعيتر في نشاط ثورة الكيلاني، ولما أخفقت الحركة لجأ زعيتر إلى بادية الشام ثم حلب وما لبث أن غادرها إلى تركيا. وكانت معاناته فيها، فقد وجد صعوبة في الحصول على إذن من السلطات التركية بالبقاء فيها، ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية. والتقى هناك بنخبة من رجالات العرب كالأمير عادل أرسلان ونبيه وعادل العظمة وحسن أبو السعود وفريق من زعماء العراق المنفيين. فكانوا يجتمعون لإنجاز موقف موحد من المحور لأنهم يعتبرون أن وقوفهم مع المحور مرهون بالحصول على ضمان للاعتراف باستقلال العرب استقلالاً تاماً. فكان زعيتر وزملاؤه يتابعون بشغف اتصالات المفتي والكيلاني لدى دول المحور. وكانت هناك الرسائل المتبادلة بينهم للإطلاع على تطورات الوضع ولكن بعد أن انهزم المحور وأعلن استقلال سوريا عاد زعيتر إليها(23).

محمد عزة دروزة :

ويعتبر دروزة من الوجوه البارزة في الحركة الوطنية الفلسطينية(24). غادر فلسطين في يوليو 1937م / جمادى الأولى 1356هـ/ للإعداد للمؤتمر العربي العام الذي عقد في بلودان بسوريا ومنذ خروجه لم يستطع العودة إلى فلسطين، وبعد استئناف الثورة الكبرى ظل في دمشق وأصبح مشرفاً على إدارة وتموين وتمويل الثورة في فلسطين وإمدادها بالسلاح، وظل يقوم بهذه المهمة حتى منتصف 1939م/1358هـ/. وبعد أن اشتعلت الحرب تبدل موقف السلطات الفرنسية من الثورة الفلسطينية. واشتدت المراقبة على رجالاتها الموجودين في سوريا ولبنان. وتطور الأمر إلى اعتقاله ضمن من اعتقلت من الفلسطينيين تحت إلحاح القنصل الإنجليزي وبتهمة إدارة الثورة وإمدادها بالمال والسلاح وإنشاء معمل متفجرات. وفي أكتوبر 1939م/شعبان 1358هـ/ تمت محاكمته أمام محكمة عسكرية فحكم عليه بغرامة مالية بلغت خمسين ألف فرنك فرنسي، وبالسجن لمدة خمس سنوات، وقد قضى منها في السجن حوالي السنتين، وفي أواخر عام 1940م/ 1359هـ/ تم الإفراج عنه بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا(25). قضى دروزة بعد خروجه من الاعتقال عدة أشهر في دمشق التقى خلالها بشكري القوتلي أحد زعماء الحركة الوطنية السورية. وتوسط دروزة وأصلح بين الشباب الوطني في سوريا وشكري القوتلي. ولما بدأت ثورة الكيلاني

في بغداد وكان لها صدى جيد من الحماس في دمشق، فعقد دروزة اجتماعاً في مايو 1941م/ ربيع الثاني1360هـ/ ظهر فيه تأييدهم للحركة واستعدادهم للتضامن معها ورفدها. ولما فشلت الحركة في بغداد وتشتت أعضاؤها التجأ البعض منهم إلى سوريا وكانت بريطانيا وقوات فرنسا الديغولية تستعد لاحتلال سوريا فاجتمع دروزة بهؤلاء ونصحهم بالعمل مع القاوقجي الذي ظل في المقاومة للتحرك ضد الإنجليز حيث كان من رأي الكثيرين أنه من المفيد للقضية أن يكون هذا الطابور نواة لعمل عربي واسع في سياق المعركة ولكن لم يحدث شيء من ذلك(26).

وبعد اقتراب القوات الفرنسية من سوريا اتجه دروزة في البداية إلى بيروت، وبعد أن حصل على تأشيرة لدخول تركيا غادر لبنان في مايو 1941م/ربيع الثاني1360هـ/. وفي تركيا عانى دروزة وزملاؤه الأمرين من رجال الأمن الأتراك لأنهم كانوا يتشددون في مراقبتهم، ووصل الأمر إلى فتح رسائلهم. ويرجع ذلك إلى أن الإنجليز قدموا تقارير للسلطات التركية بواسطة جواسيسهم من العرب في تركيا للإيحاء للسلطات التركية بأن هؤلاء العرب الموجودين يخططون لهجوم على سوريا متخذين من إستنبول مركزاً لهم، وأنهم على صلة بالمفتي والكيلاني اللاجئين لدى المحور(27).

وكان دروزة هو وزملاؤه يتابعون من تركيا بشغف نشاط المفتي والكيلاني في ألمانيا وإيطاليا للحصول على اعتراف بالاستقلال للبلاد العربية. وعمل دروزة من مكانه على تعزيز هذا النشاط. ففي حديث لدروزة مع حسن أبو السعود عندما غادر الأخير تركيا إلى أوربا أعرب فيه عن مخاوفه، وطلب منه أن ينقلها إلى المفتي وهي تحوم حول مخاوف من عجز المفتي عن الحصول على ما يريده من الضمانات الواقية لاستقلال بلاد العرب. وأنه من الأفضل ألا يتورط أكثر في الدعوة للتعاون مع المحور لأنهم إذ لم يحصلوا على ما يأملون مع استمرار الدعوة للتعاون فإن الأمة والتاريخ لن يغفر لهم، وقد أشار حسن أبو السعود على دروزة بالسفر إلى أوربا ولكن دروزة رفض ذلك لأنه لا يرى مبرراً له خاصة وأن المفتي لم يصب حتى ذلك الوقت أي نجاح. كما أنه ليس من الصالح أن يتمركز الكل في مكان واحد. كما حرص دروزة على أن يبذل كل جهده ويوصي المفتي بأن يكون العرب أمام المحور كتلة واحدة، ولذلك طلب منه ألا يتجاهل القاوقجي بل يسعى لضمه لكتلتهم ليكون ممثل سوريا وإن كان للمفتي مآخذ عليه فليتغاضى عنها في هذه الظروف الصعبة.

وهذا كان دروزة يتطلع إلى توحد كلمة العرب وبالتالي توحد مطالبهم. وكان حريصاً على أن تسود هذه الروح، وقد استبد به الخوف وزملائه من تأخير حصول الفتي على معاهدة صداقة مع المحور.. وأخذ يلح في رسائله إلى الفتي على ضرورة عقد مثل هذه المعاهدة. كما ناشده بضرورة التضامن مع الكيلاني ونبذ الخلافات ليتسنى لهما تحقيق ما يصبو إليه العرب من تحالف مع المحور بما يمضي تحقيق مطالبهم بالاستقلال التام(28).

وحرصاً من دروزة على وحدة الصف العربي كتب هو وزملاؤه كتباً متفرقة ومجتمعة إلى رشيد عالي الكيلاني أيضاً في صدد اتجاهه الانفرادي طالبين منه العودة إلى التعاون مع المفتي. وأبرز نشاط سياسي مارسه دروزة في تركيا تمثل في هذه الرسائل التي تبادلها مع المفتي بعد لجوئه إلى المحور. ففي 9 يوليو 1942م/25جمادى الثانية1361هـ/ وردت رسالة من المفتي يشرح فيها اجتماعاته وأحاديثه، لمح خلاله الخلاف بين المفتي والكيلاني.

وفي 31 يوليو 1942م /18 رجب1361هـ/ جاء مصطفى الوكيل كرسول من المفتي بغرض إقناع دروزة ومن معه بالالتحاق بهم في ألمانيا نتيجة لتطور الحرب واقترابها من مصر، وما يتبع ذلك من ضرورة الاستعداد للتخطيط للأهداف المقبلة، وما يجب من تضافر للجهود لأن الموجودين لا يمكنهم القيام بالعبء وحدهم(29). وقد أدرك دروزة أهمية ما اقترحه المفتي باستعدادهم للسفر إليه. على شرط أن يقبل بقيام لجنة قومية عليا يشترك فيها البارزون من رجالات العرب في تركيا وأوربا وعلى رأسهم المفتي والكيلاني والقاوقجي، وتكون مهمة هذه اللجنة تخطيط العلاقة المستقبلية بين العرب والمحور. ووضع خططاً لأسلوب العمل التطبيقي، وتنقسم هذه اللجنة إلى لجان صغيرة تختص كل منها بجزء من العمل، لأن تشكيل مثل هذه اللجنة سيكون له أثر حسن يمثل في إزالة مظهر الخلاف المؤلم المؤثر على قضية العرب(30). فكانت هذه اللجنة هي الأساس الذي وضعه دروزة وزملاؤه للموافقة على الالتحاق بالمفتي. وقد جاء رد المفتي بالقبول باقتراح اللجنة، وتبعا لذلك حدثت لقاءات واجتماعات بين دروزة وزملائه، ولكن يبدو أن الاختلاف ما لبث أن ظهر مرة أخرى وتراجع البعض بشكل غير مباشر عن تشكيل اللجنة وبحجج واهية مما أدى إلى أن يؤجل دروزة أمر سفره. وفي أغسطس من نفس العام أرسل دروزة إلى المفتي اقتراحاً جديداً مع حسن أبو السعود يفيد بأن أفضل طريقة لمشاركة العرب دول المحور في تحرير بلادهم أن يشاركوا في تشكيل طلائع عسكرية، و إذا وافق الجميع على المقترحات السابقة يكون ذلك دليلاً على حسن النية. ولكن يبدو أن هذا الاقتراح لم يلق تجاوباً كبيراً. ونتيجة لهذا الغموض الذي كان يسود مباحثات المفتي والكيلاني خلال أكتوبر 1942م/شوال 1361هـ/ بعثوا رسائل إلى كليهما يطلبون منهما اقتراحات عن تطور الموقف ومدى ما وصلا إليه في مباحثاتهما مع دول المحور مع إفادة الجماعة في تركيا بكل التطورات(30). وقد رد المفتي في ديسمبر/ذي القعدة، على هذه الرسائل شارحاً موقفه مؤكداً أنه لم يبدر منه أي موقف أو حركة يستند إليها الكيلاني فيما هو حاصل من خلاف مع الكيلاني، وأنه يدرك مدى الضرر الواقع من هذا الخلاف، ولكن المفتي يرجع السبب في الخلاف إلى أطماع الكيلاني ومصالحه الشخصية. وقد اقتنع دروزة أن الكيلاني وليس المفتي هو سبب الخلاف(31).

وقد توقفت الرسائل المتبادلة بين المفتي ودروزة منذ ذلك التاريخ. ولكن في منتصف عام 1943م/1362هـ/ بعث المفتي رسالة في 20 يوليو/رجب/ يخبر دروزة بجهوده، ورد عليه دروزة يشكره على جهوده مؤكداً ضرورة الحصول على تصريح أو بيان واضح يجلي كل غموض في موقف دول المحور ويستبعد أي تأويل لا يتماشى مع أساليبهم في المستقبل. وفي أكتوبر 1943م/رمضان1362هـ/ فرضت الإقامة الجبرية على دروزة في الأناضول بسبب تقارير الإنجليز ضد نشاطه السياسي. وبعد أن انتهت الحرب عاد دروزة إلى سوريا عام 1945م/ 1364هـ(32).

وقد يبدو ظاهرياً أن نشاط دروزة السياسي السابق فيه شيء من القصور، فهو لم يقم بنشاط عملي. ولكن الظروف المحيطة به ووضعهم كلاجئين سياسيين كان يحتم عليهم عدم مزاولة أي نشاط سياسي، ومع ذلك عمل بمعاونة زملاؤه كجبهة خلفية لنشاط المفتي في دول المحور.

الحاج محمد أمين الحسيني:

نشاط المفتي في الخارج:

لقد فاجأت السلطة البريطانية اللجنة العربية العليا واقتحمت دارها في القدس في 17 يوليو 1937م/ جمادى الأولى1356هـ/، وأخذوا يبحثون عن المفتي وكانت السلطات البريطانية قد أعدت العدة لتسفيره إلى الخارج. ولكنه نجح في الإفلات ولجأ إلى المسجد الأقصى وبقي فيه إلى أن تمكن من الهرب خفية إلى يافا ومنها اتجه في زورق بحري إلى جنوب لبنان وبقي هناك يدير الثورة ويتابع تطوراتها. وحين تكهرب الجو الدولي وبدأت نذر الحرب تظهر، وأخذت السلطات الفرنسية تغير في معاملتها له أخذت فرنسا تضغط عليه مع التهديد بعدم استمرار المعاملة الكريمة التي حظي بها سابقاً. لذلك فهم يرغبون من المفتي أن يعلن استعداده للتعاون مع الحكومة(33). وكان هذا الإجراء من جانب السلطات الفرنسية لإرضاء بريطانيا التي كانت تضغط على فرنسا لتسلمه لها. ووعد المفتي أنه سيرسل رسالة إلى المندوب الفرنسي، ولكنه لا يحبذ أن يعلن تأييده لبريطانيا التي كانت علاقته بها سيئة جداً. وبالفعل بعث برسالة إلى الجنرال الفرنسي يشكرهم فيها على حسن المعاملة. ولكن هذا لم يرق للفرنسيين واعتبروه غير كاف واستمر الضغط عليه بشكل أكبر. وانتشر الجواسيس لتتبع خطوات المفتي وأخذت قوات الأمن تهاجم منزل المفتي ليلاً ونهاراً لتراقب وتفتش بحجة التأكد من وجوده(34).

ونتيجة لهذا كله، أخذ المفتي يعمل لانتهاز أول فرصة، فوضع خطة للهرب إلى بغداد ونفذت الخطة بنجاح(35). ووصل بغداد في 15 أكتوبر 1939م/2رمضان 1358هـ/، وإن كان هناك من يعتبر الرقابة الفرنسية لم تكن حقيقة، وأن وزارة الخارجية البريطانية لم تعد تهتم بالمفتي ووصل الأمر إلى أن تعطي الأوامر بعدم اتخاذ أي إجراء ضده، وساد اعتقاد أيضا بأن هروب المفتي تم بالتواطؤ مع كل من بريطانيا وفرنسا. وأن المفتي قام بعرض رشوة على رئيس البوليس الفرنسي قدرها خمسمائة جنيه لكي يتركه يهرب. وربما كان للمخابرات ضلع في نشر هذه الإشاعات حفظاً لماء وجهها لعجزها المستمر في القبض عليه، أولاً حين أفلت من قبضتها في فلسطين، وثانياً حين سفره من لبنان إلى العراق(36). وقد وقع اختيار المفتي على بغداد ليلجأ إليها لدورها الكبير في دعم ثورة فلسطين مادياً ومعنوياً، كما أن الاتجاهات القومية فيها كانت متصاعدة وكان على صلة ومعرفة بأهم الشخصيات العراقية، وقبل حضوره إلى العراق قام أمين التميمي وأكرم زعيتر بجس نبض الحكومة فوجدا ترحيباً كبيراً باستقباله رغم أن علي جودت الأيوبي وزير الخارجية ينفي أنه علم بأن المفتي سيلجأ إلى العراق. فعدم تحديد موعد وصوله لا يعني عدم معرفته بأنه سيلجأ علاوة على أن الأيوبي كان يعلم بأن المفتي سيتوجه إلى العراق أثر مقابلة زعيتر له ولكن جودت نفى ذلك في مذكراته التي كتبها في فترة لاحقة(37).

وكانت بغداد قد استقبلت قبل وصول المفتي الكثير من المجاهدين الفلسطينيين الذين رحب بهم العراقيون أجمل ترحيب على الصعيدين الرسمي والشعبي. وبعد وصول المفتي بادر إلى زيارة الوصي على العرش الأمير عبد

الإله فاعتبرته الحكومة ضيفها. وقد آلى المفتي على نفسه عدم التدخل في السياسة الداخلية كما يقضي أدب الضيافة. وقصر نشاطه على القضية الفلسطينية. فلا يرغب المفتي من اللاجئين الفلسطينيين بالانشغال بالشئون السياسية حتى لا يكونوا سببا في إزعاج أو إحراج السلطات العراقية. وعد المفتي حضور الحفلات الرسمية مع اجتناب الحفلات الشعبية حتى لا يحرج الحكومة.

وكان جودت الأيوبي في لقائه مع المفتي قد نبهه بأنه يجب أن يكون المفتي معتدلاً في تصرفاته، ويأخذ في الاعتبار العلاقات السياسية الخاصة التي تربط بريطانيا بالعراق، وهذا يتطلب تجنب حدوث مشكلات للحكومة العراقية. ومن الواضح أن الأيوبي حذر المفتي تحذيراً مبطناً وأنه يجب أن يتجنب القيام بأي نشاط معاد للحلفاء(38).

ولكن الاستقبال الشعبي أنسى المفتي مرارة تحذير الأيوبي، فأقيمت الحفلات على شرف المفتي والتي اعتبرت مظاهرات حقيقية للمشاعر والوحدة العربية. فقد كان ينظر للمفتي بطلاً وطنياً، حتى أصبحت داره مزاراً للكثيرين. وكان للمركز البارز الذي تبوأه المفتي في بغداد وقع سيئ في نفوس البعض وعلى رأسهم نوري السعيد الذي رغم الحفاوة التي قابل المفتي بها. وعرض نوري السعيد على المفتي أن يصرح لمحرري الصحف بما يفيد فيه أنه ضيف الحكومة العراقية وليس له أي نشاط سياسي. ويأمل من الفلسطينيين اللاجئين اتباع نفس أسلوبه. وتصريح آخر من المفتي أيضا يؤيد فيه الدول الديمقراطية في الحرب الدائرة. ولكن المفتي لم يوافق على اقتراحات نوري السعيد السابقة لأنه أدرك أن "أنف بريطانيا مدسوس فيها" كما أنه لا يرغب في تأييد الحلفاء. وأصبح المفتي بشخصيته الوطنية، وبتاريخ كفاحه الوطني، مرجعاً استشارياً في مجتمع بغداد فأصبحت له مكانة مرموقة لدى رجالات السياسة في العراق(39).

ومن العراق أخذ المفتي يتابع التطورات داخل فلسطين، وكان الاعتقاد السائد بأن بريطانيا ستخفف من سياستها التعسفية مع الثوار بسبب الظروف الدولية، وتمشياً مع اتجاهها الجديد الذي تضمنه الكتاب الأبيض لعام 1939م، والذي ربما كان دليلاً على رغبة بريطانيا في احتواء العرب وإرضائهم. ولكن إلقاء القبض على المجاهد الفلسطيني خالد أبو لبن والحكم عليه بالإعدام أزاح الأمل من صدور الكثيرين. فحاول المفتي بأن يسعى لدى حكومة العراق للتوسط لدى بريطانيا لتخفيف الحكم عنه. فحاول المفتي مع نوري السعيد، ولكن دون جدوى وقال حيدر رستم وزير المالية في العراق لنوري السعيد: "إذا فعلت ما يطلبه المفتي فستكون في نظر الإنجليز الحاج أمين الثاني"(40)، فكان لهذه الحادثة أكبر الأثر في نفس المفتي، وأحدثت فيه نوعاً من التحول فتأكد أن هذه السياسة لبريطانيا لن تقدم أي شيء لصالح العرب عامة ولفلسطين بشكل خاص(41).

وقد تجمع حول المفتي عدد من الشباب المتحمسين والوطنيين وعلى رأسهم العقداء الأربعة أو المربع الذهبي، وكان بعضهم على معرفة سابقة بالمفتي(42)، فأصبح المفتي موضع أسرار العراقيين الذين كانوا يمثلون التيار القومي والوطني، فكان هذا التيار يفتقر للقيادة والتوجيه لذلك فقد وجد في المفتي ضالته، فأصبح المفتي الموجه والقائد، خاصة وأن المفتي وافق على وجهة النظر العراقية التي تعارض الاتجاه الموالي لبريطانيا. بل يرون اتخاذ موقف الحياد بين الفرقين المتحاربين لأنهم أدركوا أن المحور لا يقل تعسفاً عن الحلفاء. ولكن لا بد من انتهاز الفرصة

لتحسين وضع العرب وإيجاد ثقل لهم في الميزان الدولي. وقد حز في نفوسهم موقف نوري السعيد حينما قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا منذ بداية الحرب، وهكذا فإن هذا الاتجاه القومي زامن وجود المفتي أدى إلى أن تبلورت سياسة رأى الكثيرون مدى صوابها. وكان للمفتي الدور الكبير في رسم خطوطها الرئيسية، وتقوم على تجنب إظهار أي عداء للمحور وإن كان ما يدعو إلى التعاون مع بريطانيا، فيكون ضمن إطار الاتفاقية العراقية الإنجليزية سنة 30 يونيو 1930م/صفر 1349هـ(43). وحرص المفتي بعد استقراره في بغداد أن ينظم أموره وأمور أتباعه، لذلك سعى لدى الحكومة العراقية للعمل على تسهيل دخول اللاجئين الفلسطينيين إلى بغداد. وأنشأ المفتي لهؤلاء اللاجئين مركزاً واختير جمال الحسيني رئيساً له، وحسن أبو السعود مستشاراً له. وضم هذا المركز كل الفلسطينيين الموجودين في العراق. وهذا لا يعني أن المفتي أنشأ مؤسسة فلسطينية سياسية في العراق بل كان هذا المركز في الواقع مجرد ملتقى بسيط تعارف عليه الجميع دون أن يكون تنظيماً له كيان مادي ملموس(44).

ونتيجة لانتصارات ألمانيا في أوربا والآثار التي تركتها في العالم العربي، زاد الأمل في انتصار المحور على الحلفاء الذين لا تزال مرارة خداعهم للعرب في الحرب الأولى عالقة بأذهانهم. وكل هذه العوامل تداخلت وتطلبت أن تكون هناك وزارة قوية في العراق تستطيع مجابهة الصعاب والأزمات، فاستقالت وزارة نوري السعيد في مارس 1940م/22صفر 1359هـ/ واستعان نوري السعيد بالمفتي ليقنع رشيد عالي الكيلاني بتشكيل الوزارة، وعندما حاول المفتي أن يعتذر قال له: "هذه شئون في صميم القضية العربية ولا سيما في ظروف الحرب"(45)، فقام المفتي بجهد واضح حتى نجح في أن يعقد الساسة العراقيون اجتماعاً، وقعوا فيه على اتفاقية وفاق ومن ثم شكلت وزارة الكيلاني(46).

وهدف نوري السعيد من كل هذه المناورة أن يصل الكيلاني وهو رجل يتمتع بشخصية كبيرة إلى دفة الحكم، ومن ثم تبدأ الضغوط من قبل الإنجليز حتى يخرج الكيلاني من الحياد ويحقق لنوري هدفه في إعلان الحرب مع الحلفاء على المحور. ولكن الكيلاني فطن لهذه المناورة الذكية من قبل نوري السعيد وأخذ يستعد لها. ولما أراد الكيلاني أن يلقي الخطاب التقليدي لرئيس الوزراء حرص على أن يعقد اجتماعاً مع المفتي والعقداء الأربعة. وتم فيه وضع صيغة الخطاب في 6 أبريل 1940م/28 صفر 1359هـ/ الذي جاء مؤكداً الأماني الوطنية وملتزماً بسياسة الحياد، وقوبل الخطاب بارتياح عظيم، وساد اعتقاد على أثره أن الأزمة القائمة بين الوزارة العراقية والسفارة البريطانية قد سويت(47).

وكان التيار القومي آخذاً في التصاعد والتعاظم، فاتجاه الجيش العراقي كان اتجاهاً قومياً خالصاً، وتزامن ذلك كله مع تقهقر القوات البريطانية واحتمال خروجها من الحرب خاسرة، فتبلورت فكرة استغلال فرصة الحرب للضغط على بريطانيا للظفر بالمطالب العربية. وكان وجود الكيلاني ووزارته القومية على رأس الحكومة خير سند لبروز هذه الفكرة. فحددت السياسة العامة بناء على اتفاق المفتي والكيلاني والعقداء الأربعة والتي تقوم على الرغبة في تسليح الجيش العراقي، وزيادة عدده، والحرص على تجنب الدخول في حرب حرصاً على عدم استنزاف القوى العربية. وعندما تسنح الفرصة يتم إعلان الثورة في فلسطين ضد بريطانيا دافعاً للمفتي كي يتجه بتفكيره إلى الجانب

الآخر للصراع، فبدأ يتطلع للاتصال بدول المحور. وقد زار طه الهاشمي المفتي وتحدث معه حول فكرة الاتصال بألمانيا عن طريق الهيئات الفلسطينية، وأخبره أن نوري السعيد يتفق معه في هذا الرأي، ولكن المفتي قابل هذه الفكرة بتحفظ شديد مجيباً بأن الفلسطينيين لا يملكون الأسباب والوسائل لذلك(48). ويعزى السبب في هذا التحفظ إلى أن اسم نوري السعيد ورد في العرض، والمفتي لا يثق فيه أبداً، لأنه كان يعلم بأن نوري السعيد يعمل لصالح السياسة البريطانية وقد حاول نوري من قبل أن يغري المفتي بأن يتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية يدعو لقضية بلاده وكان هدفه الحقيقي إبعاد المفتي عن الساحة السياسية في العراق بعد أن عظمت مكانته وسلطت عليه الأضواء(49).

طه الهاشمي(50).

ومن المؤكد أن المفتي كان السند المؤيد للكيلاني في جميع تصرفاته. رغم أن الكيلاني لم يذكر شيئاً عن دور المفتي في مذكراته، ولكن هذا لا ينفي دور المفتي الكبير، فالكيلاني سجل مذكراته في فترة لاحقة أي بعد أن دب الخلاف بينه بين المفتي وربما أثر ذلك في نفسه فأغفل عمداً دور المفتي(51) ثم تشكلت وزارة الهاشمي ولكنها لم تستم941م/18ربيع أول1360هـ/ وساد اعتقاد لدى الفريق الموالي لبريطانيا، أن السبب في ذلك يعود إلى أن الفلسطينيين وعلى رأسهم المفتي بدأوا يؤججون نار الفتنة وير أكثر من تسعة وخمسين يوماً. فقد تراكمت عليها المتاعب منذ لحظة تأسيسها واشترط الوصي على العرش أن يعمل بسرعة لتفريق زعماء الجيش ونقلهم إلى مناصب عسكرية بعيدة عن العاصمة. ورفض الضباط تنفيذ أمر النقل الذي كان استمراراً للضغط البريطاني في محاولة لجر العراق إلى صفوف الحلفاء والقضاء على موقفه الحيادي. فاستقال الهاشمي وهرب الوصي عبد الإله مرة أخرى من بغداد في 14 أبريل 1شعلون الفتيل في كل جادة(52).

وشكل حينذاك الكيلاني الوزارة الثانية التي عرفت بحكومة الدفاع الوطني وتم اختيار وصي جديد للعرش (الأمير شرف)، ويذكر الصباغ أن كل هذه التصورات سبقها تخطيط من لجنة سرية شكلت في بغداد وكان يرأسها المفتي ومن أعضائها الكيلاني والعقداء الأربعة. وقد آلت هذه اللجنة على نفسها عدم السماح بأية تنازلات لصالح بريطانيا، وعدم السماح أيضا بقطع العلاقات مع إيطاليا والعمل على إبعاد الساسة العراقيين الموالين لبريطانيا إلى خارج البلاد للعمل في السفارات. ولم يذكر الكيلاني أي شيء عن هذه اللجنة. وأما المفتي فقد تحدث أثناء وجوده في دول المحور عن لجنة عربية، ولكن لم يذكر أنها كانت وراء أية سياسة في العراق. وهذا التناقض والتضارب في الآراء يجعل من الصعب تحديد رأي واضح بشأنها(53).

قابلت بريطانيا وزارة الكيلاني الثانية بكثير من التحفظ والريبة والشك فهي لا تنظر بعين الرضا للكيلاني منذ وزارته السابقة إضافة إلى ما نما إلى علمها عن خبر اتصاله بألمانيا عن طريق أحد وزرائه، ناجي شوكت(54).

وهذا مما زاد من سخط بريطانيا وجعلها تخطط وتضغط لإزاحة هذه الوزارة.

ونظراً لأهمية موقع العراق الإستراتيجي لبريطانيا في الوضع الحربي، وظهور خطر انحيازه للمحور، فقد أخذت بريطانيا تناصب وزارة الكيلاني العداء، ورفضت الاعتراف بها، وامتنع السفير البريطاني

كورنواليس Cornwallis الذي وصل بغداد في 1 أبريل1941م/2 ربيع أول عام1360هـ/ من تقديم أوراق اعتماده مخالفاً بذلك العرف الدبلوماسي. وأكثر من هذا فقد أصدرت الحكومة البريطانية أوامرها إلى جزء من قواتها في الهند بالتوجه إلى البصرة، أبلغت حكومة العراق بأن هذه القوة ستمر فقط عبر العراق صوب الأردن، فاعترضت الحكومة العراقية، واعتبرت ذلك استفزازاً لها. وبدا أن الأزمة تشتد وحاول جورج أنطونيوس أن يوسط المفتي لدى الكيلاني للعمل قدر الإمكان على تجنب وقوع صدام مسلح للفرقة البريطانية بالمرور. ووصلت الفرقة للعراق ونزلت يومي 17 و 18 أبريل1941م/21 و 22 ربيع أول1360هـ/، وكان يفترض أن تأخذ طريقها إلى الأردن عبر الأراضي العراقية، ولكن لم تبد أي عزم بالتحرك 0 ومما زاد الأمر حدة أن السفارة البريطانية بعد أيام قليلة طلبت مجدداً السماح لها بإنزال قوات بريطانية جديدة في البصرة. وفي 29 أبريل/3 ربيع الثاني/ أنزلت هذه القوات في البصرة.

ولم تستطع الحكومة العراقية الوقوف مكتوفة الأيدي أمام هذه الاستفزازات التي تعتبر مخالفة لنصوص المعاهدة العراقية البريطانية ومتناقضة مع حقوق العراق المشروعة وسيادته. فعقدت الحكومة العراقية العزم على مقاومة الأهداف البريطانية بالوسائل السلمية أولاً واللجوء إلى المقاومة المسلحة ثانياً. ولكن الحكومة البريطانية تجاهلت معارضة العراق واحتجاجاته وتصاعد الموقف فنشبت الحرب في 2 مايو 1941م/6 ربيع الثاني1360هـ/ بهجوم جوي مباغت من الطائرات البريطانية على المعسكرات الحربية العراقية وجميع الطرق المؤدية إلى بغداد. فأخذت الحكومة العراقية تقوم بالمهام الدفاعية. وقام المفتي بدور مهم فنهض لإثارة الرأي العام في العراق والعالم الإسلامي ضد بريطانيا وأعلن الجهاد من الإذاعة في 9 مايو 1941م/13 ربيع الثاني 1360هـ/ داعياً كل مسلم قادر على حمل السلاح إلى السفر للعراق في جهاده هذا والعمل معه بكل وسيلة على مناوأة العدو الغادر، فالإنكليز في سياستهم الغاشمة، يريدون القضاء على الإسلام والقضاء على شعوبه والاعتداء على دياره(55). واشتد التوتر بين السفارة البريطانية وحكومة الكيلاني التي كانت متشبثة بقوة بسياسة الحياد. فأخذت بريطانيا تضغط على الكيلاني ليقطع علاقته بإيطاليا بعد أن دخلت الحرب، ونوري السعيد يميل إلى ذلك بالطبع. ولكن الكيلاني استطاع أن يصمد على موقفه واشتدت الأزمة بينه وبين السفارة البريطانية حتى تصعد الموقف إلى طلب الوصي الأمير عبد الإله من الكيلاني أن يقدم استقالته، ولكنه رفض ذلك لأنه ليس من حق الملك دستورياً أن يقيل أية وزارة. وامتد الشد والجذب بين الوصي على العرش ومن ورائه نوري السعيد وبين الكيلاني ومن يؤيده من الوزراء وضباط الجيش الأربعة حتى هرب الوصي من بغداد، وظهر مدى تردي الأوضاع. ولدى تأزم الموقف آثر الكيلاني تقديم استقالته في 31 يناير 1941م/4 محرم1360هـ/. حتى يجنب الشعب مخاطر حرب أهلية في العراق. ونشرت استقالته في الصحف وكان لها الوقع العظيم على الشعب فخرجوا في مظاهرات مؤيدة له. ولم يستطع الوصي العودة إلى بغداد حتى تم تشكيل وزارة جديدة يترأسها، كما وقف المجاهدون الفلسطينيون في العراق من هذه الثورة باذلين أرواحهم دفاعاً عن سيادة العراق. وأسس المفتي مقراً لتجنيد المجاهدين في بغداد تمهيداً لابتعاثهم إلى جهة القتال، وعرف هذا بـ"المقر الخلفي لقوات البادية الوطنية"، وترأسه المفتي نظراً لمعرفته بالثوار

الفلسطينيين وهم خير من عرف حرب العصابات، وساعد المفتي كل من عادل العظمة، وأكرم زعيتر، وممدوح السخن، فأرسل المركز قافلتين من المجاهدين فالتحقت أحدها بالقاوقجي(56)، والثانية يقودها عبد القادر الحسيني(57)، الذي أبلى بلاء حسناً. ومع ذلك لم تستطع هذه الثورة أن تصمد أمام قوة الهجوم البريطاني الذي عاضده الجيش الأردني تحت قيادة جلوب باشا Glubb وقد اعتبر الكيلاني أن الدور الذي قام به الجيش الأردني سبباً رئيساً في الهزيمة قائلاً : ‘‘كدنا ننتصر لو لم يتدخل جلوب بقواته في اللحظة الأخيرة‘‘، وكان لوجود طابور خامس من اليهود الأثر البالغ في هزيمة العراق أمام القوات البريطانية(58).

ونتيجة لتسارع الأحداث واقتراب الخطر عقد مجلس الدفاع الأعلى في 28 مايو 1941م/3 جماد الأولى 1360هـ/ اجتماعاً تزعمه الكيلاني بحضور المفتي والعقداء الأربعة، وتقرر أن ينسحبوا إلى كركوك ومن هناك يشكلون جبهة للدفاع خوفاً من أن تتعرض بغداد للأذى. وفي 30 مايو 1941م/4 جمادى الثانية 1360هـ/ اجتاز الحدود إلى إيران كل من الكيلاني والمفتي والوصي على العرش (الأمير شرف) واستطاعت بريطانيا أن تحكم قبضتها على العراق(59). وكانت هذه الثورة هي الخطر الوحيد الذي تعرضت له بريطانيا في العالم العربي أثناء الحرب. فاحتلال العراق لم يكن نتيجة تعاظم نفوذ المحور فحسب، بل إنه كان تطبيقاً لخطة عسكرية سياسية أرادت بريطانيا منها أن تحتفظ بمصالحها وتثبت نفوذها في المنطقة بعد أن هدد التيار القومي تلك المصالح في العالم العربي، بينما كانت جيوش المحور تتقدم على طول جبهات القتال في أوربا وأفريقيا وتشكل تهديداً لبريطانيا وحلفائها(60).

انت حركة رشيد عالي الكيلاني ثورة على الأوضاع السياسية القائمة رغبة في تغيير الوضع وطرد المتورطين ضد الشعب. وقد لعب المفتي الحسيني فيها دوراً ريادياً وقيادياً أداره ببراعة ومن وراء الكواليس، فكان ذلك مما زاد تصميم العراق على التصدي للنفوذ الاستعماري الذي فجر هذه الحركة لتسلطه على المقدرات العربية.

علاقة المفتي بدول المحور :

شهدت بغداد في الثلاثينات نشاطاً ألمانياً غير عادي وذلك حين اتخذ منها السفير الألماني غروبا(Grobba) مركزاً للدعاية النازية. وحين استقر المقام بالمفتي في بغداد بعد هروبه من فلسطين ولبنان، بدأت تراوده أفكار التعاون مع ألمانيا ضد بريطانيا عدوة الحركة الوطنية في فلسطين انطلاقاً من مبدأ: عدو عدوي صديق. فمن الواضح أن رغبة المفتي في التعاون مع المحور لم تنبع من حبه أو تعلقه بالفكر النازي، وإنما جاءت من منطلق التفتيش عن أي حليف يساعده في إنقاذ بلاده من المخطط الصهيوني والاستعمار البريطاني.

وكان المفتي يدرك أن انتصار الحلفاء يعني تحقيق فكرة الوطن القومي الصهيوني على حساب تدمير مستقبل عرب فلسطين. وأمام تعنت بريطانيا وعدم رغبتها في تعديل موقفها المنحاز كلياً إلى جانب الصهاينة أدرك المفتي أنه ليس أمامه من بصيص أمل إلا بالتعاون مع المحور عدو بريطانيا الأول، كعلاج أخير لإنقاذ الشعب الفلسطيني من المخطط الاستعماري الصهيوني.

وبعد أن تشكلت كل هذه القناعات لدى المفتي أدرك ضرورة الاتجاه للمحور. وفي البداية أراد أن يكون هذا الاتجاه سرياً لدرجة كبيرة لأن المفتي لم يصل بعد إلى مرحلة اليأس الكامل من السياسة البريطانية إضافة إلى أنه يرغب في أن يتأكد أولاً من حقيقة تجاوب المحور معه قبل أن تعلن هذه الاتصالات. وبدأت أولى المحاولات في عهد وزارة الكيلاني الأولى، فعقد اجتماع بين المفتي والكيلاني ووزير العدلية ناجي شوكت الذي كان يستعد للسفر إلى تركيا برفقة نوري السعيد، واتفق على أن يقوم شوكت بالاتصال بفون بابن (Von Papen) الوزير الألماني المفوض في تركيا لبحث إمكانية التعاون مستقبلاً بين العرب ودول المحور، وأن يتم النقاش حول التفاصيل. وبالفعل سافر شوكت إلى تركيا والتقى بالوزير المفوض (Von Papen) وكانت المقابلة ذات طابع شخصي وليس بصفة رسمية في يوليو 1940م/جمادى الثانية 1359هـ/. وأخذ شوكت يعتذر عن قطع علاقات العراق مع ألمانيا. ثم تحدث عن الروح الوطنية والتحررية السائدة في الوطن العربي. وأوضح فون بان للمسئول العراقي بأن البلاد العربية تقع جنوب منطقة النفوذ الإيطالي (ضمن المجال الحيوي للمصالح الإيطالية) وأن سياسة ألمانيا غير واضحة بالنسبة للعالم العربي. فأوضح له شوكت بأن العرب يتحفظون على إيطاليا لما لها من دور استعماري في ليبيا والحبشة، ويفضلون التعامل مع ألمانيا التي ربطهم بها علاقات قديمة، والتي ثبت أن تاريخها مشرف مع العرب. فوعد فون بان (Von Papen) بنقل وجهة نظرهم إلى برلين(61).

وقد أدرك المفتي بعد أن نقل له شوكت تفاصيل اللقاء أن ألمانيا تتعاطف مع العرب، ولكن لا بد أن يتم تنسيق الأمر مع إيطاليا، والعمل باتجاه آخر للاتصال بدول المحور. وقد قامت حكومة الكيلاني في بغداد بالاتفاق التام مع المفتي بنشاط دبلوماسي بهذا الصدد. فاتصلت بالوزير المفوض الإيطالي الموجود في بغداد وطالبته أن يحصل من حكومته على تصريح يؤكد عطفها على أماني العرب. ووافق وزير الخارجية الإيطالية على ما طلبته الحكومة العراقية. وعلى أثر ذلك أصدر السفير الإيطالي في 7 يوليو 1940م/جمادى الثانية 1359هـ/ تصريحاً كتابياً، رغم أن التعليمات له أن يكون التصريح شفهياً وتضمن التصريح عطف إيطاليا على أماني العرب القومية(62).

ونتيجة لكل هذه الاتصالات التي لمس العرب منها إمكانية تجاوب دول المحور معهم، تشجع المفتي لاتخاذ خطوة أكثر جرأة في تعميق هذه الاتصالات، وقام بإرسال سكرتيره الخاص عثمان كمال حداد(63). ليقوم بنفسه وكمندوب شخصي عن المفتي لبحث سبل تطوير هذه الاتصالات. وفي أغسطس 1940م/رجب 1359هـ/ سافر حداد من العراق قاصداً تركيا للاتصال بالوزير المفوض الألماني فون بان (Von Papen) وبحث معه رغبته بالسفر إلى ألمانيا، وغادر تركيا على الفور صوب ألمانيا. وهناك قابل السفير الألماني السابق في بغداد غروبا (Grobba) ومدير القسم الشرقي في وزارة الخارجية، وأجرى مباحثات معه، وقد قدم نفسه كمندوب شخصي للمفتي الذي يمثل بالتالي العالم العربي. ودار النقاش حول المطالب التي تقدم بها حداد ويرجو تنفيذها على شكل تصريح واضح. ولكن الألمان تحفظوا أمام مسألة إصدار تصريح وأوضحوا أنه لا بد من استشارة إيطاليا أولاً. فامتعض حداد من ذلك وشرح لهم تحفظ العرب على تدخل إيطاليا في الأمر وأنهم يرغبون في التعامل مع ألمانيا. وأشار أنه قد سبق لإيطاليا إصدار تصريح تسلمه الكيلاني ويعترفون فيه باستقلال العرب. وحين استفسر الألمان

من الإيطاليين عن أمر هذا التصريح، شرح الإيطاليون الموقف بأنه مجرد تصريح شفهي من قبل السفير الإيطالي في بغداد دون أن يرجع لحكومته. وواضح أن إيطاليا لم تكن تريد لألمانيا أن تشعر أنها تتصرف باستقلالية من ورائها. ولذلك أفاد الإيطاليون بأنهم مستعدون لتلبية ما تراه ألمانيا بهذا الشأن(64).

واستمر حداد يلح على المسؤولين الألمان بشأن إصدار تصريح للعرب. واستمر النقاش طويلاً بين إيطاليا وألمانيا حول هذا الموضوع، وظهر أن إيطاليا لا ترغب في ذلك واعتبر البحر الأبيض المتوسط داخل مجالها الحيوي، وألمانيا تعترف لها بهذا الحق. وأبدى حداد اعتراضه على سياسة المجال الحيوي، وأن إيطاليا لا يمكن أن تمنع البلاد العربية أن يكون لها أحسن العلاقات مع ألمانيا التي أحرزت في الشرق عطفاً كبيراً. ولم يترك الألمان فرصة دون الاعتراض على موقف إيطاليا، ثم أحيط حداد علماً بأن التصريح سوف يظهر خلال أسبوع أي في 15 أكتوبر 1940م/14 رمضان 1359هـ/ وسلم بالفعل إلى حداد في 18 أكتوبر م/ 16 رمضان. ثم تمت إذاعة التصريح في 23 أكتوبر 22 رمضان 1359هـ من إذاعتي برلين وروما. ولكن لم ينشر التصريح في الصحف إلا في بداية ديسمبر1940م/ذي القعدة 1359هـ/. اعتبر حداد أن ذلك التصريح ليس كل ما يريده العرب ولكنه خطوة أولى، وقرر حداد بعد ذلك أن يواصل مساعيه في إيطاليا، لذلك اتجه إليها وأجرى محادثات مع وزارة الخارجية تم فيها مناقشة العلاقات العربية الإيطالية لاعتبارات جغرافية وسياسية واقتصادية، وطالب بضرورة توطيد هذه العلاقات وجدد مطالبه الخاصة بالاعتراف باستقلال العرب، ووعد الإيطاليون بدراسة المسألة(65).

ولكن نشوب الحرب الإيطالية اليونانية في 28 أكتوبر1940م/27 رمضان 1359هـ/ جعلت حداد يقرر العودة السريعة إلى تركيا. وكان قد اتفقت ألمانيا معه على أن يكون الاتصال بين العرب والألمان بواسطة سفيرها في تركيا وليس عن طريق السفارة الإيطالية في بغداد. ويدل هذا على أن ألمانيا رغم اعترافها بأن العرب يدخلون ضمن مجال إيطاليا الحيوي، إلا أنها لا تريد أن تترك الأمر كله لها بل تحتفظ بخيط تتصل من خلاله بالعرب.

وأثناء محادثات حداد مع دول المحور كان ناجي شوكت قد اتجه إلى تركيا وعقد عدة اجتماعات مع السفير الألماني فيها، وتم تسليمه نسخة من التصريح الألماني الإيطالي للعرب، وواضح أن المقصود من محادثات شوكت أن حكومة العراق ممثلة بالكيلاني كانت تعمل مع المفتي على أن يكون الاتصال مع دول المحور عن طريق أكثر من شخص(66).

وبعد إذاعة تصريح دول المحور شعرت بريطانيا بالخطر من هذه الاتصالات، فزاد غضبها وتشددت سياستها تجاه العراق، رغم أن المفتي والكيلاني وكل القوميين العرب لم يشعروا بأن التصريح السابق يحقق أمانيهم. ولهذا تقرر إيفاد حداد مرة أخرى إلى ألمانيا للوصول إلى بيان أكثر وضوحاً(67).

ووصل حداد إلى ألمانيا في 17 فبراير1941 م/21 محرم 1360هـ/ حاملاً معه رسالة من المفتي موجهة إلى هتلر أعاد فيها المفتي مطالب العرب القومية وتأكيد عدائهم لبريطانيا وتعاطفهم مع دول المحور واستعدادهم للثورة ضد العدو المشترك بعد تخلصهم من العقبات المادية. وكانت الحكومة الألمانية هذه المرة أكثر اهتماماً ورغبة في التعاون مع العرب، وأخذت تتخلى عن فكرة اقتصار منطقة العرب على النفوذ الإيطالي. وهذا التغيير البسيط في

السياسة الألمانية يعود إلى تطورات الموقف الحربي، لذا تطلعت ألمانيا إلى استغلال الفرصة التي أتيحت لتوطيد علاقاتها مع العرب. ولهذا صاغت الدوائر الألمانية رداً على رسالة المفتي التي حملها حداد إلى هتلر في 3 أبريل1941م /7 ربيع أول1360هـ/، وقد جاء فيها بعد شرح الأسس السياسية الألمانية تجاه العرب، والمدى الذي يمكن أن تصل إليه هذه العلاقات من تعاون عسكري ضد بريطانيا العدو المشترك. ويطلب عودة سكرتير المفتي مرة أخرى للبحث في تفاصيل هذا التعاون.

ويبدو أن الغرض الأول من رحلة حداد الثانية الحصول على معدات عسكرية من ألمانيا لتساعد الحكومة العراقية في مواجهة أي هجوم بريطاني. وأن مسألة بحث إصدار تصريح أو بيان لم تبحث كثيراً. كما كان الحال في رحلة حداد الأولى(68).

وعموماً فقد كانت رحلات حداد هذه هي الحلقة الأولى من سلسلة طويلة من الاتصالات بين المفتي ودول المحور. وبالرغم من أن رحلات حداد لم تثمر بشكل جيد إلا أنها على أي حال قد أعطت المفتي دفعة قوية للصمود والمقاومة للسياسة البريطانية. وكانت سبباً غير مباشر للسياسة العراقية غير المهادنة لبريطانيا والتي تنخفض عنها قيام حركة الكيلاني، وقد استند عليها المفتي عند اتخاذ قراره اللجوء إلى دول المحور.

رحلة المفتي إلى دول المحور :

بعد نجاح الهجوم البريطاني في الإطاحة بحكومة رشيد عالي الكيلاني، استقر رأي المفتي ورفاقه على الخروج متجهين شمالاً ولكنهم غيروا رأيهم واتجهوا صوب إيران حتى لا يقعوا في أيدي السلطات البريطانية. وبالفعل وصلوا طهران في 3 يونيه 1941م/9 صفر 1360هـ/، وفي نفس اليوم سيطرت قوات بريطانيا على بغداد. وقد ساد الاعتقاد بأن النفوذ الألماني في إيران قوي نتيجة لوجود عدد من البعثات الألمانية الفنية والعسكرية، ولكنه اتضح أن هذا الأمر مبالغ فيه، وقد طلبت حكومة إيران من هؤلاء اللاجئين ألا يقوموا بأي نشاط سياسي ويلتزموا بقواعد اللجوء السياسي(69).

ونتيجة لتطور الأوضاع الحربية، ودخول الاتحاد السوفيتي حلبة الصراع إلى جانب الحلفاء، أصبحت إيران في موقف حرج لأنها محاطة بالاتحاد السوفيتي من الشمال وبريطانيا من الجنوب.

وأدى ذلك إلى زيادة شعور المفتي وجماعته بالخطر، فقرروا مغادرة إيران إلى تركيا. وحاولوا عن طريق السفير التركي الحصول على إذن بذلك، ولكن تركيا سمحت للكيلاني واعتذرت عن قبول المفتي نظراً لأن دوره في الوحدة العربية لا يحظى لدى الحكومة التركية، علاوة على الضغط البريطاني على تركيا بشأن رفض قبول الحاج أمين. ثم علم المفتي أن بريطانيا وروسيا سلمت إنذاراً نهائياً لإيران تطلب تسليم أربعمائة ألماني بحجة أنهم جواسيس ورفضت إيران ذلك، لكن بريطانيا كانت مصرة فبدت نذر الهجوم تظهر. وفي 28 أغسطس 1941 م/6شعبان1360هـ/ خرج الشاه من طهران وهاجم الحلفاء إيران فسارع المفتي ورفاقه إلى مخبأ أعدوه مسبقاً. ولما استقرت الأمور وسيطرت بريطانيا على الوضع أعلنت جائزة مالية لمن يدل على مكان المفتي، وكان الاتفاق بين

بريطانيا والحكومة الإيرانية أن يتم القبض على المفتي بواسطة قوات الشرطة الإيرانية ويتم نقله إلى الحدود العراقية ثم يسلم لبريطانيا. وهذا الإجراء من أجل حفظ ماء الوجه للحكومة الإيرانية. ولاحقت بريطانيا المفتي الذي كان قد لجأ إلى السفارة اليابانية. وعندما طلبت بريطانيا تسليمه كان قد غادرها. وفي 23 سبتمبر خرج المفتي من طهران في سيارة إلى الحدود التركية. وقد استفاد من سيطرة الاتحاد السوفييتي على منطقة الحدود التركية فتمكن من الدخول إلى تركيا وأمضى فيها أربعة أيام تقابل خلالها مع إسحاق درويش وحسن أبو السعود وتباحثوا معاً حول الأسس التي سيتم بحثها عند وصول المفتي إلى أراضي دول المحور، ثم غادر تركيا(70).

مفاوضات المفتي مع الحكومة الإيطالية :

وكان المفتي قد أجرى الاتصالات مع السفارة الإيطالية في أثناء وجوده في طهران، وحاول سكرتير السفارة الإيطالية التوصل إلى عقد اتفاقيات سياسية واقتصادية مع المفتي والكيلاني، لا تدخل ألمانيا فيها مما دفع المفتي إلى رفضها، ولهذا السبب، ولدور إيطاليا في تسهيل خروجه من إيران، ولرغبته في مواصلة البحث في أطر العلاقات العربية المحورية، فقد اتجه المفتي إلى روما أولاً، ووصل في أكتوبر 1941 م/رمضان 1360هـ/ وقد تكتمت الحكومة الإيطالية في بداية الأمر على خبر وصول المفتي إلى أرضها وأبلغت ألمانيا بذلك سراً. وكانت إيطاليا تهدف من ذلك إلى استخدامه في الوقت المناسب لأغراض الدعاية. وبقي وجوده هناك سراً حتى تم لقاؤه بموسوليني، ونشرت الصحف خبر هذا اللقاء .

وقد حضر هذا اللقاء بين موسوليني والمفتي مسؤول إيطالي كبير ودار الحديث بينهما حول المسألة العربية. وأشار المفتي في حديثه مع موسوليني إلى أن هدفه السياسي هو تحقيق استقلال فلسطين وسوريا والعراق. ويتطلع إلى ضمان دول المحور استقلال البلاد العربية عن طريق إصدار بيان واضح يؤكد فيه تأييدهم لجهود المفتي السياسية. وقد حرص موسوليني على أن يرد على المفتي بلباقة وأن يبلغه بأن مطالبه جديرة بالاهتمام وأن إيطاليا مستعدة للاعتراف بها. وأما بخصوص الوطن اليهودي فإن قوى المحور على استعداد للموافقة على استبعاد الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وسوف يعبران عن استعدادهما لعمل ذلك في المستقبل القريب في اتفاقية رسمية تعزز الصداقة الخالصة والتعاون الوثيق بين دول المحور والدول العربية في المستقبل.

وقد أثارت هذه المقابلة الارتياح في نفس المفتي نظراً لأنه شعر بأن موسوليني (Mussolini) قد وافق على كل طلباته، وقد خرج بانطباع حسن عن شخصية موسوليني، حيث قال: "استرعى نظري قوة شخصيته، وسعة ثقافته، وبعد نظره، عندما تجنب الاشتباك مع روسيا". وكذلك موسوليني أثار لقاؤه بالمفتي انطباعاً حسناً أيضاً فقال: "إنه ذكي ويعرف ما يريد"(71). وقد طلب موسوليني من المفتي البقاء في إيطاليا، وتم إعداد منزل خاص وأحاطه بحفاوة كبيرة. حتى وصل إلى أن أطلق موسوليني على المفتي لقب "حامي الإسلام" ومن هذا يتضح الهدف الدعائي الذي كان يسعى إليه موسوليني من رغبته في وجود المفتي لديه. ولكن مجموعة العرب القوميين المتمركزين في تركيا كانوا يتطلعون إلى ألمانيا أكثر بسبب تحفظهم على إيطاليا(72).

وتمت صياغة التصريح الذي يرغب المفتي الأكبر في إصداره، وبعث نسخة منه في نوفمبر 1941م/16 شوال1360هـ/ إلى الحكومة الألمانية لأخذ الموافقة عليه تمهيداً لإعلانه. ونص على تعهد دول المحور بمساندة الدول العربية التي تقع تحت الهيمنة والاضطهاد البريطاني والتي تناضل في سبيل حريتها، واعتراف دول المحور بالسيادة الكاملة للبلاد العربية في الشرق الأدنى ووافقت على إلغاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، ووعد التصريح بتعزيز الصداقة الخالصة عن طريق اتفاقية رسمية. ولكن هذا النص لم يستبشر به المفتي كثيراً بل تحفظ على بعض ما جاء فيه مثلاً بالنسبة لعبارة ‘‘في سبيل حريتهم‘‘ بينما يرى المفتي أن تستبدل بعبارة ‘‘للحصول على الاستقلال التام‘‘ إضافة إلى أن المفتي لاحظ أن التصريح يتجاهل الوحدة العربية. ومن المعروف أن قصد الحكومة الإيطالية من التحفظ الأول يعود إلى تخوفهم من أن تفهم مصر أن هذا يشملها، ولإيطاليا أطماع فيها. وأما بالنسبة لتفسير إيطاليا لتجاهلها للوحدة العربية يعود إلى أن الخلافات بين العرب كثيرة لذا فإن الوحدة العربية مسألة غير عملية. ولكن في الحقيقة هذا مجرد تبرير والغرض الحقيقي أن مصالح إيطاليا تتعارض مع الوحدة العربية. وبالإضافة إلى تحفظات المفتي كانت حكومة فيشي الفرنسية ستعترض بسبب مصالحها الاقتصادية والسياسية في سوريا ولبنان. كما أن تركيا أيضا لن تؤيد هذا التصريح لأن لها مصالح إقليمية في العالم العربي وستميل حينذاك إلى بريطانيا إذا تمت المصادقة على هذا التصريح(73).

مفاوضات المفتي مع الحكومة الألمانية:

غادر المفتي روما في 18 نوفمبر 1941م/29 شوال 1360هـ/ يصحبه مستشار إيطاليا ويدعى ميللني (Melleny) وعند وصوله إلى برلين حظي باستقبال جيد، واتجه صوب المكان المعد لاستقباله. وقد زاره عدد من العرب والمسلمين المقيمين في ألمانيا، ورغبة من المفتي في تعزيز مكانه ومطالبه فقد أفضى إلى مرافقه الدكتور غروبا (Grobba) بمعلومات عما أسماه باللجنة العربية السرية قائلاً إنه رئيسها وإن تاريخ تأسيس هذه اللجنة يعود إلى 1911م/1329هـ/، ولها أعضاء في كافة الدول العربية، وتتولى قيادتها لجنة إدارية واحدة تمثل هذه الأقطار. وكانت هذه اللجنة وراء الكفاح في فلسطين والعراق، وهدفها تحقيق الاستقلال وتوحيد البلاد العربية، وقد تفرعت عن هذه اللجنة لجنتان أخريان. وكان المفتي يرأس كل هذه اللجان، والمفتي يقصد من كشف النقاب عن هذا التشكيل إضفاء هالة من التقدير والاحترام على شخصه والكيلاني لم يذكر شيئاً عن هذه اللجنة(74).

وتم لقاء بعد ذلك في 20 نوفمبر 1941م/2 ذي القعدة 1360هـ/ مع وزير الخارجية الألماني ربينتروب (Ribbentrob) وقد بدأ حديثه مع المفتي بالإشارة إلى الكفاح العربي في فلسطين، وأشار إلى أهمية حل قضية فلسطين حلاً عادلاً. وأبدى أسفه على النهاية المؤلمة لثورة العراق، واعتذر أن ظروفها لم تكن ملائمة حتى يتسنى لألمانيا أن تقدم المساعدة المطلوبة. ورد عليه المفتي موضحاً أن الحكومة العراقية لم تكن هي أيضاً ترغب في أن يقع هذا الصدام في هذا الوقت بالذات. وأخذ المفتي يشرح أهم مطالبهم من دول المحور، وكرر الحديث عن الضرورة القصوى لإصدار التصريح. فرد عليه الوزير بأنه يتفق معه على أهمية صدور مثل هذا التصريح ‘‘ولكن

هتلر لا يرى من المصلحة الإدلاء بتصريحات قد تؤثر على مجرى الحرب" أو تثير بعض الدول كتركيا مثلاً. وقد أبلغ المفتي الوزير بأن تركيا عقدت معاهدة سرية بينها وبين الإنجليز تحتوي على خطط معينة لما بعد الحرب. ويقصد المفتي من ذلك أن يوحي للوزير أن مسألة حياد تركيا شكلي فقط وأنها في حقيقة أمرها تقف إلى جانب بريطانيا، في الوقت الذي تعمل الحكومة الألمانية لها حساب. وفي نهاية المقابلة حدد ريبنتروب (Ribbentrob) للمفتي موعداً لمقابلة Hitler هتلر(75).

واتجه المفتي في 28 نوفمبر 1941 م/10 ذي القعدة1360هـ/، لمقابلة الفوهرر زعيم الرايخ الثالث، وقد تم استقباله بشكل رسمي وبحفاوة بالغة. وكان هتلر في انتظار المفتي عند باب مكتبه الخاص واستقبله بحرارة وسرور. وبدأ الحديث بينهما، وبعد أن رحب هتلر بضيفه وهنأه على سلامة الوصول وأشاد بتاريخ المفتي في الكفاح، تحدث المفتي مشيداً بالزعيم الألماني، ومدى ثقة البلاد العربية بانتصاره. وأكد أن العرب والألمان حلفاء طبيعيون لأنهم يحاربون ثلاثة أعداء، اليهود وبريطانيا والبلاشفة، وهم على استعداد للتعاون بشكل أكبر مع الألمان. ثم تطرق إلى أماني الأمة العربية بالاستقلال والسيادة الواحدة، وطلب عقد معاهدة رسمية صريحة بين العرب ودول المحور تشتمل على هذه المطالب الأساسية، وإعلان تصريح رسمي بذلك في الإذاعة لتطمئن الأمة العربية إلى مستقبلها وتقبل بعد هذه الطمأنينة على التعاون مع دول المحور ضد الأعداء المشتركين. ورد هتلر على حديث المفتي، منددا باليهود شارحاً أن هدفه تحطيم الشيوعية واليهود وإخراج بريطانيا من منطقة الشرق الأوسط، وأن كسب الحرب هي ساعة التحرير بالنسبة للعرب. وأما بالنسبة لمسألة إصدار تصريح فإنه لا يرى ذلك أمراً ضرورياً قائلاً: "إنه وعد لا خير فيه"، وأنه يجب أن يسبقه نصر عسكري كبير، لأن صدور مثل هذا التصريح قد يحدث ردود فعل غير مناسبة في فرنسا لأن العناصر غير المؤيدة لديجول ستتشدد وربما يؤدي الأمر إلى نشوب ثورة. ووعد هتلر أن يصدر مثل التصريح الذي يطلبه المفتي حينما تصل القوات الألمانية إلى جنوب القفقاز، وهذا سيحتاج لبضعة شهور، خاصة وقد أظهرت العملية العراقية أن التعاطف وحده لا أهمية له في هذه المعارك، حيث لم تسمح الظروف بتقديم مساعدة فعالة وعاجلة. وأضاف هتلر أنه هو نفسه منذ تسلمه مقاليد الحكم في ألمانيا ولمدة خمس سنوات لم يصدر أي تصريح حتى استطاع أن يدعم موقفه بقوة السلاح. فأجاب المفتي بأنه يتفق مع الفوهرر في كل ما ذكره، ولكن هناك مسألة هامة وهي إن كان في الإمكان الدخول في اتفاق سري مع ألمانيا. فرد هتلر أن حديثه هذا بمثابة اتفاق سري. واستمرت هذه المقابلة مدة ساعة ونصف حضرها وزير الخارجية الألماني.

واستبد القلق بالمفتي بعد هذا اللقاء، إذ أدرك أن هتلر لا يرى ضرورة إصدار تصريح وقطع عهد رسمي للعرب في الظروف الحاضرة. والمفتي يرغب في أن يحصل على شيء يطمئن به العرب ويحفزهم على التعاون رغم أنه مطمئن لخطط هتلر السرية(76).

ونتيجة لهذه المقابلة تم إيقاف العمل على إصدار التصريح الذي اتفق على مسودته في أثناء وجود المفتي في روما. وكانت وزرتا الخارجيتين الألمانية والإيطالية تعدلان فيه. ولكن كل هذا لم يثن عزم المفتي عن استمرار المطالبة بالتصريح، إذ كان يعتبره الثمرة الملموسة لجهوده ونشاطه السياسي، ولإظهار مدى نجاحه في العالم العربي وحتى

يحرج بريطانيا وأصدقاءها من العرب. ولذلك حاول المفتي أن يوحي لألمانيا بأنه إذا لم يحصل على هذا التصريح منهم فإنه سيلجأ بشكل أكبر إلى إيطاليا التي كان يبدو أنها أكثر استعداداً من ألمانيا، لأنها كانت تريد أن تكسب العرب إلى صفها حتى لا يرموا بجميع ثقلهم ومقدراتهم في الجانب الألماني. وحتى اليابان في مطلع عام 1942م/1361هـ/ ظهر أنهم يميلون إلى إصدار مثل هذا التصريح وذلك عندما اقتربت قواتهم من بحر العرب(77).

ولكن حدث تغير واضح في الإستراتيجية السياسية لألمانية نحو العرب في 1942م/1361هـ/ نتيجة لتطورات الموقف الحربي واقتراب الجبهات القتالية من العالم العربي، فكان لزاماً على ألمانيا أن تكسب ود العرب بشكل أكبر. وبدأت أولى خطواتها في هذا المجال بأن منحت حكومة ألمانيا الحاج أمين الحسيني لقب " المفتي الأكبر" في محاولة لكسب رضا المسلمين وشكلت لجنة بوزارة الخارجية للاهتمام بالقضية العربية ومتابعتها، ووضع الترتيبات السياسية اللازمة للزحف الألماني في المنطقة العربية، ولتقوم أيضاً بتنفيذ تعليمات وزارة الخارجية بعد احتلال الأقطار العربية. واقترحت هذه اللجنة إنشاء حكومة عراقية برئاسة الكيلاني وحكومة سورية برئاسة المفتي، ويبدأ بتنظيم الجيش العربي تحت قيادة ضابط ألماني ، وقدمت اللجنة اقتراحات أخرى لتنظيم البلاد العربية. ولكن لم تر أي من هذه الاقتراحات النور، ويبدو أنها واجهت معارضة من قبل الحكومة. إضافة إلى أن الخلاف الذي دب بين المفتي والكيلاني ربما كان سبباً في إعاقة مثل هذا الأمر(78).

توجه المفتي في فبراير 1942م/محرم 1361هـ/ إلى إيطاليا وقد استطاع أن يقابل الملك الإيطالي(79). في 13 فبراير/27 محرم/، وكان استقبال الملك له فاتراً. وبقي المفتي في روما حتى 25 إبريل/9 ربيع الثاني/، وقد حصل على مشروع تصريح من دول المحور على صيغة رسائل موقعة إحداها من وزير ألمانيا ومن وزير إيطاليا، نسخة إلى المفتي ونسخة إلى الكيلاني. وقد احتوت الرسالتان على اتفاق ألمانيا وإيطاليا حول المطالب العربية، تمنح الدول العربية استقلالها. كما أكدت الرسالتان على التضامن غير المحدود لدعم المقاومة العربية بهدف طمس معالم ما يسمى الوطن القومي اليهودي في فلسطين، والعمل على إلغائه بشكل نهائي. فاتضح بأن صورة الاعتراف التي خطتها قيادة دول المحور تعكس تحمس القادة الألمان لمشروع الإعلان فعملوا على تأخيره إلى ما بعد نهاية الحرب، واكتفوا بهذين الخطابين إلى المفتي والكيلاني حتى لا تستقطبهم جهات أخرى، وبالتالي تفقد دول المحور ما تتطلع إليه من دعم العرب لهم خاصة عند بدء العمليات العسكرية. وتم الاتفاق على أن يبقى مضمون الرسالتين سراً مكتوماً، وبذلك فقد هذا التعهد من جانب دولتي المحور قيمته الإعلامية على الصعيد العربي(80).وكان القوميون العرب في تركيا يتابعون بشغف تحركات المفتي والكيلاني في روما وبرلين. وقد استاءوا كثيراً من الأنباء التي وردت عن وجود خلاف بين الزعيمين العربيين، فأخذ هؤلاء يبعثون كمّاً من الرسائل إلى كل من الزعيمين يطلبون منهما توحيد الجهود ونبذ الخلافات والعمل على الحصول على معاهدة من دول المحور. وقرروا أن يتقدموا برجاء إلى الحكومة الألمانية وبالاتفاق مع إيطاليا على إمكانية إصدار تصريح علني من دول المحور لأنه ضروري لهم. وتأخر إعلانه حتى 1943م حين قرأ المفتي مضمون الرسالة الموجهة إليه في حفلة أقيمت في

برلين في نوفمبر 1943م/ذي القعدة 1362هـ/، وهذا يدل على أن المفتي كان مستبشراً بهذه الرسالة أو التعهد الذي حصل عليه من دول المحور بعد طول صبر. ويعتقد أن المفتي والكيلاني لم يخف عليهما ما تحويه هذه الرسائل من غموض ولكنهما لم يستطيعا الحصول على أكثر من هاتين الرسالتين، فهما أقصى ما حصلا عليه من دول المحور. لذلك لم يكن أمامهما إلا التشبث بهما، فربما تتغير الأوضاع إلى الأفضل، وحينئذ تتحقق أهدافهما(81).

وفي 7 يوليو 1942م/23 جمادى الثانية 1361هـ/ أصدرت الحكومتان الإيطالية والألمانية بياناً وجهته لأهل مصر ووعدت فيه بالحرية والاستقلال. كما أصدر المفتي أيضاً نداء موجهاً إلى الشعب المصري يدعوهم فيه إلى مساندة جيوش المحور. ولم يكتف المفتي بذلك بل اقترح على وزير الخارجية الإيطالي بأنه مستعد للسفر بنفسه إلى الشمال الأفريقي ليقوم بالنشاط الدعائي اللازم فرفض اقتراحه. ولكن المفتي لم ييأس، فكان على اتصال ببعض زعماء المغرب العربي وعلم منهم موعد إنزال القوات الأمريكية، فكتب بذلك إلى وزارة الخارجية الألمانية مع اقتراحه بالاستفادة من عرب المغرب، ولكن المسؤولين الألمان رفضوا أيضاً هذه المقترحات، بسبب احتمال إثارتها لمشاكل مع حكومة فيشي الفرنسية ومع إسبانيا وإيطاليا(82).

مجالات التعاون بين المفتي ودول المحور:

لقد تعاون المفتي مع دول المحور في المجال الإعلامي، فأنشأ مركز الأنباء العربي في 30 مارس 1942م/ 13ربيع أول1361هـ/، وكان هذا المركز يصدر نشرة إخبارية ويصدر أيضاً مجلة الجهير، وكانت هذه المجلة تقوم بنشر خطب المفتي، والتي تذاع من الإذاعة. وكان لأحاديث المفتي تأثير بالغ على العرب في جميع أنحاء الشرق الأوسط. واقترح المفتي على الخارجية الألمانية إحداث دائرة للشؤون الإسلامية، وبالفعل تم إنشاء هذه الدوائر، وأدارها أحد المسئولين الألمان. وتولى المفتي مهمة الاتصال بالشخصيات الإسلامية البارزة في العالم لكسبها إلى جانب المحور وتحريضها على الثورة ضد الحلفاء. وحرص المفتي على إرسال مندوبين إلى البوسنة ومقدونيا وألبانيا حيث يوجد مسلمون للاتصال بزعمائهم. كما زار المفتي كرواتيا في إبريل 1943م/ ربيع الثاني 1362هـ/ وأرسل أحد سكرتارييه في نهاية مارس 1944م/ربيع أول 1363هـ/ إلى منطقة الحدود الألبانية اليوغسلافية وأجرى محادثات مع الزعيم الألباني، وأقام المفتي صلات مع المنظمات الإسلامية في شبه جزيرة القرم وشمال القفقاز ووسط آسيا(83).

إنشاء المفرزة العربية:

منذ قيام حركة الكيلاني عام 1941م تظاهر الطلبة العرب في ألمانيا مطالبين بتجنيدهم وإرسالهم للعراق فاستجيب لطلبهم، ونقلوا إلى مركز تدريب في غرب ألمانيا، وعندما تغلبت بريطانيا على العراق، تم نقلهم إلى مركز تدريب في رأس سونيون في اليونان - وقد انضم إليهم الفارون من العراق - وكان تحت قيادة الجنرال فيلمي (Felmy) قائد القوات الألمانية المرابطة هناك، وحين وصل المفتي إلى ألمانيا، وكان مقتنعاً بأهمية تأسيس جيش عربي يدافع

عن قضاياهم لأنه لا بد أن يأتي يوم يكون لهذا الجيش فائدة كبرى، ولكن فكرة المعسكر العربي لمن تنل إعجابه كثيراً، فهو يأمل في إنشاء فرقة عربية تعمل بصورة مستقلة مع جيوش المحور. وفي ديسمبر 1941م/محرم 1361هـ/ وافق هتلر على إنشاء هذه الفرقة، ولكن الفكرة لم تخرج إلى حيز الوجود. أما المفتي فلم يصب بخيبة الأمل واستمر يطالب بإنشاء هذه الفرقة. واقترح تدريب الأسرى العرب الذين وقعوا في أيدي المحور في عدد من المدارس العسكرية. وبالفعل تم إلحاق عدد من العرب بهذه المدارس، وقد لعب هؤلاء الجنود دوراً بارزاً في القضاء على المظليين الأمريكيين الذين أنزلوا في يوغسلافيا. ومع تقدم القوات الألمانية في القفقاس انتقلت هذه المفرزة إلى الاتحاد السوفييتي وأخذت اسم "القيادة العامة 68" وقد عارض المفتي ذلك وطلب بنقلها إلى شمال أفريقيا لقربها من البلاد العربية، ولكن انهزام القوات الألمانية أمام الجيش السوفييتي جعل موضوع المفرزة أمراً ثانوياً لا قيمة له. ولم يسمع شيء محدد بعد ذلك عن هذا اللواء، وهل شارك في الحرب أم لا؟، ولكن نزول أربعة مظليين عرب في فلسطين 1945م/ 1364هـ/ اعتبروا من جنود هذه المفرزة، وقد تم اعتقال اثنين منهم. وهكذا كان إنشاء المفرزة العربية المثال للتعاون الذي حققه المفتي مع دول المحور، بالرغم من التحفظات العديدة على نشاطهم(84)، وكان المفتي يهدف من وراء ذلك التعاون الحصول على أكبر دعم ممكن من دول المحور لتحقيق الأهداف العربية في الاستقلال والتحرير.

مسألة الخلاف بين المفتي والكيلاني:

من المعتقد أن هذا الخلاف بين المفتي والكيلاني كان عاملاً أساسياً في تعطيل جهودهما وتأخير حصولهما على أي تعهد أو تصريح من دول المحور. وقد بدأت بوادر هذا الخلاف منذ اتجاههما إلى دول المحور. أما عن علاقتهما في الفترة السابقة لسفرهما فكانت متينة. وبدأ الخلاف عندما اتجه المفتي إلى دول المحور ووصل قبل الكيلاني، وبدأ محادثاته مع المسئولين الألمان كزعيم يمثل الأمة العربية. وعندما وصل الكيلاني في فترة لاحقة ورأى مكانة المفتي أراد أن يبذل مساعي مشابهة وطلب أن يعترف به كطرف قانوني على أساس أنه رئيس الوزراء لحكومة العراق. فلم يرق هذا للمفتي، وانفرد كل في مسعاه، وأخذ كل منهما يدعي أنه الممثل الوحيد للعرب ولم تظهر علامات عدم الوفاق بينهما بشكل كبير إلا عند انتقالهما إلى روما في 1942م/ 1361هـ/ حينما استقل كل منهما في مكان. ومما ساعد على اتساع شقة الخلاف بينهما أن دول المحور كان لها دور في تأجيج ناره، ويتهم غروبا في التدخل بينهما. ونتج عن هذا الخلاف أن امتد أثره إلى القوميين العرب في تركيا فأصبحوا فريقين: فريق يؤيد المفتي، وفريق يؤيد الكيلاني. وأخذ كل فريق يحاول أن يبرهن بحجج ليدل على نزاهة موقف زعيمه، واتهم دروزة كامل الكيلاني شقيق رشيد بأن له الدور الأكبر في تغذية هذا الخلاف(85).

وساهمت رسائلهما إلى السياسيين العرب في تركيا في إشعال نار الخلاف. فأخذ كل فريق يتهم زعيم الفريق الآخر بالخيانة والأنانية. وصار كل من الزعيمين يطلبان سفر مزيد من العرب للاستفادة برأيهم. ويذكر عادل أرسلان أنه رفض هذا العرض، لأنه يعتقد أن تطلع كل من الكيلاني والمفتي للزعامة والمظاهر الباطلة السبب الأول لهذا

الخلاف. ولما بلغ الأمر مداه طلبت الخارجية الألمانية سؤال اللاجئين السياسيين العرب في تركيا لإبداء رأيهم في مزاعم كل من المفتي والكيلاني، فكتب المفتي إليهم يسألهم تأكيد أقوالهم، وبأنه هو زعيم اللجنة العربية، وقد رد مؤيدوه بما يؤكد أقواله.

ونظراً لاستمرار هذا الخلاف بين الزعيمين العربيين، حاول الكثيرون من العرب وبعض المسئولين في الحكومتين الألمانية والإيطالية رأب الصدع. وبالفعل تمت مصالحتهما في يناير 1943م/ذي الحجة 1361هـ/ في منزل وزير خارجية أفغانستان في برلين. وبالرغم من هذا كله فقد أثار المفتي في مذكراته هذا الخلاف وأرجع الأمر إلى مجرد اختلاف في وجهات النظر، ولم يشتد الخلاف بينهما إلى درجة الهجوم، بل إنهما تزاملا معاً في العمل لقضية العرب لدى المحور. وأما الكيلاني فلم يتحدث عن هذا الخلاف في مذكراته بل إنه لم يأت على ذكر المفتي أبداً في عرض حديثه. وأكرم زعيتر يؤكد قيام الخلاف ولكنه لم يؤثر تأثيراً شديداً على سير القضية، وأن الخلاف كان قائماً بالفعل بين الزعيمين ربما بسبب اختلاف في طريقة معالجة كل منهما للقضية العربية وأسلوبه، وربما أسباب أخرى. ولكن هذا الخلاف لم يكن بالحجم المبالغ فيه. وأما مسألة إنكار المفتي للخلاف فيعود إلى رغبته في عدم تشويه صورته كمناضل كان يرتفع فوق أي خلاف ولا يسعى إلى أي نوع من الزعامة(86).

خروج المفتي من دول المحور:

ومنذ اشتداد غارات الحلفاء على برلين في 1943م/1362هـ/ قررت السلطات الألمانية ضرورة انتقال اللاجئين العرب إلى حدود ألمانيا مع تشيكوسلوفاكيا، وظل المفتي هناك ثم انتقل إلى منطقة نمساوية أخرى وبقي هناك حتى عام 1945م/1364هـ/، ولما تفاقم الخطر واجتاحت جيوش الحلفاء مناطق كثيرة من ألمانيا، أخذ المفتي يبحث عن طريق للخروج. وقرر الاتجاه إلى سويسرا في أبريل 1945م/1364هـ/ لأنها دولة محايدة سبق أن أعلنت قبولها للاجئين، ولكن الحكومة السويسرية رفضت قبوله. فاتجه إلى فرنسا وقبضت عليه السلطات الفرنسية ونقلته إلى باريس تحت حراسة مشددة. وهكذا حطت رحال المفتي في أواخر سني الحرب في بلاد الحلفاء. وكانت فرنسا بالنسبة للمفتي على أية حال أفضل من بريطانيا، وبقي تحت الإقامة الجبرية في إحدى ضواحي باريس. وسارعت بريطانيا فطلبت من فرنسا سرعة تسليمه لها بناء على الاتفاق بين الحلفاء على إعادة الخونة والمتعاونين مع الأعداء. ولكن فرنسا كانت تدرك مدى النفوذ الذي يتمتع به المفتي في العالمين العربي والإسلامي، وشعروا بالرغبة في استخدامه لمصلحتهم في سوريا التي كانت تتطلع للاستقلال. وكانت بريطانيا تساندها في كفاحها، كما أن فرنسا لم ترغب تسليمه لبريطانيا لأنه شخصية إسلامية كبرى علاوة على كونه زعيماً عربياً مرموقاً، فهي لا تريد أن تظهر بأنها تلحق الضرر بالمسلمين. وبذلك يتأثر موقفها في مستعمراتها الإسلامية وخاصة في شمال أفريقيا. وحاول المفتي المستحيل لئلا يقع في أيدي بريطانيا التي كانت الصهيونية تضغط عليها لاستلامه، ولهذا حاول المفتي مع شكري القوتلي رئيس جمهورية سوريا، ورشيد كرامي رئيس وزراء لبنان، وطلب منهما التوقف عن معارضة فرنسا، وقال إن حكومة فرنسا كلفته للتوسط بينهم وبين فرنسا بهدف الوصول إلى حل مناسب

للمشكلة بشرط عدم تدخل بريطانيا. وهذه الخطوة من جانب المفتي موجهة ضد بريطانيا بالدرجة الأولى لأنه لا يريد أن يكون لها أي فضل في حصول أي قطر عربي على الاستقلال، كما أنه يخدم مصالح فرنسا في نفس الوقت. وقد أصدرت القنصلية الفرنسية في القدس خطاباً إلى الحزب العربي أشارت فيه إلى أن المفتي يعامل في فرنسا معاملة طيبة الأمر الذي ترك انطباعاً جيداً لدى مؤيدي المفتي وسمح لـه بالاتصال مع عائلته وأصدقائه. وحاولت فرنسا بعد ذلك، وحتى تتخلص من الضغط البريطاني والأمريكي، أن تقنع إحدى الدول باستضافته بتأمين طلب جماعي منهم، ولكنها لم تنجح في هذا المسعى. ولما علم المفتي أن الضغوط تتزايد لمحاكمته كمجرم حرب قرر بمساعدة بعض العرب الموجودين في فرنسا الهرب بجواز سفر الدكتور معروف الدواليبي إلى مصر، فوصلها في مايو 1946م. وهكذا ختم المفتي رحلته بالعودة مرة أخرى للعالم العربي. وأن مسألة نجاحه في الإفلات من قبضة بريطانيا تعتبر في حد ذاتها نصراً ودعماً للحركة الوطنية في فلسطين.

* * *

تقييم للنشاط الفلسطيني في الخارج

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية وكانت معظم الزعامات الفلسطينية في الخارج. آثر هؤلاء في البداية الصمت انتظاراً لنتيجة الحرب، وحتى يمتحنوا بريطانيا في حسن نواياها بالنسبة لتنفيذ سياستها التي تضمنها الكتاب الأبيض الصادر في أعقاب مؤتمر لندن في مايو 1939م.

ولكن مع ارتفاع أسهم المحور وظهور تخاذل بريطانيا، مال هؤلاء السياسيون إلى الجانب الآخر في الصراع فظهرت فكرة استغلال الفرصة بأن يحاولوا أن يسبقوا الصهيونية لكسب المحور إلى جانبهم. فكانت هذه الإستراتيجية التي سار عليها الفلسطينيون في نشاطهم الخارجي. ونظراً لمكانة المفتي كزعيم للحركة الوطنية الفلسطينية منذ العشرينات، ولارتباطه بعلاقات قوية مع ملوك ورؤساء العالمين العربي والإسلامي، بصفته زعيماً سياسياً ورئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى، جعل لـه مكانة مميزة عن بقية الزعماء الفلسطينيين، فطنت لها دول المحور، مما ساعده على أن يتبوأ مركز الصدارة في المفاوضات. أما بقية الزعماء الفلسطينيين، فقد وجدوا مكاناً يلجأون إليه مثل تركيا، وهذا أعطاهم نوعاً من الطمأنينة، وطبع أسلوبهم بالحذر والتريث فهم يفاوضون المحور من مكان محايد، ويطلبون شروطاً مشددة. ولم تنظر لهم بريطانيا بعداء كبير لأنهم لم يرموا بثقلهم إلى جانب دول المحور.

ويتضح من هذه الأحداث أن نشاط الزعماء الفلسطينيين في تركيا كان محدوداً، إذ اقتصر على مراسلات ومشاورات مع المفتي في ألمانيا. ومما لا شك فيه أن جل نشاط الفلسطينيين في الخارج ارتبط بالمفتي شخصياً، فبعد فشل ثورة الكيلاني لم يجد مكاناً يلجأ إليه إلا بلاد المحور بعد أن اعتذرت تركيا عن استقباله. ومما أعطى

لنشاطه السياسي قيمة أكبر مركزه كزعيم للحركة الوطنية. ووضعه المميز في العالمين العربي والإسلامي كشخصية إسلامية، وهذه ميزة امتاز بها عن غيره من الفلسطينيين والزعماء العرب اللاجئين في 1939م حتى عودته إلى مصر. إلا أن الظروف المحيطة به كانت أقوى منه، وتطور الأحداث عاكس اتجاهه. فبالإضافة إلى عدم وجود برنامج متكامل ومدروس النشاط، فهو في حقيقة أمره جهد ظهر كردود فعل لتطور الأحداث. ولكن كل هذا لا ينقص من قيمة هذا النشاط الذي حاول المفتي أن يوظفه لخدمة قضيته الوطنية بغض النظر عن نجاحه أو فشله. ويجب ألا يحكم على الزعيم بمقدار نجاحه أو فشله فحسب، بل بمدى إخلاصه في عمله وتفانيه من أجل تحقيق أهداف بلاده المشروعة والأسلوب الذي سار عليه ومصداقيته. ومما لا شك فيه أن المفتي كان يتزعم حركة وطنية في ظروف تجمعت ضده كل قوى الشر، فالدور الذي قام به المفتي ما هو إلا حلقة من سلسلة من كفاح طويل خاضها عرب فلسطين طيلة قرن من الزمن منذ ظهور الحركة الصهيونية وتحالفها مع الاستعمار الأوروبي. وما تزال الأجيال الفلسطينية تواصل الجهاد من أجل نفس الأهداف، وهي تحرير بلادهم ـ أرض المسلمين ـ من الاحتلال الصهيوني الذي تدعمه قوى الاستعمار قاطبة.. وما ضاع حق وراءه مطالب.

* * *

هوامش الفصل الثالث

(1) تلقى عوني عبد الهادي الدعوة لزيارة المملكة من الأمير فيصل لزيارة مكة المكرمة وتأدية فريضة الحج وأبلغه الدعوة سفير المملكة في القاهرة. عبد الهادي، المرجع السابق 5، ص 123 ـ 129.

(2) ولد محمد علي الطاهر في نابلس عام 1894 م وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي في مدارسها الأميرية. وصدر العدد الأول من جريدته الشورى عام 1924 م التي كانت وبالاً على الاستعمار وزبانيته.

- محمد علي الطاهر، خمسون عاماً في القضايا العربية والدولية، (مصر) ص 70- 78-

(3) أرسل نسخة من البرقية لملك بريطانيا ورئيس الوزراء، وجريدة الديلي إكسبريس والمركز العربي ومكتب الأنباء الألماني، المرجع نفسه،ص 0853

(4) محمد علي الطاهر، ظلام السجن مذكرات ومفكرات سجين هارب، (مصر 1951 م) ص 66-81.

(5) المرجع نفسه، ص 161.

(6) المرجع نفسه، ص 165.

(7) كانت الوزارة برئاسة علي ماهر باشا وجاء بعده حسن صبري باشا.

(8) وعلى رأس المطالبين بإطلاق سراح الطاهر، أسعد داغر من لبنان. الطاهر، ظلام السجن، ص 120، 161، 189.

(9) المرجع نفسه، ص570، 850.

(10) عمل موسى العلمي بوظيفة "النائب العام" ونجح في أثناء زيارته إلى لندن سنة 1938م في أن يحصل من ماكدو نالد وزير المستعمرات على ورقة توضح الأسس التي ستقوم عليها المباحثات في المؤتمر مما جعل عرب فلسطين يوافقون على حضور المؤتمر. النشاشيبي،المرجع السابق 5، ص123

(11) Furlange، op. cit،p 160.

(12) الهامش غير موجود!

(13) وكان أسلوب اللجنة العربية العليا في إنقاذ الأراضي يقوم على ممارسة قدر من الضغط على البائعين وهو أسلوب لا يمكن أن يحقق إلا نجاحاً جزئياً في مواجهة أحوال البؤس والعوز التي يعاني منها الفلاحون.

- النشاشيبي، المرجع السابق، ص8، 9، 10.

- Furlange، op. cit، p p 132 – 136

(14) ويقوم المشروع أولاً على علاج مشكلة القرى المهددة بخطر عاجل من جانب اليهود بأن يطلب من أهلها وقف أرضهم حتى لا تتسرب إلى أيدي غيرهم وتعالج مشاكل المساكن وتحسين القرية من الناحيتين الصحية والزراعية وتنشأ فيها مستوطنات ومدارس ومساجد وكنائس ويتولى العمل على تحسين الزراعة أخصائيون من

غير اليهود، وتشرف على تنفيذه لجنة إدارة المشروع، ويقدر نفقات المشروع بـ 30 ألف جنيه لكل قرية وتتولى الإدارة المالية والحسابات لجنة تمثل جميع البلاد العربية. جريدة الأهرام، 27 / 8 / 1945م، ص4

(15) حاول موسى العلمي أن يصل إلى تفاهم مع صديقه القديم مصطفى خالدي، ورفض أن يسمح للخالدي بالمشاركة في تعيينات المكاتب مما أدى إلى نشوب الخلاف بينهما.

(16) وقد سبق وأنشئ مركز عربي في لندن بجهود من أصدقاء العرب البريطانيين ومشاركة موسى الحسيني وعزت طنوس وأصبح يعرف بالمركز وأنه لسان حال الشعب العربي في فلسطين وقد لقي هذا المركز دعماً من اللجنة العربية العليا. طنوس، المرجع السابق، ص166 : جريدة فلسطين،18 / 2 / 1945م ص3

(17) فقد عقد أحمد الشقيري مؤتمراً صحفياً بمناسبة افتتاح المكتب، وشارك في مساجلة مع قس مؤيد للصهيونية حول القضية الفلسطينية، وألقى عدداً من الكلمات في الإذاعة، ولكن الصحف الأمريكية حجبت أخبار نشاطاته.

- الشقيري، المرجع السابق 5، ص 233- 244.

(18) المرجع نفسه.

(19) ومن هؤلاء أمين رويحة وسعيد ثابت، يوميات زعيتر ص 590.

(20) مقابلة شخصية مع الأستاذ أكرم زعيتر، عمان، يناير 1990م.

(21) وزير المعارف هو السيد صالح جبر ووجد زعيتر في استقباله أعضاء نادي المثنى والجوال القومي. يوميات أكرم زعيتر ص592.

(22) مع أن على جودت يذكر في مذكراته أنه حذر زعيتر من مغبة ذلك. ويفسر زعيتر في مقابلة له هذا التناقض بأن علي جودت كتب مذكراته في فترة لاحقة كان مستاء من حركة الكيلاني فكان هذا الانقطاع هو الذي سجله في مذكراته.

(23) الطاهر، ظلام السجن، ص89، مقابلة شخصية مع الأستاذ أكرم زعيتر. سميح، شبيب "صفحات من الثقافة الفلسطينية". محمد عزة دروزة. أكرم زعيتر، شؤون فلسطينية، العدد 118 (سبتمبر 1981م)، ص89.

(24) ولد محمد عزة دروزة في نابلس عام 1899م ودرس فيها، وعمل موظفاً في الإدارة العثمانية، وكان مطلعاً على كثير من الصحف، وانتسب لجمعية الاتحاد والترقي، وقد كتب عدداً من الروايات، كما شارك في حكومة الأمير فيصل في سوريا وكان من مؤسسي حزب الاستقلال. شبيب، المرجع السابق. شؤون فلسطينية، العدد 1118، ص89 .

(25) عادل حسن غنيم، محمد عزة دروزة وحركة النضال الفلسطيني، (القاهرة 1987م)، ص66. مذكرات دروزة، ج 8 ص 124.

(26) وأهم هؤلاء الفارين إلى سوريا حسن أبو السعود ومحمد عفيفي ومنيف الحسيني وسعد الدين عبد اللطيف وسليم عبد الرحمن. مذكرات دروزة، ج8، ص125. غنيم،عزة دروزة ص66.

(27) مذكرات دروزة، ج9،ص79.

(28) المرجع نفسه ص79.

(29) وسبب الإلحاح على دروزة ليسافر للمفتي بغرض الحصول على عضد للمفتي نظراً لما وقع للعرب من فرقة هناك.

(30) والسبب في ربط سفر دروزة تشكيل لجنة لأن دروزة يريد أن يكون لهم صفة رسمية للمشاركة في القرارات والمساعي وبدونها يكون ذهابهم زيادة عدد فقط وداعياً للاشتراك في الخلاف. مذكرات دروزة، ج 9، ص 82.

(31) وهم معين الماضي، وأكرم زعيتر، وعادل أرسلان، وطه الهاشمي. مذكرات دروزة، ج 10، ص43.

(32) مذكرات دروزة، ج10، ص40.

(33) مذكرات مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، "جريدة أخبار اليوم"، 1957/9/28م، ص3. مذكرات الحاج أمين الحسين، "مجلة فلسطين"، (العدد 70 - 1967م) ص4.

(34) كمال عثمان حداد، حركة رشيد عالي الكيلاني، (بيروت)، ص40، مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، (1967م، العدد 76)، ص38. انظر الملحق رقم 4.

(35) وقد ترددت أقاويل بأنه اختبأ بزي امرأة وسلك طريقاً مختلفاً. الحوت المرجع السابق، ص 451.

(36) الحوت، المرجع السابق، ص 451، أخبار اليوم، 10019 - 1957م، 3.

(37) مقابلة شخصية مع أكرم زعيتر، عمان 1990م، الأيوبي، المرجع السابق، ص60.

- حداد، المرجع السابق، ص116، الأيوبي، المرجع السابق، ص95.

(38) عبد الرازق الحسني، الأسرار الخفية في حركة 1941 م التحريرية، (صيدا، 191) ص39.

(39) وكان جميع زوار البلاط الملكي في الأعياد يحرصون بعد الخروج منه على زيارة المفتي. الحسيني، المرجع السابق، ص40، مذكرات المفتي، مجلة فلسطين العدد 67 (يونيه 1967)، ص42. أخبار اليوم 1957/10/19م، ص3. المرجع السابق، ص 115.

(40) حداد، المرجع السابق،ص17.

(41) حداد، الرجع نفسه، ص18، 19.

(42) وهم صلاح الدين الصباغ، فهمي سعيد، كامل شبيب، محمود سليمان، وكان المفتي على معرفة سابقة بمحمود سليمان. وهؤلاء من كبار قادة الجيش العراقي، وكانوا يلتهبون حماساً وحمية في خدمة العراق والعروبة، ويتطلعون إلى من يتعاون معهم في هذا المجال، وحاولوا مع نوري السعيد ثم التفوا حول طه الهاشمي وزير الدفاع، لذلك أطلق عليهم الإنجليز عبارة "الحلقة الذهبية". صلاح الدين الصباغ، المرجع السابق ص307 مذكرات المفتي، مجلة فلسطين (العدد 77 أغسطس 1967م) ص22. أخبار اليوم 26 /1957/10 ص 3.

(43) وهي معاهدة عقدت بهدف تنظيم العلاقة بين بريطانيا والعراق وحصلت بها العراق على نوع من الاستقلال ودخلت عصبة الأمم. فاضل حسين، تاريخ العراق المعاصر، (بغداد 1980م) ص71.

(44) Matter، op. cit، p98. Schechtman، op. cit، p 99.

- Esci، op. cit، V.2 p 99.

(45) وهؤلاء الساسة العراقيون هم: ناجي السويدي، نوري السعيد، ناجي شوكت، محمد الصدر رئيس مجلس الأعيان، وطه الهاشمي. مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 77 (أغسطس 1967م) ص21؛ أخبار اليوم 1960/2/26م، ص2.

(46) مذكرات رشيد عالي الكيلاني، مجلة آخر ساعة ، 1960/2/27م، ص2، الحسيني، المرجع السابق، ص95.

(47) مذكرات رشيد عالي الكيلاني، مجلة آخر ساعة، 27 / 2 / 1960م، ص2 الحسيني – المرجع السابق، ص 95.

(48) مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 77، أغسطس 1967م، ص 23.

(49) المرجع نفسه، ص 24، أخبار اليوم، 1962/2/26م، ص2، ص4.

- زهير مارديني، فلسطين والحاج أمين الحسيني، (بيروت 1976م)،ص 140.

(50) وتصرفات الوصي كانت لإرضاء بريطانيا التي كانت ترغب في استقالة الكيلاني لأن هذا هو الحل الوحيد لإعادة العلاقات العراقية البريطانية إلى وضعها الطبيعي. فاضل حسين: المرجع السابق، ص 137، مجلة آخر ساعة، 3/6 /1957م، ص 12، إسماعيل ياغي، حركة رشيد عالي الكيلاني، (بيروت 1974م) ص60.

(51) والسبب في اختيار طه الهاشمي أن الجيش العراقي كانت فيه حركة تحريرية قوية بدأت منذ انقلاب بكر صدقي سنة 1936م، فأصبح رؤساء الحكومات يعملون للجيش حساباً، وطه الهاشمي باعتباره ضابط سابق في الجيش وأستاذاً للعقداء الأربعة، وهذا يجعل له دلال خاص عليهم لذلك وقع عليه الاختيار بهدف السيطرة على الجيش. جبار: المرجع السابق ص 309.

(52) مجلة آخر ساعة، 3/6 /1957م، ص 12. مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 83 (فبراير 1968م) ص 14، السويدي، المرجع السابق ص 250.

(53) الصباغ، المرجع السابق، ص 218.

(54) ولد في 1891م في بغداد وتخرج من كلية الحقوق في إستنبول وعمل في منصب المدعي العام في الحكومة قبل الحرب الأولى وبعد إعلان الحرب التحق بكلية ضباط الاحتياط وعمل مع إحدى الفرق العسكرية بحراسة بغداد وعمل بعد ذلك مشاوراً للحقوق في دمشق. ثم عاد إلى بغداد وشغل عدة مناصب ووظائف حكومية فيها وفي مدن عراقية أخرى من سنة 1921 - 1927م، ثم أصبح وزيراً للداخلية ثم عاد وزيراً مفوضاً للعراق في أنقرة حتى 1938م، وعاد وزيراً للداخلية في نفس العام واستقال سنة 1939م، وفي وزارة الكيلاني كان وزيراً للعدلية. ناجي شوكت، سيرة وذكريات ثمانين عاماً 1894 - 1974، (بغداد 1974م)،ص7 - 10.

(55) مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 83 (فبراير 1968م، ص 17). أخبار اليوم، 1957/11/2م، ص 4، الحسني، المرجع السابق ص 229 جبارة المرجع السابق ص343، حداد المرجع السابق ص110 فاضل حسين المرجع السابق ص 139 - 141.

(56) قائد عسكري ومناضل عربي ولد في مدينة طرابلس وخرج إلى الأستانة ودخل المدرسة الحربية واشترك في الحرب ضد الإنكليز في البصرة خلال الحرب الأولى وكان له اتصال بزعماء الحركة العربية في سوريا ولبنان وظل يقاتل مع العثمانيين حتى انتهاء الحرب. ثم عاد إلى طرابلس إلى أن دعاه الملك فيصل بن الحسين للعمل في خدمة الدولة العربية وشارك في معركة ميسلون سنة 1920م، ثم عمل معاوناً للمستشار الفرنسي وأخذ يعد للثورة وأثار القبائل ضد فرنسا وشارك مشاركة فعالة في ثورة سنة 1927م، واتجه بعد ذلك إلى السعودية ومنها إلى مصر، وفي سنة 1936م جاء إلى فلسطين على رأس فرقة من المتطوعين وبعد توقف الثورة سنة 1937م، عاد إلى بغداد ونفته حكومة بكر صدقي إلى كركوك استجابة للإنكليز. وبعد ذلك اشترك في حرب فلسطين قائداً لجيش الإنقاذ في حرب 1948م ثم عاد إلى لبنان وبقي فيها حتى وفاته. (الموسوعة الفلسطينية، ج3، ص481 - 484).

(57) من أبرز القادة العسكريين الوطنيين الفلسطينيين والده موسى كاظم الحسيني، رأس الحركة الوطنية الفلسطينية. ولد عبد القادر في تركيا حين كان والده عضواً في مجلس المبعوثان. وتعلم في القدس حتى نال شهادة المتريكوليشن سنة 1927م، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة، ومن هناك بدأ يمارس نشاطه السياسي واكتشف مدى خطورة الدور السياسي الذي تلعبه الجامعة الأمريكية، فانتهز حفلة تخرجه سنة 1932م وقف خطيباً وندد بالجامعة ونشر خطابه في الصحف، فطرد من مصر. وعاد إلى فلسطين وعمل محرراً في جريدة الجامعة الإسلامية، وانضم للحزب العربي، وشارك مشاركة فعالة في الثورة الكبرى وأصيب بجروح بالغة مرتين في سنة 1936م - 1938م. انتقل بعدها إلى بغداد وعمل مدرساً لفترة ثم انتقل إلى دورة لتخريج الضباط، ثم رافق المفتي في منفاه. وبعد نهاية الحرب عاد إلى فلسطين وتزعم جيش الجهاد المقدس الذي كان منوطاً به الدفاع عن القدس وما حولها حتى استشهد في معركة القسطل في أبريل 1948م. الموسوعة الفلسطينية، ج3، ص 149.

(58) وهناك رأيان بخصوص المساعدات الألمانية العسكرية ودورها في فشل الثورة: الأول يستند إلى أن هذه المساعدات كانت قليلة إضافة إلى أنها وصلت متأخرة، والأخر يرى أنها لم تصل أبداً وأنها اقتصرت على الدعم المالي. الحسيني، المرجع السابق، ص 130.

(59) إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص 179، الحسيني المرجع السابق، ص135. مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 79، أكتوبر 1967م) ص 50.

(60) أنيس صايغ، الهاشميون، ص 195، سايكس، المرجع السابق، ص 137.

(61) وقد بدأ التقارب بين عرب فلسطين ودول المحور منذ الثورة الكبرى ولكن لم يصل الأمر إلى محادثات مباشرة. مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، عدد 79 (أكتوبر 1967م) ص 52، 53، أخبار اليوم، 11/16 /1957م، ص 5، شوكت: المرجع السابق ص 327.

(62) هيرزوير المرجع السابق ص113.

(63) وهو لبناني من طرابلس زار فلسطين سنة 1936م، وتعرف على الحاج أمين الحسيني (المفتي) وبعدها طلب منه أن يكون سكرتيراً خاصاً له. وقد صحب المفتي في رحلته إلى لبنان والعراق. حداد، المرجع السابق،

ص503 وقد خرج حداد من العراق بجواز سفر مزور، وأهم المطالب التي تقدم بها حداد إلى ألمانيا أن يتم الاعتراف باستقلال كل البلاد العربية الخاضعة للاستعمار وتتعهد ألمانيا بألا تنتقص من استقلال تلك الدول بأي نوع من الانتداب أو غيره، وتعترف بحق العرب في الوحدة والاعتراف بحق العرب في حل مشكلة اليهود حسب مصالحهم. وفي المقابل كانت ألمانيا تطالب بإعادة العلاقات الدبلوماسية بين العراق وألمانيا، وان يكون للمحور موقع اقتصادي ممتاز في العراق، وأن يحتفظ العراق بحياده وأن يتخذ الجيش العراقي التدابير اللازمة للمحافظة على آبار النفط، وإشعال الثورة في فلسطين. المرجع نفسه ص 24، 48.

(64) مذكرات المفتي، مجلة فلسطين. عدد 79، (أكتوبر 1967م)، ص52.

(65) حداد، المرجع السابق، ص 48 ت 54، هيرزوير، المرجع السابق، ص 131.

(66) شوكت، المرجع السابق ص 140 انظر الملحق رقم (6).

(67) عادل أرسلان: مذكرات الأمير عادل أرسلان (بيروت 1983م)، ج1، ص731.

(68) هيرزوير، المرجع السابق، ص132-137؛ حداد، المرجع السابق، ص80- 86. انظر الملحق رقم (7)، (8)،

(69) حداد، المرجع السابق، ص130؛ مذكرات المفتي، مجلة فلسطين : (العدد 80، نوفمبر 1967م)، ص20؛ أخبار اليوم 1957/11/30م، ص7.

(70) كان المفتي قد علم من الصباغ الذي علم بدوره عن خطة الهجوم البريطاني على إيران عندما دعي كمندوب عن الجيش العراقي لحضور اجتماع الحلفاء سنة 1940، وحاول المفتي إبلاغ السلطات الإيرانية ولكن لم تهتم بالأمر كثيراً. مذكرات المفتي : مجلة فلسطين، العدد 80 (نوفمبر 1967م) ص 16 - 17. الصباغ : المرجع السابق ص 140.

- ساعدت السلطات الوطنية السوفييتية المفتي على دخول تركيا نظراً لكراهيتها لبريطانيا وربما أملاً في كسب سمعة في الأوساط العربية. مارديني: المرجع السابق، ص140.

(71) مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 81 (ديسمبر 1968م) ص 24.

(72) المرجع نفسه. أخبار اليوم 5/ 12/ 1975م، ص 5.

(73) هيرزوير، المرجع السابق، ص 283 - 287.

(74) وعرفت هذه اللجنة أيضاً باسم حزب الأمة العربية، وبعد انتقال المفتي إلى العراق ضمت أعضاء جدداً مثل الكيلاني والعقداء الأربعة، وإن كان الصباغ وهيرزوير يعتقدون أن هذه اللجنة لم توجد إلا بعد انتقال المفتي إلى بغداد. وأعضاؤها هم المفتي والكيلاني والعقداء الأربعة ويونس السبعاوي وناجي شوكت. ولكن المفتي في مذكراته، لم يذكر شيئاً عن هذه اللجنة. الصباغ، المرجع السابق، ص28.

- هيرزوير، المرجع السابق، ص123، الحسيني، المرجع السابق، ص 101، 103. علي محافظة، المرجع السابق، ص 251.

(75) مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 182 (ديسمبر 1968 م)، ص 16.

(76) مذكرات المفتي : مجلة فلسطين، عدد 89 (أغسطس 1968م) ص14. أخبار اليوم، 1957/12/14م، ص 423، هيرزويز، المرجع السابق، ص 291. ويجدر التنويه بأن هذه المحاضر نشرت في كتاب: Watter . laquer

(77) ولم يذكر أي مصدر آخر مسألة تهديد المفتي هذه، وموقف المفتي الحقيقي وحاجته لألمانيا وعدم تنفيذه لتهديده يدل على ضعف الرواية. علي محافظة، المرجع السابق، ص 253.

(78) وينص اقتراح اللجنة على بقاء العراق والسعودية واليمن ومصر دولاً مستقلة وتتوحد سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن في سوريا الكبرى، ثم يقام اتحاد فيدرالي يضم سوريا والعراق، وتعطى الأولوية السياسية في هذه الأقطار لإيطاليا والأولوية العسكرية لألمانيا. علي محافظة: المرجع السابق، ص245. سلمان: المرجع السابق، شئون فلسطينية، العدد 31 (مارس 1974م) ص 103.

(79) الملك فيكتور أمانويل 1900 - 1946م.

(80) ويعود سبب الاستقبال البارد للمفتي في روما بسبب وضع المفتي غير الواضح من الناحية القانونية الرسمية أو لأن الإيطاليين كانوا يودون كسب عطف الكيلاني الذي كان على خلاف مع المفتي. هيرزوير: المرجع السابق، ص 293. مجلة فلسطين، عدد 86 (يونيه 1968م)، ص 10، 12.

(81) وهؤلاء العرب هم عادل أرسلان، وإسحاق درويش، وعزة دروزة، ومعين الماضي، وحسن سلامة، ومحمود أبو زيد. علي محافظة، المرجع السابق ص 255، مذكرات عادل أرسلان، ج 1 ص42، مذكرات دروزة، ج11 ص 141.

(82) علي محافظة، المرجع السابق، ص 256.

(83) مذكرات دروزة، ج 12 ص 87، علي محافظة، المرجع السابق، ص259، مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، عدد 91، 93 (أكتوبر ونوفمبر 1968م) ص 15، 16.

(84) علي محافظة، المرجع السابق ص 261، مذكرات المفتي، مجلة فلسطين العدد 88 (يوليو1968م) ص 11-13.

(85) وفريق المؤيدين للمفتي من الفلسطينيين والسوريين والمصريين، وأما فريق الكيلاني فيتألف معظمه من العراقيين. علي محافظة : المرجع السابق، ص 263، 264، مذكرات دروزة، ج 11، ص37.

(86) مذكرات عادل أرسلان، ج1، ص 380، 411. علي محافظة، المرجع السابق، ص 267، أكرم زعيتر، مقابلة شخصية، يناير 1990م، عمان.

* * *

الفصل الرابع: السياسة البريطانية خلال الحرب

* موقف بريطانيا من الحركة الوطنية.

* بريطانيا وتنفيذ الكتاب الأبيض.

* بداية تدخل الولايات المتحدة الأمريكية.

* * *

موقف بريطانيا من الحركة الوطنية

تميزت فلسطين منذ بداية الانتداب بأهميتها المتزايدة عند صناع السياسة البريطانية، ففلسطين تعتبر المنفذ الوحيد المؤهل لإيصال الإمداد البريطاني من الهند واليها عبر مصر أو الخليج العربي إذا ما تمكنت إيطاليا من حصار منافذ السويس في حالة الحرب. كما كانت فلسطين تشكل خط الدفاع الأول عن قناة السويس، ولهذا احتلت فلسطين مركزاً هاماً جداً في الإستراتيجية البريطانية سواء قبل الحرب العالمية الثانية أو خلالها.

لذلك فقد حرصت بريطانيا على أن تسير سياستها تجاه فلسطين في خط يضمن لها السيطرة على البلاد، فكان لابد أولاً من أن تعمل على وقف الاضطرابات، وكسب تأييد العرب الفعلي لها. فلم يكن هناك مناص أمام الحكومة البريطانية من اتباع سياسة الترضية مع العرب. فبدأت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه، عندما دعت إلى عقد مؤتمر لندن ذي الحجة 1357هـ (فبراير 1939م)، وامتصت به نوعاً من الغضب العربي المتزايد تجاهها. وأقحمت الدول العربية المجاورة في الحديث عن القضية الفلسطينية، ومهدت بذلك لإصدار الكتاب الأبيض في 28 ربيع أول 1358هـ (17مايو 1939). واعتبرت بريطانيا نفسها أنها قدمت حلاً مرضياً للعرب، وأصبح الكتاب الأبيض يمثل السياسة الرسمية البريطانية بشأن فلسطين سواء قبل به العرب واليهود أم رفضوه. ولكن عملية تنفيذ هذه السياسة كانت هي المحك لمصداقية الحكومة البريطانية.

ولما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية، أخذت بريطانيا توحي لكلا الطرفين العرب واليهود بأن الظروف المستجدة لا تسمح لها بتنفيذ سياسة الكتاب الأبيض، ولا بد من الصبر انتظاراً لانتهاء الصراع الدولي.

قضية المعتقلين والمبعدين:

كان على الحكومة البريطانية التي ترغب في كسب رضا العرب وضمان حيادهم، أن تتخذ عدداً من الإجراءات تظهر فيها حسن النية ورغبتها الحقيقية في إنصاف العرب. ولما كانت معتقلات فلسطين وسجونها تغص برجال الثورة الفلسطينية، كما كان عدد من زعمائهم يعيشون في المنفى في المستعمرات البريطانية، كان على بريطانيا أن تثبت صدق نواياها، بإطلاق المعتقلين، والعفو عن الزعماء المنفيين. فقامت بتخفيف وطأة الحكم. فألغت الأحكام

العرفية، وسمحت للكثيرين بالعودة إلى البلاد، وأغدقت الأموال والمناصب والامتيازات على مؤيديها من عرب فلسطين.(1)

ومسألة المعتقلين والمنفيين والسجناء الصادرة بحقهم أحكام بالإعدام، كل هذه كانت مسائل هامة تشغل بال الشعب الفلسطيني. لذلك رأت حكومة الانتداب ضرورة اتخاذ إجراءات من شأنها تحسين أحوال هؤلاء الناس. فأعدت قوائم للإفراج عن البعض، كما ألغت عقوبة الإعدام لمن كان يحمل السلاح. واستجابت لوساطات رجالات العرب وحكامهم من أجل إطلاق سراح بعض الزعماء، وعودة بعض المنفيين أو الهاربين إلى خارج البلاد.(2)

فالعرب يشكل عام، كانوا يعتبرون أن اتخاذ بريطانيا لهذا الإجراء دليل ملموس على حسن نية بريطانيا، وسيساعد العرب في اتخاذ جانب الحلفاء في الحرب. وفي 1359هـ (1940م)، أخذت سلطات الانتداب تخفف قبضتها شيئاً فشيئاً، فأطلقت سراح بعض المعتقلين في الداخل أو الموقوفين رهن المحاكمة وسمحت لبعض الهاربين خارج البلاد أو المنفيين بالعودة. ففي ذي الحجة 1358هـ (يناير 1940م)، سمحت الحكومة لثلاثة من زعماء عرب فلسطين بالعودة إلى فلسطين وهم: أحمد حلمي عبد الباقي، فؤاد سابا، ألفرد روك. وسمحت لهم باستئناف أعمالهم، وفي 1359هـ (1941م) أطلقت سراح رشيد الحاج إبراهيم، وعوني عبد الهادي، ويعقوب الغصين، وعادوا إلى فلسطين، وأما الدكتور حسين الخالدي فعاد إلى بلاده في 1361هـ (1942).(3)

ولكن في نفس الوقت شددت في موقفها من زعماء آخرين في المنفى مثل جمال الحسيني وأمين التميمي. وربما كان انتماء هؤلاء إلى الحزب العربي الذي يتزعمه الحاج أمين الحسيني، هو السبب وراء موقف بريطانيا المتشدد، إلى درجة أنها رفضت وساطة نوري السعيد إلا إذا أعلن جمال الحسيني إدانته لدول المحور، وبالطبع لم يكن ذلك أمراً ميسوراً، إذ لا يستطيع جمال الحسيني أن يتخلى عن المفتي زعيم الحركة الوطنية في فلسطين بلا منازع. وظلت بريطانيا على موقفها المتصلب إزاء جمال الحسيني ولم تطلق سراحه إلا عام 1364هـ (1945).(4)

فموقف بريطانيا الصلب كان مع أعضاء الحزب العربي فقط، في حين أنها تساهلت مع الأحزاب الأخرى، فسمحت لكثير من رؤسائها بالعودة إلى فلسطين. وذلك يعود إلى أن بريطانيا تنظر للحزب العربي الوطني كامتداد لنفوذ المفتي ويعتبر يده التي يحركها في الداخل، وكان الحزب العربي هو العمود الفقري للحركة الوطنية في فلسطين. لذلك لا تريد بريطانيا إعطاء المفتي وأعوانه هذه الفرصة بالسماح لزعماء الحزب بالعودة وممارسة النشاط. وحين سمحت بريطانيا للحزب بإعادة تنظيم نفسه في أواخر سنوات الحرب، كان في ذلك الوقت يفتقر إلى زعامة قوية تستعيد مكانته الشعبية وتأييد الجماهير له، لذلك سمحت له بالعودة وهي على يقين بأنها ستكون عودة هزيلة إلى الساحة السياسية.

السياسة البريطانية تجاه التمثيل الفلسطيني في محادثات الوحدة العربية:

عمدت بريطانيا وغيرها من دول أوربا الاستعمارية منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري)، إلى التهام البلاد العربية التي كانت جزءاً من الدولة العثمانية. وفي الحرب العالمية الأولى أخذت

بريطانيا وفرنسا بالتحديد تتقاسمان المشرق العربي في معاهدات سرية، وبذلك تعملان على تفتيت كلمة العرب، ووحدة بلادهم، واستمرتا على نفس المنوال في فترة ما بين الحربين. وفي أوائل الأربعينات من القرن العشرين أخذت تعلو بعض التصريحات البريطانية الداعية إلى دعم وتأييد أية حركة عربية وحدوية. هذا الاتجاه الحديث في السياسة البريطانية إزاء العالم العربي، أثار كوامن النفوس لدى زعماء العرب وشعوبهم. ولكن في الواقع أن عوامل خفية كانت وراء هذا التفكير المفاجئ، أولها: وأهمها هو ضمان كسب الحرب العالمية ضد دول المحور. وهذا الأمر يتطلب هدوء الجبهة الداخلية في مناطق الانتداب، والدول العربية الحليفة كالعراق ومصر. فالبلاد العربية تعتبر حلقة وصل هامة بين بريطانيا ومستعمراتها في آسيا، علاوة على منابع النفط في منطقة الخليج التي اكتشفت حديثاً والمنابع القديمة في العراق. وثانيها: أرادت بريطانيا أن تمتص روح الغضب التي عمت الرأي العام العربي ضد سياستها بشأن فلسطين وضد الحركة الوطنية في العراق، ممثلة في الإطاحة بحركة الكيلاني، وثالثها: أدركت بريطانيا أن الوقت قد حان لقيام الوحدة العربية، حيث بدأ بعض العرب التحرك في ذلك الاتجاه، وربما أرادت بريطانيا أن تسرع فترحب بتلك المشاعر أملاً في احتواء هذه الحركة حتى لا تكسر الطوق البريطاني حولها.(5)

ففي 4 جمادى الأولى عام 1360هـ (29مايو 1941م) ألقى وزير الخارجية البريطاني أنطوني إيدن (Antony Eden) خطبة في مجلس العموم جاء فيها: "لقد خطا العالم العربي خطوات كبيرة منذ مؤتمر الصلح في نهاية الحرب الأخيرة، ويرغب الكثيرون من المفكرين العرب في وحدة أكثر الدول العربية، ويأملون في مساعدتنا لإقامة هذه الوحدة بالروابط الاقتصادية والثقافية بين البلاد العربية، والروابط السياسية، وسوف تعطي حكومة جلالته من جهتها كل الدعم الممكن لكل فكرة تلقى استحساناً عاماً"(6). وعلى إثر ذلك تم تشكيل لجنة بريطانية لتقوم بدراسة خطط الوحدة العربية، فقد أصبح الحديث عن الوحدة في الدوائر البريطانية نمطاً سائداً بين الخبراء المتخصصين في الشرق الأوسط. ولكن هناك دائماً في الأوساط العربية من ينظر بعين الشك لهذا الاتجاه في السياسة البريطانية، ويعتبر أن بريطانيا لم تكن جادة ومخلصة في تشجيعها لهذه الوحدة العربية.(7)

ومن الجدير بالذكر أنه ليس من قبيل المصادفة، أن يصدر تصريح أنطوني إيدن في نفس اليوم الذي أطاح فيه الجيش البريطاني بحركة الكيلاني، بل ربما كانت عاملاً هاماً في التوقيت، ودافعاً رئيساً لإصدار التصريح، لامتصاص الاستياء الشعبي الذي أعقب ذلك. ولعل بريطانيا أرادت من ذلك قيام وحدة تتماشى مع أهدافها بعد أن أطيح بمناوئيها.

وبعد زوال الخطر النازي عن شمال أفريقيا، بعد انتصار الحلفاء في معركة العلمين في شوال 1361هـ (أكتوبر 1943)، صرح إيدن في مجلس العموم في صفر 1362هـ (فبراير 1943م)، في معرض إجابته عن سؤال خاص بالوحدة العربية قائلاً: "إن الحكومة تنظر بعين العطف لأية حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم، ولكن الخطوة الأولى لتحقيق أي مشروع يجب أن تأتي من جانب العرب أنفسهم، والذي أعرف أنه لم يوضع حتى الآن مثل هذا المشروع الذي سينال استحساناً عاماً".(8)

وهكذا أوحى إيدن لأصدقاء بريطانيا من العرب بالقيام بخطوات نحو الوحدة، بعد أن ألمح بأن الهيكل لها يجب أن يكون من تصميم عربي.

والتقط النحاس باشا الإشارة، ودعا الحكومات العربية لعقد اجتماع بغرض التشاور في الوحدة العربية. ويبدو أن الدور البريطاني أخذ يتضح في مسألة التمثيل الفلسطيني في الاجتماعات العربية. وبعد اختيار الزعماء الفلسطينيين، موسى العلمي مندوباً عن أهل فلسطين، توجه إلى القاهرة ووجد أن بريطانيا لا ترغب في وجوده، ولا ترى ضرورة لإقحام القضية الفلسطينية في المباحثات أو إعطائها أية عناية. لذا ضغطت السلطات البريطانية على الحكومة المصرية بألا تسمح للعلمي بحضور جلسات المؤتمر، وأن يقتصر الأمر على أن يتم دعوته إلى جلسة غير رسمية ليلقي فيها كلمته. ولكن موسى لم يرض بهذا الوضع فاتجه إلى مكتب الوزير البريطاني المقيم في القاهرة، ونجح موسى في أن يزيل هذا الاعتراض البريطاني.(9)

ولكن هذا النجاح الذي أصابه موسى العلمي، لم يرق لبريطانيا، ورأت فيه تحدياً لقرارها، وتدخلاً من قبل الجامعة العربية في شؤون فلسطين مما جعل بريطانيا في العام 1364هـ (1945م) وعند توقيع ميثاق الجامعة تستخدم نفوذها وتضغط على العرب، فصدر الملحق الخاص بفلسطين وبه شرط: «يتولى مجلس الجامعة اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله»(10). وهكذا يتضح مدى الهيمنة البريطانية على هذا المشروع الوحدوي، فهي كانت تراقب بحذر كل تحركات المشروع منذ بداية مولده، وإذا ما حاول الزمام أن يفلت من أيديها كانت تتدخل بشكل أقوى لجمع الخيوط مرة أخرى في يديها.

*　　*　　*

بريطانيا وتنفيذ الكتاب الأبيض

مدى التزام بريطانيا بتنفيذ بنود الكتاب الأبيض:

بعد صدور الكتاب الأبيض في 28ربيع أول 1358هـ (17مايو 1939م)، تم عرضه على مجلس العموم للتصويت وحاز الموافقة عليه. وبهذا أصبح ملزماً لبريطانيا من ناحية دستورية وقانونية، إضافة إلى أن الحكومة البريطانية تعهدت بشرفها بأنها ستسير في تنفيذه سواء قبله العرب واليهود أم رفضوه.(11)

وهكذا فمسألة تطبيق بنود الكتاب الأبيض لم ترتبط بالقبول به أم الرفض له. ولمعرفة مدى مصداقية بريطانيا في سياستها هذه يقتضي الأمر تتبع الإجراءات التي اتخذتها بغرض تنفيذ الكتاب الأبيض، ورحلة الكولونيل نيوكومب يمكن اعتبارها ضمن هذه الإجراءات.

مفاوضات الكولونيل نيوكومب (Colonels. Newcombe):

وهو كولونيل بريطاني متقاعد، سبق له أن عمل بالشرق الأوسط برفقة لورانس (Lawrence)، خلال الحرب العالمية الأولى وكان عضواً في مجلس العموم البريطاني، وعرف عنه اهتمامه بالعالم العربي، بشكل عام وبفلسطين بشكل خاص.(12)

ففي عام 1357هـ (1938م) جاء إلى فلسطين، كما زار بغداد ودمشق وبيروت، وحمل معه مشروعاً خاصاً بقضية فلسطين، ويعتبر مشابهاً في خطوطه العريضة للكتاب الأبيض الذي صدر في فترة لاحقة لهذه الزيارة، وقد ساد الاعتقاد بأن مشروعه يحظى بتأييد من الحكومة البريطانية والولايات المتحدة وبعض الصهيونيين المعتدلين، وقد قفل نيوكومب عائداً إلى لندن بعد هذه الزيارة بغرض وضع المشروع موضع التنفيذ ولكن الحكومة البريطانية أرجأت النظر فيه حتى يتم بحث نتائج تقرير لجنة وودهيد Wooodhead، ثم لم يرد لهذا المشروع بعد ذلك أي ذكر مما يؤكد
فشله (13).

ولكن نيوكومب ما لبث أن عاد إلى المنطقة في يوليو 1940م/ جمادى الثانية 1359هـ ليقوم بجولته الثانية. وقد تباينت الآراء بخصوص درجة تمثيله، فالبعض ذكر أنه جاء كممثل شخصي لوزير المستعمرات، بينما يذكر العلمي أنه جاء موفداً من قبل وزير الخارجية هاليفاكس Halifax، ولكن مصادر أخرى تذكر أنه قام بهذه الرحلة بمبادرة شخصية، وأنه عرض خدماته على وزارة المستعمرات كمتطوع. ويذكر نيوكومب نفسه أن نوري السعيد وجه له دعوة لزيارة الشرق الأوسط للتعرف على وجهات النظر العربية بخصوص الوحدة.(14) وعلى العموم فمهمة نيوكومب كانت محاطة بالغموض نظراً للسرية التي اتصفت بها، مما جعل البعض يعتقد أن نيوكومب كان جاسوساً جاء إلى المنطقة لسبر أغوارها، ويجس نبض الزعماء حول كيفية حل القضية الفلسطينية، والوحدة العربية، وذلك جزءاً من سياسة الترضية والتهدئة لخدمة الهدف الأكبر وهو تحقيق النصر في الحرب العالمية الثانية.(15)

وصل نيوكومب إلى الشرق الأوسط(16) في جمادى الثانية عام 1359هـ (يوليو 1940م)، واتجه في البداية إلى فلسطين، وحاول مع عزت طنوس الذي كانت تربطه به معرفة سابقة، أن يقنعه بمصاحبته إلى بغداد ليقنع طنوس بدوره المفتي بلقائه، ولكن طنوس اعتذر (17). فاتجه إلى بغداد بمفرده، واستطاع أن يحظى بمقابلة جمال الحسيني وموسى العلمي. وقد حضر هذا اللقاء كمراقبين كل من نوري السعيد ويوسف ياسين مندوباً عن الملك عبد العزيز، أما المفتي فرفض مقابلة نيوكومب، بل إن موسى العلمي يذكر أن المفتي اعترض حتى مقابلتهم هم، وهددهم بأن موقفهم هذا سيعرضهم للاغتيال. ولكنه ما لبث أن تراجع عن هذا الموقف، ويعلل ذلك التراجع بأن المفتي أدرك ضعف موقفه، فوافق على مضض أن يقابلوه. ويذكر المفتي في مذكراته أن نوري السعيد وجه له الدعوة لمقابلة نيوكومب، ولكنه لم يقابله. أما أكرم زعيتر فلم ينف، ولم يؤكد مقابلة المفتي لنيوكومب.(18) والمهم في الأمر هو ما دار في هذا اللقاء بين نيوكومب والشخصيات الفلسطينية. فقد أخذ نيوكومب يشرح لجمال الحسيني وموسى العلمي الأسس التي ستسير عليها السياسة البريطانية في فلسطين، والتي ستتخذ من الكتاب

الأبيض إطاراً لها، ثم أوضح نيوكومب الخطوط العريضة لهذه السياسة، وهي ذات ثلاثة اتجاهات، أولها: يبدأ بالتأكيد على عزم بريطانيا على تطبيق الكتاب الأبيض. وثانيها: العمل على تشجيع التعاون بين العرب واليهود على أساس سياسة الكتاب الأبيض. وثالثها: أن تحل مشكلة اللاجئين اليهود بعيداً عن فلسطين. ونجح نيوكومب بعد نقاش مستفيض مع الفلسطينيين في أن يصل معهم إلى اتفاق خطي يفيد بأن تتعهد بريطانيا بتنفيذ بنود الكتاب الأبيض بشكل كامل، ويتم تعديل بسيط في البند الخاص بالحكم الذاتي، يفيد بأن يبدأ على الفور بتنفيذ الشروط الدستورية، ولا داعي للانتظار لمدة خمس سنوات، كما ينص على ذلك الكتاب الأبيض، ويتم أيضاً العمل للعفو عن المعتقلين، وفي المقابل تتعهد الدول العربية واللجنة العربية العليا أن تقف إلى جانب الحلفاء في الحرب. وأنهى نيوكومب لقاءه معهم بأن طلب من جمال الحسيني وموسى العلمي أن يستعدا للسفر إلى فلسطين حتى يكون لهما دور عند إنشاء المؤسسات الوطنية التي ستدار ذاتياً من قبل الفلسطينيين حسب ما جاء في الكتاب الأبيض.(19)

وبعد أن انفض اللقاء، قابل نيوكومب رجال الصحافة في بغداد، وركز في حديثه معهم على أهمية المنطقة ككل في الاستراتيجية البريطانية والقائمة على تأمين طرق المواصلات للهند والشرق الأقصى. وأضاف أن السياسة البريطانية الحالية في فلسطين هي سياسة الكتاب الأبيض. وأشاد بأهمية الوحدة العربية نظراً لصعوبة التحديات التي تواجه العرب، والمتمثلة في الهجمات الصهيونية الإعلامية في الصحافة الأمريكية ضد العرب. ونصح العرب باتباع نفس الأسلوب واستخدام الصحافة. وقد لقي حديثه هذا ترحيباً كبيراً لدى الصحفيين. ثم غادر نيوكومب بغداد بعد ذلك واتجه إلى القدس، ويذكر المندوب السامي في فلسطين عند لقائه بنيوكومب بعد عودته من بغداد أنه أكد له بأنه لم يحاول أن يجتمع بأية شخصية سياسية في بغداد، وفقاً لما نصحه به. ولكن يمكن أن نفهم سبب إخفاء نيوكومب لمحادثاته مع بعض السياسيين العرب في بغداد عن المندوب السامي، لأن المندوب السامي نصحه بعدم الاتصال بشخصيات عربية محددة. ثم رحل نيوكومب إلى القاهرة، ومن هناك بعث برسالة سرية إلى عوني عبد الهادي في القدس، ولم يعلم المندوب السامي أي شيء بشأنها. وقد أراد نيوكومب أن يحصل من عوني عبد الهادي على موافقة خطية على الكتاب الأبيض. وبالفعل بعث عوني له بهذه الموافقة. وفجأة استدعي نيوكومب إلى لندن، نظراً لأن الحكومة البريطانية قد وصلتها برقية مختصرة تفيد أن محادثاته تضمنت عدداً من التنازلات البريطانية بشكل يفوق المطالب المتشددة التي طالب العرب بها من قبل، فاعتبروا أن نيوكومب قد خرج عن الخط، فتم استدعائه ومنعه من العودة إلى العراق.(20) وهكذا فشلت مهمة نيوكومب فشلاً ذريعاً، فلم يستجد شيء في السياسة البريطانية، وذهبت وعود نيوكومب أدراج الرياح. وقد تعددت الأسباب لهذا الفشل فهناك من يرجع فشل نيوكومب إلى أنه لم يكن مفوضاً أصلاً أي لا يملك صلاحيات للدخول في معاهدات باسم حكومته. والبعض يرى أن سقوط وزارة تشمبرلين التي أتت بالكتاب الأبيض كان سبباً هاماً لإفشال مهمة نيوكومب التي تعتمد في هيكلها الرئيسي على الكتاب الأبيض، وجاءت بعدها وزارة تشرشل Churchill، الذي عرف بعدائه ومعارضته للكتاب الأبيض منذ كان وزيراً في الوزارة السابقة.(21)

ونعتقد أن غموض وسرية مهمة نيوكومب تجعل من الصعب تحديد سبباً لفشل مهمته بشكل عام. فهناك تناقض في تقييم وضع نيوكومب فالوثائق البريطانية تعتبرها مهمة غير رسمية وأنها مجرد رحلة قام بها شخص له معرفة عميقة بالمنطقة، وبصفة شخصية بدون أن يحمل أي تفويض رسمي (22). بينما نظر إليها زعماء العرب بشكل مغاير: فمثلاً نوري السعيد اعتبر نيوكومب ممثلاً لحكومته جاء لإزالة العائق الذي يمنع العرب من مساعدة الحلفاء، ولهذا حرص على مساندته بشدة على أمل أن تنجح مهمته. أما موسى العلمي وعزت طنوس فيتفقان مع نوري السعيد في اعتبار نيوكومب صديقاً بريطانياً جاء لمساعدتهم، ولكن حكومته لم تساند مهمته. كما اعتبره بعض العرب جاسوساً بريطانياً في ثوب جديد جاء ليجس النبض في المنطقة وحمل معه مسودات مشروع، لكنه في الحقيقة أراد أن يتعرف على الاتجاهات السائدة بين العرب.(23)

فصلاح الدين الصباغ يصف رحلته بقوله: «جاء نيوكومب ليجتمع بنوري السعيد وجميل المدفعي وجودت الأيوبي والأمير عبد الإله سراً لا ليجتمع برئيس الوزراء الكيلاني، وقد أقيمت على شرفه الحفلات ولم يبق جاسوس لم يدع إليها. وقد عاد نيوكومب بعد أن زود الجواسيس بتعليمات سرية(24). ويتفق أكرم زعيتر أيضا مع هؤلاء في أن نيوكومب يمكن أن يكون مجرد جاسوس وليس مبعوثاً سياسياً.(25)

ومن الصعب في الحقيقة تقييم رحلة نيوكومب، ولكن نستطيع أن نقول إنها ورقة من أوراق الحكومة البريطانية أرادت أن تستخدمها لتتعرف بشكل سري ومباشر على موقف العرب من سياستها، ولهذا كان على نيوكومب إذا أراد أن يحقق هذا الهدف أن يقدم طعماً للعرب ليقبلوا بالمناقشة معه وحين تم للحكومة البريطانية ما أرادت تحقيقه، استطاعت أن تتنصل بسهولة من مهمة نيوكومب، دون أن تثير ضجة بين العرب، لأنه أحاط نفسه بسياج من السرية، وبذلك استطاع أن يحفظ ماء الوجه بالنسبة للحكومة البريطانية من ناحية، ولأصدقائها من الزعماء العرب من ناحية أخرى.

تنفيذ بنود الكتاب الأبيض:

للتأكيد من مدى مصداقية بريطانيا في سياستها المعلنة الخاصة بالكتاب الأبيض، يقتضي الأمر تتبع الإجراءات التي اتخذتها السلطات الحكومية بغرض تطبيق نصوص الكتاب على أرض الواقع ليصبح سياسة حكومة الانتداب في فلسطين.

أولاً _ الهجرة:

وفقاً للبند الخاص بها في الكتاب الأبيض، تستمر الهجرة خمس سنوات يسمح خلالها بدخول خمسة وسبعين ألف مهاجر، بمعدل عشرة آلاف شخص كل عام. وان حدث نقص يتم التعويض بإضافة العدد المتبقي للسنوات التالية. ثم يسمح بدخول خمسة وعشرين ألفاً دفعة واحدة حتى يكتمل العدد المسموح به، شرط أن تتحمل الوكالة اليهودية

كافة التكاليف. وتم تحديد الفترة اللازمة لاكتمال العدد وتبدأ من صفر 1358هـ (أول أبريل 1939م). وتنتهي بشهر ربيع الثاني 1363هـ (بنهاية مارس 1944)(26).

والهجرة اليهودية عامل رئيسي لتطور المشروع الصهيوني، لأنها تشكل قوة الدفع الرئيسية للحركة الصهيونية بشكل كامل. وارتبطت الهجرة بالسياسة التي رسمتها بريطانيا نحو فلسطين منذ بداية الانتداب، وسخرت لها عدداً من القوانين التي تساعد على استمرارها وضربت باعتراض العرب عرض الحائط.

فالقانون الرئيسي للهجرة صدر في 1351هـ (1933م). وتم تعديله حسب المستجدات واستمر العمل به حتى عام 1358هـ (1939م). ثم جرى تعديل بعض فقراته تمهيداً لإصدار قوانين الكتاب الأبيض. واستمر العمل به بعد التعديل حتى 1940م /1359هـ/. ثم صدر قانون الهجرة (رقم خمسة) والذي قصد به أن يكون ممثلاً روح الكتاب الأبيض في بنده الخاص بالهجرة.

فهذا القانون يقضي بتوحيد جميع التشريعات الخاصة بالهجرة. وقد صدر هذا القانون بأمر من المندوب السامي بعد أن أخذ موافقة المجلس الاستشاري. وبناء على هذا القانون قررت الحكومة عدم تسهيل أية هجرة يهودية من ألمانيا أو الأراضي التي تحتلها القوات النازية، ولكن يتم التساهل مع الذين يحملون شهادات هجرة ممن تمكن من مغادرة ألمانيا في بداية الحرب. وللتحقق من تنفيذ هذا القانون، تم إرسال ضابط من مصلحة الهجرة إلى منطقة الحدود مع إيطاليا حتى يقوم باستجواب للأشخاص الذين يحملون شهادات هجرة وحتى يُعد ترتيبات سفرهم إلى فلسطين. كما نص القانون أيضاً على التوسع في تفسير لفظة «معال»، والتي كانت محصورة في السابق بأشخاص معينين من الأقارب ولكن الآن وطبقاً للقانون، أصبح هذا اللفظ مطلقاً لكل قريب مهاجر أو قريب دائم. كما أعطى القانون سلطات متزايدة للمندوب السامي، فكان يحق له إصدار أوامر باستثناء أي صنف من الأشخاص من أحكام هذا القانون.(27)

كما أصبح للمندوب الحق في منع من لا يريد من العمال العرب من دخول البلاد دون قيد ولا شرط ولو توفرت فيهم شروط الهجرة. كذلك يحق لمأمور الهجرة والقنصل البريطاني وضابط الجوازات سلطة تحديد ووضع الشروط التي يستصوبونها في منح الأذن للاجئين اليهود لدخول فلسطين. كما تم زيادة عقوبة الحبس لمدة لا تزيد عن ثماني سنوات كما زيدت الغرامة إلى ألف جنيه فلسطيني للهجرة غير الشرعية.(28)

ويتضح من هذا القانون الذي سنته السلطات البريطانية بغرض تحديد الهجرة كما يلزمها الكتاب الأبيض، أنه لم يقدم أية خطوة إيجابية في حظر الهجرة، لأنه كان في ظاهره تعقيد لقوانين الهجرة اليهودية، وفي باطنه تعدد في فتح الأبواب أمام المهاجرين اليهود إلى فلسطين، ولكن بطرق ملتوية يصعب على العرب والإنسان العادي اكتشافها.

ومما يؤكد على عدم جدية هذا القانون أن المندوب السامي غض النظر عن التجاوزات التي تخرق القانون، ففي عام 1359هـ (1940) سمح بهجرة زوجات وأطفال المهاجرين الشرعيين المقيمين في فلسطين والمقيمين العائدين،

وفي رجب/ أغسطس/ من نفس العام سمح للأطفال حتى سن الخامسة عشر وسمح للاجئين المتميزين والذين ترى الوكالة اليهودية أنهم يستحقون معاملة خاصة.(29)

وقد تم إرسال قوائم بأسماء زوجات وأطفال المقيمين والعائدين عن طريق ضابط الجوازات في تركيا، وتم إرسال عدد كبير من شهادات الهجرة الضرورية بواسطة الوكالة اليهودية مباشرة إلى اليهود في أوروبا.

وبالرغم من هذا كله فان الهجرة اليهودية لم تتم كما هو مخطط لها. فقد كان هناك نقص في معدلات الهجرة. فكان هناك عدد كبير من المهاجرين المهربين، فقد نجح البعض من وقت لآخر بالهروب عبر البلقان إلي تركيا عن طريق الرشاوى أو بمساعدة أفراد حركات المقاومة السرية، وخلال السنوات الأولى من الحرب كانت عمليات التهريب للاجئين تخضع للمنع العام. وفي عام 1361هـ/ 1942م/ ولوجود أخطار كبيرة قد يتعرض لها المهاجرون فيما لو أجبرتهم السلطات التركية على العودة إلى أوروبا، فأمرت الحكومة ضابط الجوازات البريطاني في تركيا بمنح تأشيرات هجرة إلى فلسطين لأي يهودي يصل تركيا من أوروبا بعد موافقة سلطات الأمن.(30)

فالتسهيلات التي تقدمها السلطات البريطانية لتشجيع الهجرة، أكبر دليل على أن هذا هو الموقف البريطاني الحقيقي من مسألة الهجرة وليس القانون المانع الذي تم إصداره للإيحاء بأن بريطانيا تسير فعلاً في خطوات تنفيذ الكتاب الأبيض. والهجرة اليهودية ذات شقين، الهجرة المنظمة التي يتم الترتيب والإعداد لها وتتم تحت سمع وبصر الحكومة وبموافقتها وهي التي تصرف لها شهادات، والأخرى الهجرة غير الشرعية، بمعنى الهجرة التي لا تتفق مع القوانين، وتتم بالتهريب، وبالتالي لا تظهر في السجل الإحصائي ولا يمكن تحديد أرقامها بدقة. وهذه الهجرة أشد فتكاً وأسوأ عاقبة، فهي عامل قوي من عوامل القلق والخوف للعرب، وسبب مهم من أسباب الاضطراب السياسية والاقتصادية في البلاد، وتأتي إما عن طريق البحر، أو باستقرار بعض السياح وعدم عودتهم، أو بتزوير شهادات الهجرة.(31)

وقد أشار الكتاب الأبيض لهذه الهجرة مما يدل على أن الحكومة البريطانية تعترف رسمياً بأن اليهود يدخلون إلى فلسطين بطرق غير رسمية، وهذا يظهر عجزها كسلطة حكومية. وقد نص الكتاب الأبيض بأن الحكومة مصممة على إيقاف هذه الهجرة واحتوى قانون 1360هـ (1941)، عقوبات رادعة لها.

وكان معظم المهاجرين غير الشرعيين يأتون من وسط أوروبا نتيجة لتدهور أحوال اليهود في تلك المناطق، وخوفاً من وقوعهم في أيدي النازية، فأصبحوا يصعدون بطرق غير رسمية على ظهر السفن المتجهة إلى فلسطين أو يستأجرون السفن الصغيرة (32). فقد بلغ عدد المهاجرين غير الشرعيين خلال ثمانية عشر شهراً من 1358هـ (1939) حتى ربيع الثاني 1259هـ (مايو 1940) حوالي 28.000 مما أدى إلى استياء العرب وفسروا ذلك بعجز الإدارة البريطانية وعدم رغبتها في تحديد الهجرة أو وقفها، وأنها تتغاضى عن انتهاك القوانين التي وضعتها بنفسها.

ولكن بعد أن استمرت عجلة الحرب بالدوران بشكل أكبر تشددت بريطانيا في محاربتها للهجرة غير الشرعية. فبعد احتلال ألمانيا وسط أوروبا، أخذت بريطانيا تنظر بحذر للمهاجرين الذين لا يحملون شهادات هجرة ويتوافدون من

مناطق سيطرت عليها النازية، مما جعل من السهولة بمكان في هذه الأحوال دس أكبر عدد من الجواسيس. لذلك قضت بريطانيا بعدم السماح للاجئين بالنزول في فلسطين، ولابد من احتجازهم وبعثهم إلى مستعمرات بريطانية أخرى، بعد أن ازدحمت معسكرات الحكومة بهم، وتم إضافة مبنى آخر لهم كسجن إضافي. وكإجراء وقائي اتخذته السلطات البريطانية، تم إرسال ضباط شرطة إلى موانئ ركوب هؤلاء المهاجرين في كل من إيطاليا واليونان، بالاتفاق مع السلطات، لترتيب عمليات الإشراف على سفرهم ومنع تسلل أي مهاجر غير شرعي، ولمنع المراكب الصغيرة التي تحمل غالباً مهاجرين غير شرعيين من التسلل للسواحل الفلسطينية. كما صدرت الأوامر لشرطة الحراسة بإطلاق النار على البواخر التي ترفض الوقوف أو الإذعان لأوامرهم.

وقد انتقدت الصهيونية هذه السياسة البريطانية المضادة للهجرة غير الشرعية، ومما زاد الأمور تأزماً حادثة السفينتين (باتريا) 1360 هـ (1941) و(ستروما) 1361هـ (1942) وسبب كلا الحادثتين يعود إلى أن السلطات البريطانية رفضت السماح لركاب كل من هاتين السفينتين بالنزول إلى فلسطين. فقررت العصابات الصهيونية استغلال الموقف وقامت بتفجير السفينتين، ونتج عن ذلك وفاة عدد كبير من اليهود الذين كانوا على ظهر السفينتين، وادعت أن ركاب السفينتين قاموا بعملية انتحار جماعي كنوع من الاحتجاج على التعنت البريطاني، مما أدى إلى نوع من الارتباك في الدوائر البريطانية، وعقد مجلس الحرب اجتماعاً لمناقشة هذه الهجرة وظهرت انتقادات لسياسة الإبعاد للجزر البريطانية واعتبر إجراء قاسياً جداً، ونتيجة لكل هذه الضجة سمح لمن بقي على الحياة من ركاب السفينتين بالبقاء في فلسطين، واعتبر هذا الإجراء استثنائياً وسوف تستأنف السياسة السابقة.(33)

ولكن هذا التساهل من قبل الحكومة البريطانية أثار القائد البريطاني ويفل (wavell)، باعتبار أنه سيزيد من حنق العرب على بريطانيا وسيعتبرون تلك السياسة خضوعاً للضغط الصهيوني، وهكذا نجح اليهود في تحدى قرارات بريطانيا.(34)

وأما غرض الصهيونية من تشجيع هذه الهجرة غير الشرعية فهو معروف، خاصة وأنها تحرص على أن تغلب على هذه الهجرة العناصر الشابة توقعاً منها للدور الذي سيقومون به عند إقامة دولتهم. وهذا ما يدل على أن الدافع السياسي، كان له المكان الأول في تشجيع الهجرة غير الشرعية لا الدافع الإنساني كما كانوا يزعمون وجولدا مائير تقول: «إن أهم طلب للصهيونية خلال الحرب كان إنقاذ العدد الأكبر من اليهود الهاربين من النازية»(35) بينما ثبت عكس ذلك بدليل أن هذه الهجرة منتقاة وليست تلقائية.(36)

وحتى تتخلص بريطانيا من الانتقادات التي توجه لها بشأن سياستها في تحديد الهجرة إلى فلسطين دعت بريطانيا في 1361هـ (1942م) إلى عقد مؤتمر أنجلو أمريكي، برعاية اللجنة الدولية المشتركة لبحث شؤون اللاجئين اليهود (37)، لأن بريطانيا لم تكن تريد إثارة العرب عليها بنقضها لسياسة الهجرة، فأرادت بهذا المؤتمر أن تبرهن لكلا الطرفين العرب واليهود بأنها لم تتخل عنهم، فالعرب سيشعرون بأن بريطانيا لم تنقض سياسة الهجرة، واليهود يشعرون باهتمامهم بهم وأنها لم تتخل عنهم، وحاولت بريطانيا في هذا المؤتمر أن تعمل على توفير ملجأ آخر يتجه له اليهود غير فلسطين ولكنها أخفقت واقتصرت مساهمتها على الدعم المالي مناصفة مع الولايات المتحدة

الأمريكية، والذي قدم بالتالي للجنة الدولية المشتركة لشؤون اللاجئين التي ستوفر بهذه الأموال الطعام والملابس لليهود عن طريق الصليب الأحمر الدولي.(38)

وعندما تحسن موقف بريطانيا الحربي بعد 1361 هـ (1942م) أعلن وزير الخارجية البريطاني في 1362هـ (1943م)، أنه بناء على سياسة الكتاب الأبيض، كان من المفروض أن يدخل فلسطين حتى 1363/3/19هـ (31مارس 1944م) خمسة وسبعون ألف مهاجر، والواقع أنه حتى 1362/11/2هـ (30 سبتمبر 19431م)، بلغ عدد المهاجرين الفعلي ثلاثة وأربعين ألفاً وتسعمائة واثنين وعشرون، وحسب الجدول رقم (1) بلغوا أربعين ألف واثني عشر مهاجراً. وعموماً فالفرق غير شاسع بين الرقمين وأما عدد المهاجرين غير الشرعيين فهو تسعة عشر ألفاً وتسعمائة وخمسة وستون، وحسب نفس الجدول تسعة عشر ألفاً وخمسة مهاجرين. وبناء على ذلك فالعدد المطلوب دخوله من المهاجرين اليهود حتى التاريخ المحدد وحتى يكتمل العدد بناء على نص الكتاب الأبيض، هو حوالي واحد وثلاثون ألفاً أو ستة عشر ألفاً(39). وبعد دراسة عميقة قررت الحكومة البريطانية أنه من غير العدل إغلاق أبواب فلسطين أمام المهاجرين اليهود على أساس عامل الزمن، ولن تدخر بريطانيا جهداً في تسهيل وصولهم، بمعنى أنها ستسمح بكامل حصة المهاجرين حتى لو استدعى الأمر تحديد الموعد النهائي إلى ما بعد ربيع الثاني 1363 هـ (أبريل 1944م).

الجدول رقم (1)

عدد المهاجرين الذين دخلوا إلى فلسطين خلال الحرب

السنوات	الهجرة الشرعية	الهجرة غير الشرعية
1939م	8617	10289
1940م	4547	6276
1941م	3647	1894
1942 م	2194	1000
1943م	8507	-
1944م	12500	-
المجموع	40012	90051 (40)

بدون المساس بالمبدأ الأساسي سيظل الكتاب الأبيض ساري المفعول، وسوف تتوقف الهجرة بعد اكتمال العدد.(41)

وهذا الإعلان قد أتاح لبريطانيا الفرصة في أن تتنصل من تعهدها بتنفيذ ما نص عليه الكتاب الأبيض، الذي كان يحتم عليها غلق أبواب فلسطين في 1363/3/19هـ (1944/3/31م)، وتعلن إلغاء الكتاب الأبيض. وهذا الحل جعلها عملية تمديد زمنية لمدة تنفيذ بنود الكتاب الأبيض، وهذا مما يسهل على الحكومة البريطانية التنصل من التبعية فالقرار في حقيقته لا يثبت الكتاب ولا يلغيه.(42)

فهو عبارة عن عملية تسويف وتمييع جديدة تمارسها السياسة البريطانية كعادتها للتهرب من مواجهة الموقف المفروض عليها. فالصهيونية حركت كل إمكاناتها في تحقيق الهدف المنشود، وهو سرعة إقامة الوطن القومي، والذي تحول بعد مؤتمر بلتيمور biltmore 1361هـ (1942م)، صراحة إلى الدولة اليهودية. فالصهيونية ضغطت على الشباب اليهودي لإجبارهم على الهجرة على غير رغبة منهم، وربطت الصهيونية بين الهجرة ومفهوم الدولة، بغرض حث الشباب اليهودي بشكل أكبر على الهجرة، لأن الهدف الرئيسي للهجرة إقامة دولة مستقلة لهم تجعل اليهودي راغباً في المجيء إلى فلسطين أكثر من مجرد هجرة تقليدية، وهذا مما يؤكد أن الهدف السياسي هو المحرك الأساسي للصهيونية.

وفي جمادى الأولى 1363هـ (مايو 1944)، وافق وزير الخارجية على تعديلات لاقتراحات تقدمت بها الوكالة اليهودية بخصوص الهجرة، وتنص على أن يتم السماح لأكثر من ألف وخمسمائة مهاجر بدخول فلسطين في الشهر الواحد، اعتباراً من أول أكتوبر، ووافق على إصدار ثلاثة آلاف شهادة هجرة إضافية من أول صفر 1358هـ (أبريل 1939م) حتى محرم 1364هـ (ديسمبر 1945م) فيصبح المجموع الكلي للمهاجرين اليهود الذين دخلوا فلسطين حوالي خمسة وسبعين ألفاً وواحد وثلاثين ما بين شرعيين وغير شرعيين.(43) وهذا يدل على أن العدد الذي حدده الكتاب الأبيض من المهاجرين تم إدخاله بالكامل حتى بداية 1365هـ (نهاية 1945م) وتم وضع ترتيبات جديدة تضمن استمرار الهجرة اليهودية بمعدل لا يزيد عن ألف وخمسمائة في الشهر، دون الرجوع إلى أخذ موافقة عرب فلسطين كما نص على ذلك الكتاب الأبيض.(44)

ثانياً _ الأراضي:

لقد نص الكتاب الأبيض بخصوص هذا البند على ما يلي: «إن الحاجة تدعو إلى وضع قيود على انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود» إذا كان يراد الاحتفاظ للمزارعين العرب بمستوى معيشتهم الحالي، والحيلولة دون تكوين جماعة كبيرة من العرب لا أراضي لهم. وبالنظر إلى هذه الظروف سيمنح المندوب السامي سلطات عامة تخوله منع وتنظيم انتقال الأراضي، وسيبدأ العمل بهذه السلطات من تاريخ نشر هذا البيان.(45)

فالأراضي هي العنصر الأساسي الثاني اللازم لإنشاء الوطن القومي اليهودي، ومنذ بداية الانتداب حرصت الحكومة على أن ينص صك الانتداب على عدد من المواد(46) لصالح اليهود، فأصبح دستور فلسطين يحوي طرقاً

ومعابر يسلكها المندوب السامي البريطاني للاستيلاء على الأراضي العربية ومنحها لليهود (47). لذلك سنت القوانين الخاصة بالأراضي بناء على هذه الروح السائدة في صك الانتداب، فحرصت القوانين على ألا تترك شيئاً دون أن تستخلص منه ما يفيد الصهيونية، ولم تلتفت لشكاوى العرب والأضرار التي تصيبهم نتيجة لذلك.

ولكن بعد صدور الكتاب الأبيض الذي أقر بالضرر الواقع على العرب من جراء السياسة السابقة، كان على الحكومة أن تسارع بتنفيذه واتخاذ ما يلزم لذلك.. وكانت أهم خطوة بالنسبة لتطبيق الكتاب الأبيض بشكل واقعي ومحلي ليحقق أغراضه أن صدر قانون تنظيم الأراضي في محرم 1359هـ (فبراير 1940م) والذي نص على تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق:

1- المنطقة الأولى (أ):

يمنع انتقال الأراضي فيها إلا ليد عربي فلسطيني، ويستثني إلا في حالات تنفيذ حكم قضائي أو أمر سداد رهن تم تنفيذه أو تسجيله قبل 29ربيع الأول 1358هـ (18 مايو 1939م) أو حل موعده قبل 20محرم 1359هـ (28فبراير 1940م) وبموافقة المندوب السامي أو في الحالات التي تعود فيها ملكية الأراضي لشخص فلسطيني عربي.

2- المنطقة الثانية (ب):

يمنع فيها انتقال الأراضي التي يملكها الفلسطينيون العرب إلى غيرهم أي اليهود إلا بموافقة المندوب السامي أو في حالة وجود رهن أو حكم قضائي كالسابق.

3 - المنطقة الثالثة (ج):

هي القطاع الحر والتي لم تعترض فيها أي قيود على انتقال الأراضي(48).

تشمل المنطقة (أ) القسم الجبلي الداخلي والجليل الغربي وجزء من منطقة غزة ومنطقة (ب) تشمل الحولة وسهل بيسان ومرج ابن عامر ومنطقة (ج) تشمل السهل الساحلي بين يافا وحيفا وبين حيفا وعكا، وجزءاً من السهل الساحلي بين يافا وغزة، وكانت مساحات القطاعات المختلفة كالآتي:

المساحة بالنسبة لمساحة فلسطين:

القطاع (أ) 16.680كم2 ، 63.4 %

القطاع(ب) 8.348 كم2 ، 31.4 %

القطاع (ج) 1.292 كم2 ، 5%

ومن الملاحظ أن المشروع أعطى المندوب السامي كثيراً من الصلاحيات، ففي المنطقة (ب) التي تسمح لانتقال الأراضي بأمر من المندوب السامي ووفقاً لشروط معينة مثلاً من أجل توحيد أو تسهيل ري ممتلكات من قبل المشتري على أن تكون الأرض مجاورة لأملاك ذلك المشتري، أو لغرض تقسيم قطعة أرض مملوكة بحصص غير قابلة للتقسيم لكل من البائع والمشتري، أو لدعم مشروع تنمية يحقق المصلحة المشتركة للعرب واليهود، بشرط أن يكون المشروع قد حصل على موافقة الحكومة.

وتتم عملية تقديم الطلبات للحصول على تصريح نقل الملكية في القطاع (أ) و (ب) بواسطة مفوض المقاطعة التي تقع فيها الأرض، وبعد دراسة الطلب، يرفع إلى المندوب السامي وقبل عرضه عليه تتم مناقشة الطلب من قبل لجنة إشراف(49). وتتم دراسته للتأكد من مطابقة القانون ثم تقدم اللجنة رأيها للمندوب الذي يسجل قراره النهائي. وقد اعتبر هذا القانون نافذ المفعول من ربيع أول 1358هـ (مايو 1939م)(50)، والقانون السابق الصادر من الحكومة الاستعمارية في فلسطين، كان يحمل في طياته كثيراً من الأهداف والمقاصد غير ما هو معلن، فقد أريد به تنفيذ بنود الكتاب الأبيض، بينما اعتبر أنه حركة التفاف سياسية لتهدئة الهياج العربي حول البنود الدستورية التي لقيت معارضة من الانتداب نفسه، كما كان المندوب السامي يريد أن تظهر سياسة الحكومة معتدلة وغير منحازة، وحتى يطمئن العرب بأن حقوقهم لن تجمد فيحدث هدوء في صفوف العرب وتمكن بريطانيا من إحراز النصر.(51)

واعتبرت هذه الأنظمة الخاصة بالأراضي رمزاً لنوايا بريطانيا بشأن تطبيقها للكتاب الأبيض، ولأن تأثير ذلك ليس على عرب فلسطين فحسب بل على العالم العربي بشكل كامل عند تقريرهم لدرجة ومستوى صداقتهم مع بريطانيا العظمى، إضافة إلى أن هذه القوانين تعتبر استجابة لتقارير اللجان التي ما فتئت تطالب بوضع حد لعملية انتقال الأراضي. وأدركت الحكومة البريطانية أن مسألة تجاهل تحذيرات اللجان سيؤدي إلى مشاكل اقتصادية جمة تنتج عنها مشاكل سياسية أكبر. ولكن(52) هذا القانون الذي نظرت له سلطة الانتداب كهدية تقدمه للعرب وتظهر به حسن نواياها، لم يسلم من الانتقادات بل واجه معارضة تمثلت بشكل أكبر في الجانب اليهودي. ففي بداية الأمر وبعد نشر القانون رحبت به معظم الصحف العربية، وعلقت عليه صحيفة فلسطين بقولها: «إنه سيقضي على المضطربات في الأراضي ويوقف نشاط طبقة الأفندية التي استبعدت الفلاحين، وسلبت منهم وسيلة معيشتهم من خلال بيع الأراضي دون علمهم»(53).. ولكن لم تستمر هذه الروح الإيجابية إزاء هذا القانون، فقد ظهر تعليقان من دوائر عربية مطلعة تذكر بأن تفاصيل القانون وضعت بشكل يطابق مبادئ التقسيم الذي ربما ستعود إليه السياسة البريطانية، والتعليق الآخر يقول بمجرد سيطرة اليهود على الساحل، سوف يتوقف المهاجرون غير الشرعيين على البلاد حسب رغبة اليهود دون أن تتمكن الحكومة من تحريك ساكن.(54) وهذه التعليقات الصادرة من الجانب العربي تظهر أن العرب لم ينخدعوا بالأنظمة ويتفاءلوا بها، وأن شكوكهم لا تزال قائمة، وبريطانيا لم تظهر حتى الآن دليلاً على حسن نواياها.

هذا بالنسبة إلى العرب الذين من المفروض أن يكون القانون لصالحهم، فكيف اليهود الذين عارضوا من البداية إصدار أي قانون يقف حجر عثرة أمام استيلائهم على الأراضي، والمعارضة أيضاً «جاءت من بعض رجال الحكومة البريطانية مثل تشرشل (CHURCHILL) الذي سجل اعتراضه قبل أن يصدر القانون، ورأى أنه: «سيؤدي إلى قيام معسكرات يهودية مغلقة داخل الأراضي الفلسطينية، وأن هذه الأنظمة كانت لطمة للجهود اليهودية التي أدت إلى ازدهار الصحراء».(55)

وأدى الأمر أن يقوم وزير المستعمرات في اجتماع لمجلس الحرب في 1358/12/1هـ (11يناير 1940م) بشرح الأسس التي تتطلبها فرض مثل هذا القانون، مع إيضاح مدى مصلحة بريطانيا منه، فاعتبر أن فرض مثل هذا

القانون، قد تأخر كثيراً بل وأضاف أن هذا القانون قد يخدم الأهداف الصهيونية، لأنه سيساعد على تنفيذ اقتراح تقسيم فلسطين، بواسطة تركيز المستوطنات اليهودية في مناطق واسعة، مما يعقد حل مشكلة فلسطين حلاً نهائياً على أسس فيدرالية، فيرى أنه الحل الذي يجب أن يتم العمل من أجله خلال الفترة الانتقالية التي حددها الكتاب الأبيض، وأوضح أنه إذا ما تم تعليق هذه الأنظمة كرد فعل على حملة الإثارة اليهودية، سوف تعتبر الدليل النهائي على عدم إمكانية الاعتماد على بريطانيا في مواصلة التزامها نحو العرب.(56)

وفي الحقيقة أن هذه الأنظمة التي فرضت كإجراءات تنفيذية لبنود الكتاب الأبيض، عند التدقيق فيها وتمحيصها يظهر أنها لم تكن حازمة، ومفيدة بدرجة كبيرة، وهي في حقيقتها تحديد جزئي وبسيط يظهر لأول مرة لعملية انتقال الأراضي من يد العرب إلى اليهود والتي كانت تمارس منذ بداية الانتداب وبحدود واسعة.

وكدليل قاطع على عدم صدق نوايا السلطات البريطانية في سعيها لتنفيذ الكتاب الأبيض، فقد تم فرض قانون جديد للأراضي عام 1361هـ (1943م) (استملاكها للغابات العامة).. وهذا القانون يشمل كل أرض في الدولة تحتاجها الحكومة أو السلطات، البلديات أو المؤسسات العامة الأخرى. وتتم عملية الامتلاك بواسطة المندوب السامي بنشره إعلاناً في الصحيفة الرسمية يعلن فيه أنه ثبت للمندوب السامي أن الأرض مطلوبة لغاية عامة.. فأجاز هذا القانون لأي شخص أن يطلب من المندوب أن يستملك أية أرض بالنيابة عنه أو لمنفعته، وإذا رأى المندوب أن امتلاكها لمنفعة عامة للجمهور، جاز له أن يباشر ذلك. وقد توسعت الفقرة الثانية من المادة في منح هذه الصلاحيات فاستغل هذا القانون من قبل المؤسسات الصهيونية وهيئات ومجالس بلديات القرى فضمت آلاف الدونمات لبناء المستعمرات للمهاجرين اليهود.(57)

فأدى التكوين الهش للقوانين الخاصة بالأرض، إلى نجاح اليهود في عمليات التحايل عليها واستطاعتهم أن يقوموا بشراء مساحات كبيرة من الأراضي، فمثلاً تم تبادل ملكيات في المنطقة (أ) المحظور فيها البيع على أساس دونم مقابل دونم بهدف توحيد ممتلكات العرب واليهود، وبدأت الصحافة العربية توضح الحالات التي يتم فيها التحايل على أنظمة الأرض وخاصة في لواء غزة فأدى الأمر إلى تشكيل لجنة برئاسة Haris هاريس (58) وثبت أن الصندوق القومي اليهودي تمكن من الاستيلاء على أرض بعد أن استغل الثغرة الموجودة في القانون الخاصة «السماح للأرض المرهونة قبل فترة تطبيق القانون بالانتقال ليد أي مشترٍ»، وقام الصندوق القومي اليهودي بشراء الأرض كما حدثت حادثة مشابهة أيضاً، فقد تم نقل ملكية أرض في المنطقة المحظور البيع فيها للصندوق القومي، والسبب الذي سهل هذا الأمر، أن صاحب الأرض كان مديناً وصدر الحكم ضده منذ 1357هـ (1938م)، لذلك وافق الضابط المسئول على بيع الأرض بالمزاد العلني فاشتراها الصندوق القومي اليهودي، فأشارت هذه التجاوزات الاستياء، وأثار نائب في البرلمان البريطاني هذه المسألة في إحدى الجلسات في عام 1362هـ (1943م) قائلاً: "إن التحايل على نظم ملكية الأراضي يتم باستغلال الرهن والأوامر القضائية" (59)، وأرسل المندوب السامي إلى وزير الخارجية رسالة مرفقاً بها تقرير لجنة نقل ملكية الأراضي مشيراً بأنه على قناعة بأن النظم _ التي تخضع لمراجعة ومتابعة مستمرة _ تعمل بطريقة جيدة، ولا تحتاج إلى تشديدها أكثر مما هي عليه. ومن

الواضح أن المندوب لا يريد من هذا أن تثار مسألة استغلال الثغرات التي توجد بالقانون كثيراً. ولكن العرب استمروا بالتشهير بهذه المسألة، ففي ربيع الثاني 1364هـ (مارس 1945م) أثيرت حملة تهدف إلى المطالبة بالتشديد في هذه النظم، وحفلت الصحافة العربية باتهامات حول خرق النظام، كما أشار الزعماء السياسيون إلى هذه الاتهامات علناً وأدت الاتهامات إلى التشهير بسماسرة الأرض العرب، وتم اغتيال أحدهم، ونالت الحكومة أيضاً نصيبها من هذه الاتهامات بأنها لا تفعل شيئاً لمنع التحاليل على النظام.

وفي 2 جمادى الأولى 1364هـ (14 أبريل 1945م)، قابل خمسة من الزعماء العرب برئاسة أحمد حلمي، المندوب السامي لورد غورت (GORT LORD)، وكانت شكواهم بخصوص خرق النظام، وقدموا وصفاً عاماً للطريقة التي يتم بها التجاوز، واقترحوا حلولاً، فقام المندوب السامي بتشكيل لجنة للتحقيق (60) في شكواهم والتأكد من صحتها. فجاء تقريرها مؤكداً أن ثغرات الأنظمة هي التي سمحت بهذه التجاوزات وأوصت بضرورة إعادة النظر فيها. ومما يؤكد مسألة هذه التجاوزات أن اليهود لم تمنعهم هذه القوانين من مواصلة عملية شراء الأرض وأن نسبة البيع إلى الشراء ارتفعت بعد عام 1359هـ (1940م) ووصلت إلى 70 % في النصف الأول من 1362هـ (1943م)(61)... كذلك من الدلائل الأخرى التي تؤكد مدى عمليات الانتهاك الواسعة التي كان يقوم بها اليهود لأنظمة القوانين، أن وادي بيسان الذي يقع في المنطقة (ب) والتي يحظر فيها البيع إلا بأمر المندوب، فإن عمليات الشراء الحيوية ودمج القطع الصغيرة في قطع أكبر، وإقامة المستوطنات في هذا الوادي كلها حدثت خلال الحرب العالمية الثانية.(62)

ومما يؤكد ذلك أن نسبة عمليات شراء اليهود للأراضي كانت أكبر من نسبة شراء العرب لها، والتي لا تكاد تذكر مقارنة باليهود حسب الجدول رقم (2)، ويذكر كريستوفر سايكس، أن هذه الأنظمة رغم قسوتها الظاهرة في نظر اليهود، إلا أنها لم تحتل مكاناً بارزاً في الكتابات اليهودية كما هو متوقع، فمنظمة الكيرين كميت قد ابتاعت بين عام 1359- 1366هـ (1940- 1947) حوالي 82.500 دونم من الأراضي في المناطق الممنوعة والمحظورة.(63)

وفي عام 1945بدأت عملية التحايل على قوانين الأراضي تظهر بشكل أكبر، وأصبحت الحكومة أكثر جرأة في تغاضيها عنها، بل وصل الأمر إلى أن يقوم السكرتير العام بتعديل في القانون لأجل ضم عدة قسائم من أراضي مدينة المجدل إلى المنطقة التي يجوز فيها لليهود شراء الأراضي.(64)

جدول رقم (2)

انتقال ملكية الأراضي بين العرب واليهود (المساحة بالدونم)		
السنوات	أراض يملكها العرب	أراض يملكها اليهود
1940 م	49735	27251

1941 م	42681	28148
1942 م	62582	43771
1943 م	48052	35661

فقوانين الأراضي التي سنتها الحكومة بهدف وقف عمليات انتقال ملكية الأراضي من العرب إلى اليهود أيضاً كانت هشة ومليئة بالثغرات، لذا نجد أن عمليات البيع لم تتوقف كما كان منتظراً. وحين أخذت الحرب تسير لصالح الحلفاء وقرب موعد نهايتها، أخذ المندوب السامي يتساهل بدرجة كبيرة في مسألة الأراضي، مما يؤكد أن قوانين الأراضي فرضت لخدمة مصالح اليهود بالدرجة الأولى، فلما أتت ثمارها كما خطط لها، أخذت سلطات حكومة الانتداب تغض الطرف عن انتهاك تلك القوانين وبالتدريج تخلت عنها.

ثالثاً ـ الحكم الذاتي:

نص الكتاب الأبيض بأن قيام دولة فلسطينية مستقلة ستتم خلال عشر سنوات، وفيها يتم إعطاء أهل فلسطين نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم، وحالما يتوطد الأمن والنظام تتخذ التدابير اللازمة لتولية الفلسطينيين زمام دوائر الحكومة، بمساعدة مستشارين بريطانيين. وتحت رقابة المندوب السامي، يكون رؤساء الدوائر هؤلاء أعضاء في المجلس التنفيذي الذي يزود المندوب السامي بالمشورة، ثم ينظر أخيراً في تحويل المجلس التنفيذي إلى مجلس وزراء، مع إجراء ما يترتب على ذلك من التغيير في وضع رؤساء الدوائر ومهامهم. ولدى انقضاء خمس سنوات على توطيد الأمن والنظام تقوم هيئة ملائمة من ممثلي أهل فلسطين والحكومة للسير في الترتيبات الدستورية خلال فترة الانتقال، وللبحث في وضع دستور لدولة فلسطينية مستقلة وتقدم التواصي بهذا الشأن. (65)

وأما بالنسبة لتنفيذ هذه الخطوات، فكان مخططاً أن يتم البدء بها بمجرد عودة الأمن وتوقف الاضطرابات، ويتم تطبيقها على أساس أن يعين عدد قليل من الفلسطينيين كمديرين للدوائر بنسبة اثنين من العرب مقابل كل يهودي، ويكون هؤلاء هم أنفسهم أعضاء المجلس التنفيذي الذي يشرف عليه المندوب السامي. وتاريخ إصدار هذه التعيينات سوف تشهد بداية الخمس سنوات المنصوص عليها لتشكل جهازاً نيابياً مهمته مراجعة عمل التدابير الدستورية خلال الفترة الانتقالية، وسوف يقدم أيضاً توصيات تتعلق بإقامة دولة فلسطينية مستقلة.

وأما عدد الدوائر التي من المنتظر أن يتم التعيين بها فهي ست عشرة دائرة، واقترح في البداية أن يعين رؤساء للخدمات الاجتماعية ثم يتم تسليم بعض المناصب الحساسة لشخصيات محلية، كمنصب القاضي والنائب العام ورؤساء الشرطة والسجون، وتتم عملية التعيينات وفقاً لنسبة السكان. ولكن هناك مسألة غاية في الصعوبة وتتمثل في مسئوليات هؤلاء الرؤساء والموظفين البريطانيين الذين سيعملون تحت إمرتهم وترك هذا الأمر لتصرف المندوب.(66)

ولكن كل هذه الإجراءات لم تر النور، وإن مسألة تأخير تنفيذها تعود إلى الانقسام الذي ساد في داخل الدوائر البريطانية المسؤولة، فكان هناك اعتراض على تنفيذ هذه الخطوات من قبل المندوب السامي نفسه مكمايكل (Macmichael)، فقد وقف بصلابة أمام تنفيذ هذا البند لأنه يعتقد أن أية تنازلات تقدمها بريطانيا، ستؤدي إلى ازدياد المطالب العربية مستقبلاً قائلاً: «إنها لن تزيد من شهية العرب فحسب بل إن إجراءنا سيفسر على أنه خرق وتخاذل»(67)، كما أن المندوب السامي تطلع إلى قيام نوع من المصالحة الطائفية بين العرب واليهود قبل أن يتم التنفيذ، ويرغب المندوب السامي في أن تظهر قوى عربية معتدلة تعارض المفتي وسياسته التقليدية حتى يكون تنفيذ هذه الخطوات بمساعدة هذه القوى الجديدة.

ولكن كل هذه التبريرات لا تلغي حقيقة موقف المندوب الذي كان لا يرغب أبداً في تنفيذ أية خطوة، وما هذه التبريرات إلا مجرد حجج واهية تخفي وراءها السبب الحقيقي.

ولكن المندوب السامي كان يواجه ضغوطاً من جهات مسؤولة في الحكومة البريطانية تدعوه للبدء بالتنفيذ، ففي ذي القعدة 1358هـ (ديسمبر 1939م) رغبت إدارة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، بعد أن تم رفع إجراءات الطوارئ في مواصلة السير في تطبيق خطة تعيين رؤساء الدوائر، ولكن المندوب ما لبث أن اعترض محتجاً بأن الدوائر العربية لا تزال مشوشة وليست مستعدة أن تكون أداة من أجل خطط الحكومة البريطانية. فأدى هذا الموقف من قبل المندوب إلى احتجاج ثنائي من وزارتي الخارجية والمستعمرات في محرم 1359هـ (فبراير 1940م)، وتمت مناقشة الأمر ثم توصلوا إلى قرار يفيد بأنه إذا تحسن الوضع الأمني وعاد القادة المعتدلون، وعزل المفتي، فان الوقت قد حان بالفعل لعمل شيء إيجابي بهذا الصدد. (68)

كما عمل المندوب السامي على الإيحاء لحكومته بأنه لم يكن هناك اهتمام عربي بهذه المسألة، وجل اهتمامهم موجه لفرض قيود على الهجرة أكثر من أي شيء آخر. ويدلل المندوب على ذلك بأنه خلال العديد من اللقاءات التي أجراها مع عدد من العرب من مختلف الفئات في المدن والقرى وبشكل سري ومعلن، لم يذكر له أن أحداً من العرب قد أشار له بأي شيء بخصوص المقترحات الدستورية، وإنما كان الحديث يتركز على الهجرة وبيع الأراضي وعودة المنفيين، ويعلل المندوب السامي هذا الموقف بأن العرب لم يكونوا مطمئنين لهذه المقترحات، فهم يشمون رائحة ما تفوح من هذا العرض على الرغم مما فيه من تنازلات من وجهة نظر الحكومة البريطانية. (69)

وفي الحقيقة أن حجة المندوب السامي باطلة، فالعرب لم يدخروا جهداً في هذا الأمر. ففي عام 1360هـ (1941م) في حديث لعوني عبد الهادي مع أحد المسؤولين البريطانيين، طالب عوني بتنفيذ الكتاب، واقترح تعيين اثنين من العرب ليكونوا رؤساء على الإدارة، ويؤكد أن هذا الأمر لن يكون موضع خلاف. (70)

كما حاول فخري النشاشيبي، على الرغم من أنه لا يعتبر من المتطرفين في عدائهم لبريطانيا، أن يربط مسألة الحصول على المتطوعين، بمدى سرعة الحكومة البريطانية بصورة عملية في تنفيذ البنود الدستورية، فقد رغب في انتهاز فرصة المأزق الذي تقع فيه بريطانيا للحصول على بعض التنازلات مقابل رفع الحظر على التطوع.

ولم يقتصر الأمر على عرب فلسطين فحسب، بل أرسل نوري السعيد أيضاً «في ربيع الثاني 1359هـ (مايو 1940م)، رسالة إلى السفارة البريطانية في بغداد يطلب فيها أن تصدر الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية إعلاناً مشتركاً يضمنون بموجبه الآن أو بعد الحرب تنفيذ تعهداتهم بإنشاء حكم ذاتي في سوريا وفلسطين لقطع الطريق أمام العدو.

فكل هذا يدحض ما ادعاه المندوب بأن العرب لم يطالبوا ولم يهتموا بتنفيذ الخطوات الدستورية، والحقيقة أن موقف المندوب يعود إلى أنه هو نفسه لم يحبذ فكرة التنفيذ، واختلق هذا العذر الذي قد يوقف تنفيذ هذه البنود.

وعموماً لم يكن المندوب السامي وحده هو المعارض. فهناك أيضاً (Winston Churchill) ونستون)تشرشل(71، الذي عرف بمعارضته لبنود الكتاب ككل ومنذ صدوره. فقد قدم تشرشل منذ كان وزيراً للحربية مذكرة لمجلس الحرب في ذي القعدة 1358هـ (ديسمبر 1939م)، ضمنها اعتراضه على هذه السياسة موضحاً أثرها السيئ على الرأي العام الأمريكي قائلاً: "يجب أن نمتنع عن أي عمل يضيف إلى الأعباء التي علينا تحملها أو إلى الأعباء التي يجب أن يحملها أفضل أصدقائنا الرئيس روزفلت". (72)

ويعتبر تشرشل أن الحكومة البريطانية إذا نفذت البنود التي يعارضها، سيتأثر موقف الحكومة الأمريكية إضافة لموقف بريطانيا، ويقترح حلاً يحفظ ماء الوجه لبريطانيا، بأن يتم الإعلان على سبيل المثال: «بأن الكتاب الأبيض يمثل جهداً مخلصاً من جانب مجلس الوزراء لما قبل الحرب للمساواة بين العرب واليهود والوفاء بجميع الوعود».(73) ويكفي هذا الإعلان عن اتخاذ أية خطوة إيجابية بعد ذلك.

كما يعتبر تشرشل أن عمل أي شيء يكون تنفيذاً لبنود الكتاب الأبيض فمن شأنه أن يضر بإعادة النظر بسياسة بريطانيا في فلسطين بعد انتهاء الحرب. (74)

ونتيجة كل هذه الأصوات البريطانية المعارضة لعملية التنفيذ، أدت إلى صعوبات، ولكن وجد إلى جانب هذه الأصوات بعض المسؤولين البريطانيين المتحمسين وبشدة، للبدء بتنفيذ هذا البند الخاص بالحكم الذاتي. وتمثيل هذا الموقف في وزارتي المستعمرات والخارجية، ويرجع ذلك إلى رغبتهم في كسب رضا العرب أكثر منه تمسكاً بتحقيق العدل. وقد وضح هذا الاتجاه للوزارتين عند مناقشة مجلس الحرب الرد على رسالة نوري السعيد 1358هـ (1940م) السابقة، فكان من رأي وزير المستعمرات أنه من المستحيل تفادي الإجابة عن السؤال الذي طرحه نوري. وأن عدم التأكيد واضح حول السياسة البريطانية في فلسطين سيؤدي إلى اشتعال الموقف في العراق والشرق الأوسط، وأيده وزير الخارجية وقال في مذكرته التي قدمها: "أشعر في هذه الظروف أنه يجب علي أن أدعو إلى ضرورة أن نتحدث بوضوح على أسس الخطوط المقترحة في بند الحكم الذاتي".(75)

وللعمل على تنفيذ هذا البند قام وزير المستعمرات بإصدار أمر إلى المندوب السامي بأن يشكل لجنة استشارية، بهدف إحياء خطة تعيين رؤساء الدوائر، كما حاولت وزارتا الخارجية والمستعمرات استغلال الفرصة التي لاحت عندما أخذ مجلس الوزراء يستعد للمصادقة على إنشاء فرقة حربية يهودية، بالعمل على أخذ موافقة المجلس على تنفيذ هذا البند، فاقترح وزير المستعمرات العمل على تفادي غضب العرب، والإعلان عن اتخاذ خطوات تعيين

رؤساء الدوائر، وبهذا يرمون عصفورين بحجر. فبدأ وزير المستعمرات بحملة في مجلس الوزراء ليحصل على المساندة للتصديق على هذا القرار.(76) وكان قد بعث وزير المستعمرات للمندوب السامي الأوامر ليواصل جهوده لتشكيل مجالس استشارية كإجراء بديل ومؤقت لتعيين رؤساء الدوائر. خاصة بعد أن أخذت وجهة نظر المندوب المتخوفة من التنفيذ، تتبدل نوعاً ما، بعد أن أدرك أن مخاوفه ستزول إذا ما تم اتباع تنفيذ الخطوات بصورة منطقية، لذا أخذ المندوب يتشاور مع وزير المستعمرات بخصوص التفاصيل الخاصة بعملية التنفيذ، فيوصي المندوب بأن يتم تعيين ثلاثة فلسطينيين في المرحلة الأولى، كما يتساءل إذا ما رفض اليهود التعاون أيوصي بالعرب أم تترك مناصب اليهود شاغرة، كما يتساءل المندوب أيضاً، إذا ما تم تنفيذ مثل هذه الخطوات، هل ستبطل المشاورات الدورية التي تتم مع بعض المعتدلين العرب. (77)

فكانت هذه المباحثات التي دارت بين المندوب السامي ووزير المستعمرات بغرض الاستعداد للبدء بالتنفيذ بعد أخذ الموافقة من مجلس الوزراء، كما خطط وزير المستعمرات. وأخذ بالتعاون مع وزارة الخارجية بالإعداد لمسودة الطلب التي سيتم عرضه على المجلس. وقد ساور الوزارتين القلق خشية اعتراض تشرشل، ولكن تخطيطهم لربط موافقتهم على إنشاء فرقة يهودية بموافقة المجلس على طلبهم جعلهم يطمئنون، ولكن سارت الأمور في خط مغاير تماماً، فقد تعرضت وزارة المستعمرات في الجلسة المنتظرة لعاصفة من الانتقادات بعد حادثة غرق السفينة باتريا. (78) ولم تتم مناقشة المسودة المعدة الخاصة بتنفيذ الخطوات الدستورية.

بالإضافة إلى ما سبق، فإذا اعتبرنا محادثات المندوب السامي مع سليمان طوقان رئيس بلدية نابلس 1360هـ (1941م)، والتي كانت تجربة في التعاون بين القيادات العربية والحكومية بهدف تأسيس مجلس استشاري، تسير في خط تنفيذ البنود الدستورية، مع أنه لم يكن لها نتائج فعالة بشكل أكبر، وبعد عام 1363هـ (1943م)، خف الحماس تدريجياً لتنفيذ هذه الخطوات، خاصة بعد تحسن الوضع الحربي لبريطانيا، وهبوط اهتمام وزارة الخارجية بالأمر. وقررت وزارة المستعمرات المحافظة رسمياً على التزامها بإيفاء خطة تعيين رؤساء الدوائر حية. وأعطت تعليماتها للمندوب السامي بالتخلي عن فكرة المجلس الاستشاري، ولما زار المندوب السامي لندن في عام 1361هـ (1942م) لم تتم مناقشة مسألة تأسيس مجلس استشاري.(79)

وهكذا يتضح لنا أن التزام بريطانيا بتنفيذ هذا البند من الكتاب الأبيض كان ضئيلاً جداً، إن لم يكن معدوماً بالنسبة للبنود السابقة، فالجهد المبذول في هذا المجال قليل جداً. ومما يدل على أن حكومة بريطانيا غير جادة في التنفيذ، فقد أخذت تماطل وتتباطأ وتسمح للاختلافات في الرأي أن تعطل تنفيذ سياسة انتهت مناقشتها منذ أن تمت المصادقة عليها. وان الدوائر البريطانية المؤيدة لعملية تنفيذ بنود الكتاب الأبيض ما لبثت أن خف حماسها بعد أن تحسن الوضع العسكري لبريطانيا، فلم تعد الحاجة ماسة إلى ترضية العرب وكسب ودهم.

انهيار الكتاب الأبيض:

من الدراسة السابقة يتضح لنا أن التزام بريطانيا بالبنود التي تضمنها الكتاب الأبيض لم يكن التزاماً جاداً، مما يؤكد مبدأ الانتهازية الذي قامت عليه السياسة البريطانية حين أصدرت الكتاب الأبيض لتهدئة خواطر العرب من أجل ضمان تأييدهم لها خلال سنوات الحرب.

ولذا فان عملية انهيار هذا الكتاب واختفائه كان يتم الإعداد لها منذ فترة مبكرة، وقد بدأت أولى خطوات الانهيار تظهر عندما نجح تشرشل Churchill في الوصول إلى رئاسة الوزراء في 1358هـ (1940م). مما أثر سلباً على عملية التنفيذ، فتشرشل معروف بولائه للصهيونية، لذا فقد عارض الكتاب الأبيض منذ صدوره. وكان من الطبيعي ألا يهتم بتنفيذه عندما تصير الأمور إليه.

ويذكر وايزمان Weizmann، أن تشرشل أبلغ مجلس الوزراء منذ وصوله لسدة الحكم رغبته في إلغاء الكتاب الأبيض، وهذا له أكبر الأثر على عملية تجميده وبالتالي التمهيد لانهياره.(80)

وقد وجهت الضربة الكبرى للكتاب الأبيض عندما ظهر في الأفق مشروع التقسيم مرة أخرى على طاولة البحث، فالكتاب الأبيض اعتبر خطة سياسية قامت بإلغاء مشروع تقسيم 1356هـ (1937م)، وظهوره مرة أخرى له أكبر الأثر على انهيار الكتاب الأبيض ونسفه، فقد أخذت الدوائر البريطانية تتداول المشروع وتتم مناقشته، واعتبر أنه الحل المنتظر بعد أن درست الحكومة البريطانية كل الحلول واتضح أنها غير قابلة للتنفيذ. كما أخذ تشرشل يمهد لطرح المشروع أمام مجلس الوزراء في 13رجب 1362هـ (يوليو 1943م)، والذي انعقد لدراسة المذكرات التي تبحر في مستقبل فلسطين. ثم تقرر تعيين لجنة من مجلس الوزراء للنظر في سياسة فلسطين على المدى الطويل. وتم اختيار أعضاء اللجنة من قبل تشرشل وبدأت مداولاتها في شعبان 1362هـ أغسطس 1943م، واستطاعت في ذي الحجة (ديسمبر) من نفس العام أن تقدم اقتراحات مفصلة عن تقسيم فلسطين. وتبنى المجلس تلك المقترحات في محرم 1363هـ (يناير 1944م) بالرغم من عدم إلغاء الكتاب الأبيض بشكل رسمي. واستمرت اللجنة في عملها لبحث أدق التفاصيل، ولكن حادث اغتيال اللورد موين moyne الوزير البريطاني المقيم في القاهرة في ذي الحجة 1363هـ (نوفمبر 1944م) على يد إرهابيين يهود.(81) دفع تشرشل بعيداً عن الصهيونية وبشكل دائم، مما أدى إلى وضع مشروع التقسيم على الرف.

وفي ربيع الثاني 1364هـ (أبريل 1945)، عقد مؤتمر في القاهرة، حضره الدبلوماسيون الإنجليز والمسؤولون العسكريون في الشرق الأوسط، وشجبوا المشروع فدفنت الفكرة نهائياً. وظهر مشروع آخر تقدم به الوزير المقيم غريج Gricg، وهو عبارة عن وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية. وبذلك يضع حداً لمسئولية بريطانيا بشكل كامل لمشكلة الهجرة اليهودية الشائكة، فتصبح مسئولية الهجرة من اختصاص الهيئة الدولية المكونة من ممثلين من الولايات المتحدة، الاتحاد السوفييتي، فرنسا، بريطانيا، بالإضافة إلى اثنين من العرب واثنين من اليهود. لكن المشروع أيضاً فشل، فكان لابد من أن يواجه معارضة قوية من العرب، لأنه ابتعاد عن الكتاب الأبيض الذي نص على عدم الهجرة اليهودية بعد 1363هـ (1944م) إلا بعد أخذ الأذن العربي(82). ولكن هذا لا يعني أنه تم التخلي عن هذه المشاريع نهائياً لصالح الكتاب الأبيض. فالحقيقة مغايرة لذلك تماماً، فان مجرد ظهور اقتراحات بديلة

للكتاب الأبيض يعتبر إعادة للقضية للوراء، والوصول بهذه الاقتراحات إلى مرحلة المناقشة وبحث التفاصيل، يعنى أن الكتاب الأبيض ولو أنه لا يزال السياسة الرسمية للحكومة نظرياً، إلا أنه من ناحية عملية يسير نحو الانهيار، وأن هذه العملية بدأت منذ فترة مبكرة ربما تعود إلى يوم ولادته، وكان واضحاً منذ بداية الحرب وعندما تقلد تشرشل مقاليد رئاسة الوزراء أن نهاية الكتاب الأبيض بوفاته مسألة حتمية. (83)

وباختصار فالكتاب الأبيض ولد ميتا لأن إصداره جاء وسيلة لتحقيق مصلحة بريطانيا وليس هدفاً لحل المشكلة الفلسطينية.

* * *

بداية تدخل الولايات المتحدة الأمريكية

منذ نهاية الثلاثينات وحين شعرت بريطانيا أنها على وشك أن تدخل حرباً عالمية جديدة، وما يتبع ذلك من أعباء تكاد تنوء بها، أخذت بريطانيا تتطلع إلى الولايات المتحدة الأمريكية كشريك جديد وقوي ممكن أن يساعدها في تحمل بعض الأعباء عنها، كما فعلت في الحرب العالمية الأولى حين دعت الحاجة إليها. وأظهرت الولايات المتحدة الأمريكية اهتماماً كبيراً بمؤتمر لندن المنعقد في عام 1357هـ (1939م). إذ أرسل الرئيس الأمريكي روزفلت Roosevelt رسالة سرية إلى الحكومة البريطانية أثناء انعقاد المؤتمر، حذر فيها بريطانيا من مغبة اتخاذ سياسة معادية لليهود، حين قال في رسالته: (إنه إذ يؤيد سياسة رسمية تتخذها بريطانيا حول فلسطين، إلا أنه يخشى أن تأتي مثل هذه السياسة ضد الأماني اليهودية، وتفتح الطريق أمام المظاهرات الأمريكية العدائية ضد بريطانيا في أمريكا).(84)

ولاشك أن بريطانيا أدركت معنى هذا الاهتمام الأمريكي وأخذته بعين الاعتبار، واستمر الضغط الأمريكي بشكل أكبر على بريطانيا، حتى أن بريطانيا اضطرت إلى تأجيل إعلان الكتاب الأبيض خلال المؤتمر مما أدى إلى انفضاض المؤتمر وفشله، واعتبر هذا التدخل غير المباشر من أمريكا سبباً من أسباب فشل المؤتمر.(85)

وقبيل صدور الكتاب الأبيض حرص وزير الخارجية البريطانية على مقابلة السفير الأمريكي في لندن ليطلع عليه. وفي الحقيقة أن الولايات المتحدة تابعت وباهتمام بالغ خطوات ميلاد هذا الكتاب. واتخذت موقفاً متحفظاً تجاهه، فكتب روزفلت Roosevelt إلى وزير خارجيته بعد صدور الكتاب قائلاً: «لقد قرأت وباهتمام وخيبة أمل بالغة، قرارات الحكومة البريطانية فيما يتعلق بسياسة فلسطين. وإنني لا أعتقد بأن البريطانيين محقين تماماً في القول بأن مزارعي فلسطين لا يرغبون في أن تتحول فلسطين إلى دولة يهودية، كما لا أحسب أن ذلك أمراً ضد رغبة سكان الدولة من العرب»(86). ورفض الإدارة الأمريكية للكتاب الأبيض ثم تصعيده إلى أمر بأن يقوم السفير الأمريكي في لندن بإخطار وزير الخارجية البريطاني بأن خيبة الأمل عمت الأوساط الصهيونية في أمريكا.

وكان رفض الكتاب الأبيض من قبل الحكومة الأمريكية على كافة المستويات، فقد سارع خمسة عشر عضواً من أعضاء لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس، وثمانية وعشرون عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ، بالتوقيع على رسالة مقدمة للإدارة الأمريكية يرفضون فيها مضمون الكتاب الأبيض الذي أصدرته بريطانيا ويعتبرونه نقضاً لوعد بلفور.(87)

واستمر الموقف الأمريكي الرافض لسياسة بريطانيا في الكتاب الأبيض وحتى سنوات الحرب الأخيرة فقد أعلن على لسان روزفلت في ربيع الأول 1363هـ (مارس 1944م) بأن الحكومة الأمريكية لم توافق مطلقاً عليه وأن الرئيس مقتنع بأن: (الذين يناضلون من أجل وطن قومي يهودي سوف يحصلون على العدل حينما يتم التوصل إلى القرارات في المستقبل).(88)

وفي الحقيقة شكل الموقف الأمريكي المتحفظ على السياسة البريطانية تجاه فلسطين، بداية لضغط أمريكي أخذ يتزايد وينمو مع مرور السنين، ويؤثر على السياسة البريطانية لاتخاذ اتجاه جديد إزاء سياسة الوطن القومي اليهودي. وبالرغم من الاتجاه الأمريكي الجديد في دعم الحركة الصهيونية، فإن اهتمام الأمريكي بالوطن القومي والحركة الصهيونية يعود إلى الحرب العالمية الأولى، ولكن بشكل أقل التزاماً نظراً لمصالح أمريكا المحددة في المنطقة آنذاك، ونظراً لسياسة العزلة التي كانت تسيطر على سياسة أمريكا الخارجية.

كانت بريطانيا هي التي مهدت لأمريكا أن تتعرف على المنطقة، فلما كانت الحكومة البريطانية تضع المسودات الأولى لوعد بلفور خلال الحرب العالمية الأولى. حضر الكولونيل هاوس house مندوب الرئيس الأمريكي ويلسون Wilson جلسة مجلس الوزراء البريطاني التي أصدرت تصريح بلفور الشهير في 14رمضان 1335هـ (2 نوفمبر 1917م)، ومعنى ذلك أن اهتمام أمريكا بالصهيونية لم يبدأ مع الحرب العالمية الثانية وإنما بدأ منذ ولادة تصريح بلفور 1917م.(89)

وفي العشرينات سيطرت على الولايات المتحدة الأمريكية سياسة العزلة، ولذلك أخذ اهتمامها بالمشاكل الخارجية خارج الأمريكيتين يقل، ومما زاد من هذه العزلة، أن اتخذ الكونغرس قرار بالحد من السلطة التنفيذية في مجال السياسة الخارجية. واستمر هذا حتى عام 1358هـ (1939م) حينما بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تظهر، فأدى ذلك إلى عودة الاهتمام الأمريكي بالمنطقة والتي كانت تعتبرها واشنطن منطقة نفوذ إستراتيجي وسياسي بريطاني. ولكن بمجرد أن اضطلعت الولايات المتحدة بدور فعال في الحرب، وبالذات على مسرح الشرق الأوسط(90)، أخذت تتطلع لدور أكبر في المنطقة، خاصة وأن مصالحها الاقتصادية أيضاً كانت توجهها للاهتمام أكثر بالشرق الأوسط. وتعزز هذا الموقف لأن الحكومة البريطانية تطلعت بشغف لمزيد من الاهتمام الأمريكي، فاضطرت إلى الاعتراف بمصالح أمريكا الاقتصادية، مما ساعد على تخفيف المنافسة الاقتصادية المحمومة بينهما، وبدأت لندن تنظر إلى مسؤولياتها في فلسطين تجاه اليهود على أنها عبء لا يطاق، لذلك أخذت الدوائر البريطانية تفكر في محاولة جر أقدام الولايات المتحدة بطريقة ما، لمشاركتها المسؤولية، وظلت هذه الرغبة العامل الأساسي في تفكير وزارة الخارجية البريطانية فيما يتعلق بفلسطين.(91)

تحول النشاط الصهيوني من بريطانيا إلى أمريكا:

أدركت الصهيونية أن نجم بريطانيا كدولة عظمى بدأ بالأفول، وأن الأنظار أخذت تتجه إلى النصف الغربي من الكرة الأرضية، والتي كانت الولايات المتحدة الأمريكية أقوى دولة فيها، وتزامن هذا مع تطلع أمريكا إلى الخروج من عزلتها والبحث عن مناطق نفوذ جديدة. ولهذا رغبت الصهيونية في أن تمتلك منافع الدعم الأمريكي، وأن تعمل على تطوير المعارضة الأمريكية للكتاب الأبيض إلى موقف أكثر صلابة والتزاماً، بحيث يؤثر على السياسة البريطانية التي أصبحت في نظر الصهيونية غير مناسبة لها. فالصهيونية رغم صلتها الوثيقة مع بريطانيا التي احتضنتها ورعتها ومنحتها وعداً بوطن قومي، إلا أنها رأت أن من صالحها الآن أن ترتمي في أحضان الولايات المتحدة وتضع نفسها وإمكاناتها في خدمة مشاريعها، فقررت أن تنقل مركز نشاطها من لندن إلى واشنطن.

كما أخذت في إعادة بناء الأجهزة الصهيونية العاملة في الولايات المتحدة لتمارس الضغوط في الظروف الحرجة. كما تقرر في المؤتمر الصهيوني السادس والعشرين الذي عقد قبل الحرب في جنيف عام 1358هـ (1939م)، إنشاء لجنة خاصة في الولايات المتحدة، كما شكل أيضا مجلس الطوارئ الصهيوني الأمريكي عام 1358هـ (1939م)، بهدف التنسيق للعمل الصهيوني وإقامة الاتصالات مع سائر دوائر الحركة الصهيونية وفروعها في الخارج والإعلان عن طموحات الصهيونية.(92)

وفي عام 1360هـ (1941م)، تشكلت أيضاً لجنة فلسطين الأمريكية التي ضمت ثمانية وستين عضواً من مجلس الشيوخ وعشرين عضواً من مجلس النواب وعدداً من حكام الولايات، وقد نشطت هذه اللجنة في الدعوة لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. فكان لهذا أكبر الأثر في التأكيد على المدى الذي وصل إليه النفوذ الصهيوني في أروقة الحكومة الأمريكية.

وتمثل النجاح الأكبر للنشاط الصهيوني في الولايات المتحدة عندما عقدت الصهيونية مؤتمر بلتيمور في نيويورك في ربيع الثاني 1361هـ (مايو 1942م)، وسط موجة من الدعاية الصهيونية عن الخطر النازي على اليهود، وحضرته أبرز القيادات الصهيونية في العالم، وعدد كبير من الصهيونيين الأمريكيين، وبعض أعضاء الوكالة اليهودية في فلسطين، وعدد من أعضاء مجلس الشيوخ برئاسة هاري ترومان. فكان هذا المؤتمر الصهيوني هو الأول منذ اندلاع الحرب، وتم الترتيب له تحت إشراف لجنة الطوارئ الصهيونية الأمريكية. ومن خلال مباحثاته ظهر أنه لم يكن هناك إلحاح عل صداقة بريطانيا، ومثل هذا الاتجاه دافيد بن غوريون David Ben Gurion رئيس اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية، الذي طالب بنبذ فكرة الوطنية الثنائية، لأنها تعني إعطاء عرب فلسطين تمثيلاً متساوياً مع اليهود في الحكومة، فظهر خطابه بمثابة عرض للسياسة الصهيونية. وقد ظهر تأثير آراء بن غوريون في القرارات التي تبناها المؤتمر، والتي نصت على رفض الكتاب الأبيض، والذي يعتبر بمثابة إلغاء لحقوق اليهود في الهجرة إلى فلسطين. كما قرر المؤتمر تأليف قوة يهودية عسكرية تقاتل مع الحلفاء وتحت علمها

الخاص. وأكد على ضرورة فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتخويل الوكالة سلطة الإشراف على الهجرة، والقرار الأخير نص على إعلان فلسطين كومنولث يهودي.(93)

فكانت هذه القرارات تعبيراً واضحاً وصريحاً للبرنامج الصهيوني الجديد، فالمؤتمر كان انعطافاً حقيقياً في حياة اليهود. فقد وجد هذا البرنامج أرضاً صالحة للنمو السريع بحلول أزمة يهود أوروبا المنكوبين على يد النازية، فازداد أعضاء اليهود الأمريكيين في المنظمة الصهيونية في الفترة التي تلت المؤتمر. وكاستمرار لجهود الصهيونية في حشدها ليهود الولايات المتحدة وراء برنامج بلتيمور، دعت إلى عقد مؤتمر آخر في مدينة «بتسبرغ» PITTSBURGH الأمريكية في شهر محرم 1362هـ (1943م)، بهدف تبني قرار مشترك يتعلق بوضع اليهود بعد انتهاء الحرب. وفي المؤتمر الجديد تم الاقتراع على برنامج بلتيمور، ففاز بأغلبية الأصوات. وتعتبر نتيجة هذا المؤتمر نصراً للصهيونية في مسعاها لربط اليهودية الأمريكية بعجلتها، وصار بمقدور المنظمة الصهيونية الزعم بأنها تمثل الأغلبية الساحقة من يهود أمريكا.

ومن ناحية أخرى سعت الحركة الصهيونية، إلى كسب دعم وتأييد الشعب الأمريكي لصالحها، فلم تترك وسيلة ولا أسلوباً من الاتصالات إلا واستخدمته، وبهذا تكون الصهيونية قد رتبت أوراقها، وأعدت خططها ووزعت الأدوار على جميع مؤسساتها، حتى تتفرغ للخطوة التكتيكية الأخرى، الرامية لكسب موافقة الحكومة على البرنامج الصهيوني الجديد والذي يرمي إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين.(94)

السياسة الأمريكية تجاه فلسطين خلال الحرب:

بعد صدور الكتاب الأبيض وتحفظ الحكومة الأمريكية عليه، أخذت الصهيونية في اعتبارها استغلال هذا الموقف لصالحها، فأرسل السفير البريطاني في واشنطن مذكرة في شوال 1358هـ (1939م) إلى وزارة الخارجية جاء فيها، أنه قد استقبل وفداً من المنظمة الصهيونية وأخذوا يشرحون القلق الذي يساورهم بسبب الإشاعات التي انتشرت عن عزم بريطانيا تنفيذ بنود الكتاب الأبيض، وما ينتج عن ذلك من حظر للهجرة، ومنع لانتقال الأراضي، لذلك فالسفير يلح على تزويده بمعلومات عن مدى صحة هذه الإشاعات ليتمكن من إزالة هذه الشكوك، نظرا لأهمية النفوذ اليهودي في أمريكا، والتي تتطلع بريطانيا إليها بود وصداقة. وقد أثارت هذه الرسالة وزارة الخارجية، وتم عقد عدد من الاجتماعات لصياغة رد مناسب على استفسارات السفير، وساد اعتقاد أنه من الضروري جداً إرضاء يهود أمريكا لضمان مساعدتهم في محاربة أصحاب الدعوة إلى الانعزال، والاتجاهات المضادة لبريطانيا في الولايات المتحدة، فقال تشرشل Churchill الذي رغب في إرضاء يهود أمريكا: "يجب أن نمتنع عن أي عمل يضيف إلى الأعباء التي يجب علينا تحملها أو إلى الأعباء التي يجب أن يتحملها أفضل أصدقائنا الرئيس Roosevelt روزفلت(95)، ولكن وزارتي المستعمرات والخارجية لم تكن توافق على هذا الاتجاه الذي يتزعمه تشرشل، لأنهما لا تزالان تعملان اعتباراً للعرب وتودان كسب رضاهم، لذا فهما تريان أن يكون الرد على السفير

في واشنطن بضرورة الإيحاء للصهيونية بأن مسألة تطبيق الكتاب الأبيض لا تزال قيد الدراسة ولم يتم التوصل إلى قرار بشأنها. (96)

وهذا كله يدل على خشية بريطانيا من الموقف الأمريكي الذي ربما يكون لغير صالحها واستمرت الصهيونية في مساعيها الحثيثة لجر الإدارة الأمريكية إلى مسألة فلسطين. ففي عام 1361هـ (1942م)، تقدمت مجموعة من الحاخامات بمذكرة حول فلسطين لوزارة الخارجية الأمريكية، فرد الوزير عليهم ببيان أشار فيه إلى اهتمام أمريكا بالعمل الذي تم بموجبه وعد بلفور، والذي لعب فيه مواطنو أمريكا دوراً بارزاً، وأسف للاضطهاد الذي يتعرض له اليهود، وأما بالنسبة لمسألة الوطن القومي فيذكر: «أعتقد أنه يتوجب علينا إيجاد عالم متسامح يعيش فيه اليهود مثل أي شعب آخر أحراراً يتمسكون بالشرف والسلام» (97). ويتضح من هذا البيان أن الخارجية الأمريكية لم تكن تحبذ الموافقة بشكل تام على الضغوط الصهيونية لذا كان جوابها دبلوماسياً لا يلزم الإدارة الأمريكية بأي ارتباط.

وظهر الاهتمام الأمريكي بشكل أكبر عندما حرصت الحكومة على إرسال مبعوثين للمنطقة عام 1361هـ (1942م) فبعثت الكولونيل هارولد هوسكنز Col. Harold hoskins الذي يجيد اللغة العربية وأمضى عدة شهور في المنطقة، وأشار في تقريره إلى زيادة التوتر وأنه لا يمكن تأسيس دولة يهودية في فلسطين إلا باستخدام القوة. (98)

ولم يكن هذا المبعوث الوحيد فالمفتي يذكر أثناء وجوده في العراق أنه جاء مبعوث أمريكي روبرت دونافان Robert Donovan عام 1360هـ (1941م) موفداً من قبل الرئيس روزفلت Roosevelt والتقى بالمفتي، وطلب منه أن يؤيد السياسة البريطانية ولكن المفتي أجابه كيف يمكننا تأييد السياسة التي تعمل لتهويد بلادنا فأجابه المبعوث بأن هذه المسألة يمكن تسويتها بعد الحرب، وأن مسألة انفراد هذا المصدر بذكر هذا المبعوث لا يجعلنا ننفيها فقد يكون ما ورد فيه حدث بالفعل، وأن إغفال المصادر الأخرى له يعود إلى عدم نجاح مهمة هذا المبعوث أو أنها مهمة سرية استطلاعية.(99)

فكان هؤلاء المبعوثون من الحكومة الأمريكية هم الرواد الأوائل من الولايات المتحدة للتجوال في المنطقة، ومحاولة الاقتراب من أماكن الأهداف، وبعث تقارير أكثر دقة. وأخذ يتطور الاهتمام الأمريكي بالتدريج وبشكل أكبر، فلما قرب موعد انتهاء الهجرة اليهودية في ربيع الثاني 1363هـ (31 مارس 1944)، اضطرت الحكومة الأمريكية وتحت ضغط متواصل من اليهود الأمريكيين، للتدخل مع البريطانيين لفتح أبواب فلسطين أمام المزيد من الهجرة. فبعث وزير الخارجية الأمريكي إلى السفير البريطاني في واشنطن في 15ذي الحجة 1362هـ (12 ديسمبر 1943م) ليخبره بأن الرئيس روزفلت Roosevelt، يرغب ويطلب أن تمدد بريطانيا الفترة الزمنية المحددة لوقف الهجرة، فرد عليه السفير البريطاني بقوله: «إن الحكومة البريطانية تخطط في الواقع لتمديد الموعد النهائي بسبب عدم استخدام جميع شهادات الهجرة المتوفرة». فكان هذا الاتفاق في وجهات النظر بين الولايات المتحدة وبريطانيا بخصوص استمرار الهجرة له أكبر الأثر على إقدام الحكومة البريطانية بالإعلان على لسان وزير خارجيتها عن تمديدها للفترة الزمنية الخاصة بانتهاء موعد الهجرة. (100)

كما تم التداول في نفس العام بين الدولتين حول اقتراح قدمه العقيد الأمريكي هوسكنز Hoskins يقضي بإصدار إعلان مشترك ينص على عدم اتخاذ قرارات نهائية خاصة بفلسطين حتى نهاية الحرب، ويجب أن تتم استشارة كاملة للعرب واليهود. وافقت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على صيغة هذا النص، ولكن وزارة الخارجية اعترضت عليه فتأخر صدوره. وفي لقاء روزفلت Roosevelt وتشرشل Churchill في شعبان 1362هـ (أغسطس 1943م)، تقرر تعليق هذا البيان، على أن يتم النقاش بخصوص مسألة فلسطين بين الحكومتين من وقت لآخر. ويتضح من هذا البيان أن بريطانيا أصبحت لا تنفرد في قرار حول فلسطين بدون استشارة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا أصبحت الولايات المتحدة أكثر تورطاً في المشكلة الفلسطينية. (101)

وفي عام 1363هـ (1944م) الذي كان عام انتخابات الرئاسة للجمهورية في أمريكا، دخلت القضية الفلسطينية في صلب السياسة الأمريكية المحلية، وتطلب ذلك مضاعفة نشاط وجهود المنظمات الصهيونية للحصول على بيانات تأييد من جميع الأشخاص المهمين في الحياة العامة، بما في ذلك أعضاء الكونغرس. ونظراً للمواقع الحيوية التي يحتلها اليهود في العديد من المدن والولايات الهامة، يمكن فهم الأسباب التي دفعت العديد من المرشحين إلى التسليم بالمطالب الصهيونية أو دعمها وتأييدها، فالكثير من المسؤولين الأمريكيين يعتبرون اتخاذهم موقفاً مؤيداً لليهود يعزز ويقوي مراكزهم في الحكومة. لذا أصبح اتخاذ مواقف أمريكية محددة حول فلسطين يعتمد على الاعتبارات الداخلية أكثر من اعتماده على السياسة الخارجية. ففي 2صفر 1363هـ (27يناير 1944م) قدم للكونجرس مشروعان متطابقان ومتشابهان بخصوص فلسطين، قدم أحدهم السيد كومبتون Compton النائب الجمهوري والثاني قدمه النائب الديمقراطي رايت Wright، كما قدم مشروع قرار آخر لمجلس الشيوخ من عضوين من الحزب الجمهوري والديمقراطي روبرت واغنر Robert Wagner وروبرت تافت Robert taft، حول أوضاع اليهود المشردين في أوروبا، ونصت بأنه على الولايات المتحدة أن تعمل بكافة الوسائل لاتخاذ الإجراءات اللازمة لفتح أبواب فلسطين أمام اليهود، وإتاحة الفرصة لاستيطانهم فيها لكي يتمكنوا من إعادة إنشاء كومنولث يهودي في فلسطين.(102)

وهذان القراران يتشابهان مع برنامج بلتيمور الذي دعا إلى إقامة دولة يهودية، والفارق الوحيد بينهما يظهر في أن القرارين يستخدمان كلمة «إعادة البناء» بدلاً من «إنشاء كومنولث»، وذلك للإيحاء بأنه كانت هناك دولة واختفت، والأمر مجرد مساعدة إعادة بناء هذه الدولة، أما كلمة «إنشاء» فتوحي بأنهم يطالبون بتأسيس دولة جديدة، وأحيل القرار المقدم للكونجرس إلى لجنة الشؤون الخارجية بالمجلس، ورأس اللجنة النائب صول بلوم Sol Bloom من نيويورك، وعرف بميوله الصهيونية، وكان يأمل بأن توافق اللجنة على القرار حتى دون إجراء تصويت عليه، ولكن وزارة الخارجية وقفت بالمرصاد أمام التصديق على هذه القرارات، لأنها رأت أنها ستثير الخلافات في فلسطين والعالم العربي، مما يعرض موقف الحكومة الأمريكية للخطر، كما أن نشر القرارات السابقة سيؤدي إلى غضب العرب، وأن ما توقعته وزارة الخارجية حدث بالفعل، فقد احتجت الحكومات العربية حين علمت بنبأ الإعداد لهذه القرارات، ولكن تمت طمأنة العرب بأنه حتى لو أجازها الكونجرس فهي غير ملزمة للحكومة، وإنما تعبر عن

وجهة نظر شخصية للأعضاء. وجاء في مذكرة الخارجية المقدمة للرئيس روزفلت Roosevelt بالرغم من أن بريطانيا هي المسؤول الأول عن فلسطين، إلا أن حكومة الولايات المتحدة ترى عدم اتخاذ قرار بشأن تغيير الوضع في فلسطين حتى يحين الوقت المناسب وعندئذ يجب أن تتوصل الحكومات المسؤولة عن إقامة السلام، والحفاظ على القانون والعدل، إلى تسوية عادلة لكل القضايا المشتركة بالاستشارة الكاملة للعرب واليهود على السواء.(103)

وقد شاركت وزارة الدفاع وزارة الخارجية في تحفظها على المصادقة على القرارات السابقة، لأنها ستؤدي إلى مضاعفات خطيرة في مناطق فيها مصالح عسكرية وحيوية لأمريكا، وقد أدلى المارشال جورج George رئيس الأركان الأمريكي بشهادته أمام لجنة الشؤون الخارجية، ونتيجة لكل هذه الاعتراضات تم سحب القرارات. ولكن فشل الصهيونية السابق في الحصول على قرارات من الكونجرس لم يحبطها، فقامت بجهود مكثفة وتحركات نشطة حتى استجابت الأحزاب للضغوط. (104)

وفي رجب 1363هـ (يونية 1944م)، أعلن الحزب الجمهوري قراره الداعي إلى فتح أبواب الهجرة إلى فلسطين أمام اليهود، والسعي لتمليكهم الأراضي، كما أعلن الحزب الديمقراطي تأييده ودعمه لما ورد في برنامج بلتيمور. فقد جاء في إحدى بياناته، تحبيذه لفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية، واستيطان اليهود دون أية قيود، ومثل هذه السياسة ستؤدي إلى إقامة دولة ديمقراطية حرة. (105)

وقد استاءت وزارة الخارجية من هذه التصريحات ولفتت الأنظار إلى التأثيرات السيئة التي سوف تحدثها على الرأي العام العربي، وحثت زعماء الأحزاب على الامتناع - خلال الحملة الانتخابية - عن إصدار بيانات وتصريحات من هذا النوع. (106)

وهكذا أصبحت مشكلة فلسطين تشغل الأوساط السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن رسخت مسألة فلسطين في أذهان الرأي العام كواحدة من أهم وأخطر قضايا الساعة، وأن أعداداً كبيرة من الشخصيات غير اليهودية المؤثرة أصبحوا أبطالاً مؤيدين للوطن القومي اليهودي، ومما يؤكد ذلك أن السفير البريطاني في واشنطن السيد هاليفاكس Halifax، حين كتب إلى وزارة الخارجية في ربيع الثاني (يوليو 1945م) أشار إلى أن الكتاب الأبيض خلال الحرب حال دون إنقاذ كثير من اليهود من الاضطهاد النازي. وهكذا فاليهود في مقدورهم أن يثيروا ضد بريطانيا حملة شديدة بسبب نفوذهم القوي في أوساط الإدارة الأمريكية والكونجرس ووسائل الإعلام، واقترح هاليفاكس أن تعرض بريطانيا على الولايات الأمريكية أن تتحمل نصيباً في مسؤولية الانتداب، أو على الأقل تحاول إشراك دولة عظمى في مسؤوليتها في فلسطين. وختم السفير رسالته قائلاً: «بالنسبة للأمريكيين يجب أن يظلوا يمارسون الضغط والنقد والنفوذ دون تحمل أية مسؤولية فهو أفضل وضع لهم، وفي اعتقادي أنه يكون على العكس بالنسبة لنا».(107) وما كان من تشرشل إلا أن أخذ اقتراح هاليفاكس بكل جدية، وكتب إلى وزارة المستعمرات وقيادة الأركان قائلاً: «لا أعتقد أنه يجب أن نأخذ المسؤولية على عاتقنا لإدارة هذا المكان الصعب - فلسطين - بينما

يتفرغ الأمريكان للنقد فقط. وأنا لا أعرف أية فائدة عادت على بريطانيا العظمى من هذا الجهد المؤلم، وجهة أخرى يجب أن تأخذ دورها الآن». (108)

هذه الأفكار تكشف أموراً هامة تستحق التوقف عندها والتأمل فيها وخاصة أنها صادرة من تشرشل Churchill، المعروف عالمياً بدعمه وتأييده وحماسه للصهيونية، ففلسطين لم تشكل في أي وقت كان مسألة حياة أو موت بالنسبة لميزان مدفوعات المملكة المتحدة، أو بالنسبة لمستوى المعيشة فيها، أو للأمن العسكري البريطاني، أو لعلاقات الكومنولث البريطاني. إن أثر فلسطين الرئيسي والحيوي هو في تأثيرها على العلاقات الأنجلو ـ أمريكية في وقت لا تستطيع فيه بريطانيا البقاء بدون الدعم المالي والإستراتيجي الأمريكي.(109)

روزفلت Roosevelt والقضية الفلسطينية:

تعرضت سياسة الرئيس الأمريكي روزفلت لكثير من الانتقادات بسبب غموضها وعدم وضوح اتجاهاتها، فقد أخذ روزفلت يردد بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بأن منطقة الشرق الأوسط كلها بما فيها فلسطين مسؤولية بريطانية. وعند لقائه بوايزمان Weitzman عام 1359هـ (1940م)، بغرض بحث احتمالات اتخاذ سياسة جديدة في فلسطين تختلف عن سياسة الكتاب الأبيض، وصف وايزمان نتائج زيارته أنها لم تكن مرضية، بمعنى أنه لم ينجح في أن يقنع الرئيس الأمريكي بتبني أهداف الصهيونية. واتسم رد روزفلت بالسلبية تجاه طلب اليهود التسليح، شارحاً أن البريطانيين هم المعنيون بالمنطقة. حتى أن روزفلت لم يطرح أي جديد على الرسالة التقليدية التي يبعث بها كل رئيس أمريكي إلى اللجنة الأمريكية الفلسطينية في ربيع الثاني 1361هـ (مايو 1942م)، فروزفلت وإدارته أدركوا خطورة الموقف الحربي، وكان من الضروري الحفاظ على التوازن، وعدم تعريضه لأية اهتزازات، بالتصريحات والإعلانات المؤيدة للصهيونية، الأمر الذي يمكن استغلاله من جانب الألمان الذين كانوا يتقدمون في شمال أفريقيا عام 1361هـ (1942م).(110)

وظهر تعاطف روزفلت مع الصهيونية بشكل واضح عند معالجة مسألة اللاجئين اليهود، فقد اهتم بالمسألة من ناحية إنسانية. كما أنه لم يشأ أن يجعل من صيحات الصهيونيين وحملتهم الدعائية النشطة وسيلة للضغط عليه. لذلك حرص على المشاركة في مؤتمر برمودا عام 1362هـ (1943م)،

الذي أحيا إنشاء اللجنة الحكومية للاجئين واقترح أماكن أخرى يلجأ لها اليهود المضطهدون. كما عمل روزفلت على تشكيل مجلس لاجئي الحرب لاتخاذ كل الإجراءات التي تتعلق بإنقاذ ضحايا الاضطهاد، ولكن سياسة روزفلت لإنقاذ اليهود لم تحظ بالإعجاب من قبل الصهيونية لأنها لم تحقق أهدافهم السياسية، فقد واجه روزفلت عاصفة من الانتقادات.(111)

وفي عام 1362هـ (1943م) الذي يعتبر بداية التورط الأمريكي الرسمي والفعلي في القضية الفلسطينية، أخذ مندوبو الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، بإرسال تحذيرات متكررة حول الانفجار المحتمل في فلسطين، نتيجة لنشاطات الصهيونية في أمريكا خاصة بعد انتشار أنباء مؤتمر بلتيمور الذي دعت فيه الصهيونية صراحة

لإقامة دولة يهودية. وفي ربيع الأول 1362هـ (أبريل 1943م) بعث الملك عبد العزيز بوصفه قائداً عربياً وإسلامياً بمذكرة إلى الرئيس الأمريكي روزفلت، بعد أن أدرك أن الموقف يتطلب الوقوف في وجه الدعاية الصهيونية التي استغلت ظروف الحرب على نطاق واسع، فجاءت رسالة الملك عبد العزيز فيها استنكار لتعاطف بعض أعضاء الكونجرس مع الحركة الصهيونية، وطالب بعدم ربط قضية فلسطين بمشكلة اللاجئين اليهود، ورد روزفلت على الرسالة السابقة بتاريخ 25ربيع الثاني 1362هـ (30 ابريل 1943م) معرباً عن تقديره لتعاون الملك وتفهمه المتعاطف، وأكد بأنه يجب ألا يتخذ أي قرار يمس فيه وضع فلسطين الحالي دون أن يسبقه أي تشاور كامل مع العرب واليهود(112). وقد اعتبرت هذه الرسالة تاريخية، واتخذ تاريخها تحديداً لبداية السياسة الأمريكية الرسمية نحو فلسطين، فهي لأول مرة تستخدم صيغة المشاورات الكاملة، وأصبحت هذه الصيغة مع تعديلات طفيفة، حجر الزاوية للسياسة الأمريكية في فلسطين واستمرت خلال السنوات التالية.

وأخذ تورط أمريكا في القضية الفلسطينية يؤثر على العرب والصهاينة منذ اللحظة التي أعطى فيها الرئيس روزفلت ضماناته للملك عبد العزيز، فكان هذا التعهد بمثابة التزام من الرئيس الأمريكي باسم حكومته بالاشتراك في حل المشكلة الفلسطينية. فروزفلت يعتقد أنه إذا أمكن جر العرب واليهود معاً وإشراكهم في محادثات ودية فإنه من الممكن تسوية خلافاتهم الأساسية. ففي رسالة أخرى بعثها روزفلت إلى الملك عبد العزيز في رجب 1362هـ (يوليو 1943م) جاء فيها: «إن العرب واليهود المهتمين في القضية، يجب أن يصلوا إلى تفاهم ودي فيما يختص بالأمور التي تمس فلسطين من خلال جهودهم الشخصية»(113). ولتحقيق هذا التفاهم كان روزفلت يرى أن الملك عبد العزيز ممكن أن يمثل الجانب العربي، لذلك بعث العقيد هوسكنز Colonel Hoskins، ليقوم بزيارة شخصية للملك، لمعرفة ما إن كان سيشترك في محادثات مع وايزمان أو غيره من ممثلين عن الوكالة اليهودية ليتم البحث معهم عن حل بخصوص مشكلة فلسطين يرضى به كل من العرب واليهود، فرد الملك عبد العزيز على هوسكنز باستياء شديد قائلاً: «إنه لا يود رؤية وايزمان لأنه لا يتكلم نيابة عن فلسطين، ولن يوافق على تسليم فلسطين لليهود»(114).

واستمر روزفلت في اهتماماته بمشكلة فلسطين وبحثه عن حل لها، فبعد عودة هوسكنز من الشرق الأوسط واجتماعه بروزفلت ومناقشة مسألة فلسطين، طرح روزفلت فكرة إنشاء وصاية على فلسطين، بحيث يتم تعيين ثلاثة أشخاص يمثلون الديانات الثلاث المختلفة أي الإسلام والمسيحية واليهودية أوصياء، وبعد ذلك بحث هذه الفكرة أيضاً مع الحكومة البريطانية، وقد تحمست لها الخارجية البريطانية، ولكن انتهت هذه الفكرة عند هذا الحد ولم تعد تذكر بعد ذلك أبداً. وإن محاولة جمع العرب واليهود على أرضية مشتركة ثبت استحالتها، إضافة إلى جانب احتمال إثارة الشرق الأوسط بمحاولة غير ناضجة في تسوية القضية الفلسطينية، كانا سبباً في تأجيل أي قرار بخصوص فلسطين حتى تحين الفرصة المناسبة.(115)

ثم جاءت الانتخابات الأمريكية بعد ذلك، ولما رأى روزفلت تصريح مرشح الحزب الجمهوري ديوي Dewey المؤيد للصهيونية، والداعي إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين، لم يجد بداً من أن يسير على نفس النهج لكسب

الأصوات اليهودية، ويخرج عن تحفظه السابق، فبعث بتصريح في رمضان 1363هـ (أكتوبر 1944م) إلى السناتور واغنر Wagner، ومنه إلى مؤتمر المنظمة الصهيونية الأمريكية في أتلانتيك سيتي Atlantic city يعبر فيه عن تأييده الشخصي لاقتراح إنشاء كومنولث يهودي. وبعد انتهاء الانتخابات وفوز روزفلت بالرئاسة الأمريكية عاد إلى ممارسة سياسته المتحفظة. ففي رسالة بعث بها روزفلت إلى واغنر Wagner ذكر أن هجرة اليهود إلى فلسطين تؤدي إلى مذبحة بين العرب واليهود.(116)

وفي مؤتمر Yalta يالطا (117) الذي عقده الحلفاء في 2ربيع الأول 1364هـ (15فبراير 1945م)، أعدت وزارة الخارجية مذكرة حول فلسطين ليتم التباحث بشأنها من قبل المنظمة العالمية التي سيتم إنشاؤها بعد الحرب وفي طريق عودته من يالطا، عرج روزفلت على مصر، والتقى الملك عبد العزيز آل سعود على ظهر الطراد الأمريكي كوينسي Quincy في البحيرات المرة بقناة السويس في 30 صفر 1364هـ (13فبراير 1945م)، وبعد الحديث عن شؤون الحرب قال روزفلت للملك عبد العزيز: «إنه يشعر بمسئولية شخصية تجاه اليهود اللاجئين» (118) بل إنه ألزم نفسه إلزاماً بالمعاونة في حل هذه القضية، فماذا لدى الملك من اقتراح لحلها. فرد عليه الملك عبد العزيز قائلاً: «فلنعطهم وذريتهم خير أراضي وخير بيوت الألمان الذين اضطهدوهم» (119). ولم ييأس روزفلت من أنه سوف يقنع الملك عبد العزيز بقبول هؤلاء اللاجئين في فلسطين، ولكن الملك عبد العزيز رفض كل عروضه، وفهم مقاصده فقال: «لنجعل العدو الظالم هو الذي يدفع الثمن وهذه هي الطريقة التي يتبعها العرب في حربهم، وعلى المجرم أن يدفع التعويضات، وليس على الشاهد البريء، وما هو الضرر الذي أنزله العرب بيهود أوروبا، فالألمان هم الذين سرقوا بيوتهم وأرواحهم فليدفع الألمان الثمن» (120).

ثم وعد الرئيس الأمريكي العاهل السعودي بأنه لن تتخذ أية خطوات بشأن القضية الفلسطينية دون التشاور مع الزعماء العرب (121)، وقد ترك هذا اللقاء مع الملك عبد العزيز انطباعاً حسناً في نفس روزفلت حيث قال: «لقد عرفت عن القضية الإسلامية والقضية اليهودية في خمس دقائق أكثر مما كان يمكن أن أعرفه من خلال عشرات الرسائل» (122). وهذه الوعود والتصريحات تتناقض مع السياسة الأمريكية كما أعلنت في بيانات الأحزاب السياسية (الديمقراطية والجمهورية)، ولكن كل هذا يعكس الاهتمام الأمريكي باستقرار العالم العربي ونفطه الذي يعتبر أمراً حيوياً بالنسبة لازدهار الاقتصاد العربي.(123)

ولقد أصيب الصهاينة بصدمة عنيفة نتيجة لكل ما صرح به روزفلت. لذلك سعى الحاخام ستيفن وايز Stephen Wise رئيس المجلس الصهيوني الأمريكي لمقابلة الرئيس روزفلت لتهدئة الغضب الذي ظهر في الصحافة الصهيونية. وهدأ القلق مؤقتاً باستقبال الرئيس روزفلت له في 2 ربيع الثاني (16مارس)، وسمح روزفلت له بأن يصرح بعد هذه المقابلة على لسانه بما يلي: «لقد حددت موقفي من الصهيونية بوضوح ولم أغير ذلك الموقف وسأسعى إلى تحقيقه بأسرع وقت ممكن»(124). وبعد ذلك التصريح مباشرة تسلم روزفلت رسالة شديدة اللهجة من العاهل السعودي احتجاجاً على تصريحه الأخير، ورد عليه روزفلت قبل وفاته بأسبوع مؤكداً موقفه، وآراءه السابقة التي قطعها على نفسه أثناء محادثتهما قبل عدة أسابيع حيث قال في رسالته للملك عبد العزيز: «لن أتخذ بصفتي

رئيس أمريكا أي إجراء يكون معادياً للشعب العربي، وهذه الوعود المتناقضة الموروثة في المشكلة الفلسطينية كانت متضمنة في الافتراض الأمريكي بالمسؤولية الجزئية لحل المعضلة بشكل يرضي جميع الأطراف المعنية».

وعموماً كانت سياسة روزفلت تتميز بعدم الثبات والغموض، ومن الصعب الكشف عن حقيقتها، وبناء عليها أصبح لدى كل من العرب واليهود ما يؤكد اعتقادهم بأن روزفلت يحرص على مصالحهم. وقد اختلفت الكثيرون في تقييم سياسته، فمثلاً يدعي وكيل وزارة الخارجية الأمريكية سمنر ويلز Sumner Welles، أن سياسة روزفلت كانت دائماً إلى جانب الصهيونية. وأما بالنسبة للرسائل الأخيرة التي بعثها روزفلت وفيها وعد العرب بألا تمس مصالحهم فان وزارة الخارجية هي التي أعدتها، وروزفلت وقع عليها بشكل روتيني دون أن ينتبه، كما أن هذه الرسائل تحتوي على أكثر من معنى، ولم يرد فيها تعهد رسمي ولكن هذا الرأي يناقضه ما ذكره وزير الخارجية نفسه Edward stettinius إدوارد ستتينيوس الذي يقول: «إن روزفلت لم يكن على غير علم بالأهمية الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية لمنطقة الشرق الأوسط لذلك لن يعمل على المساس بالمصالح الأمريكية في هذه المنطقة(125).

وهذا التضارب في الآراء حول موقف روزفلت الغامض من القضية الفلسطينية يرى البعض أنه يعود إلى أنه لم تكن لديه فكرة صحيحة وسليمة عن قضية فلسطين، ولكن يصعب أن نقبل هذا التفسير لإزالة الغموض من موقف روزفلت. ولعل هذا التناقض في سياسة روزفلت يعود إلى رغبته في كسب الطرفين العرب واليهود، فأصبح موقفه يبدو متناقضاً إذا نظر له من زاوية محايدة.

ترومان والقضية الفلسطينية:

بعد وفاة روزفلت في 29ربيع الثاني 1364هـ (12أبريل 1945م) خلفه نائبه هاري ترومانHarry Truman، وبدأت الصهيونية تمارس ضغوطها للحصول على تأكيدات منه تشير إلى التزامه بوعود الحزب الديمقراطي المؤيدة للصهيونية. وعلى أية حال فلم يرث ترومان أية سياسة أمريكية واضحة من الرئيس روزفلت بخصوص فلسطين، وقد قام الحاخام وايز Wise بزيارة لترومان، وكان وزير الخارجية ستتينيوس سبق وحذر الرئيس بأن زعماء الصهاينة سيحاولون أن يحصلوا على تأييد منه للمخطط الصهيوني لفتح باب الهجرة وإقامة الدولة اليهودية، وقد رد ترومان على وايز بأنه على وفاق تام مع سياسة روزفلت حول فلسطين وسوف يفعل ما يستطيع لتنفيذها، فترومان كان مجبراً على التمسك بسياسة روزفلت حيث أكد في جوابه على خطاب رئيس وزراء مصر (النقراشي باشا) أن الولايات المتحدة لن تتخذ أية إجراءات هامة خاصة بفلسطين دون استشارة كل من العرب واليهود، فترومان كان مجبراً على اتخاذ هذا الموقف نظراً للموقف العالمي والأمن القومي. ولكن تغير موقف ترومان وحدث انحراف كبير لصالح الصهيونية في مؤتمر بوتسدام في 15جمادى الثانية 1364هـ (27مايو 1945م)، حيث أبرقت له المنظمات تلح عليه لاستخدام نفوذه لتسوية قضية فلسطين وفقاً لحاجات اليهود ومطالبهم، ولما تناقش

ترومان مع تشرشل ثم مع آتلي ATTLEE بعد تغير الوزارة البريطانية، قال ترومان إن حكومته تؤيد إدخال أكبر عدد ممكن من اليهود إلى فلسطين.(126)

وهكذا استطاعت الصهيونية أن تضمن أنها ستحقق نجاحاً أكبر مع هذا الرئيس الجديد الذي كان يفتقر إلى الشهرة والتأييد الشعبي، لذلك نجحت الصهيونية في احتضانه، وقد وجد هو في الصهيونية السند الذي يحتاجه، كما أنه لم يستطع مقاومة نفوذ الصهيونية. وان الظروف العالمية بعد انتهاء الحرب، وتغير ميزان القوى، وعدم ارتباط ترومان بأي التزام تجاه العرب، جعلته في حل من أي وعد قدم للعرب وبالتالي حرية الانحياز الكامل لليهود شكل سافر لا لبس فيه ولا غموض.(127)

*   *   *

هوامش الفصل الرابع

(1) إحسان النمر، المرجع السابق، ص 23، المرجع السابق، ص 216.

(2) حرص الملك عبد العزيز آل سعود على أن يسعى بالتوسط لدى بريطانيا للإفراج عن المعتقلين والعفو عن المنفيين. ولهذا أرسلت بريطانيا نائب الوزير المفوض إلى السعودية في نوفمبر 1939م، وقرأ بياناً رسمياً صادراً عن الحكومة البريطانية جاء فيه أنها تسير في تعديل سياستها، وأنها تحترم آراء الملك عبد العزيز لذا قررت إصدار إعلان بهذا الخصوص وهو قيد الدرس الآن.

- إبراهيم المسلم، لمحات عن القضية الفلسطينية ودور الملك عبد العزيز (الرياض، 1985) ص 127.

- كذلك قام نوري السعيد بإجراء مقابلة مع المندوب السامي في بغداد للتوسط لإصدار أمر بالعفو عن جمال الحسيني.

- Co 733/440 ، note of An-Interview with Nuri Pashaa-Bagdad 24.4.1943

- Co 732/87- From Macmichael to Macdonald 31.12.1939.

(3) Co 733/43 ، Reporet About situation From DEC 1939 to feb 1940.

- Co 732/408/15 Telegram MR.Bennett (Alxandria) to foreign office، no.215، 29.7.1939.

- طنوس، المرجع السابق، ص 263.

(4) Co 733/88، Reply to lord moyne might follow the Draft her with 10.10.1944 ،the Times 25.11.1945.

(5) M.Cohen، op. cit، pp. 140 – 144 ، marlowe ، op.cit.، p10.

- Hurewitz، op. cit.، p. 456 ، Esco، op.cit.، v.2.p.188.

- دروزة، القضية الفلسطينية، ج2، ص29.

(6) M.Cohen، op. cit، pp. 144.

(7) الحوت، المرجع السابق، ص 440.

(8) M.Cohen، op.cit.، pp 144.

(9) وقد سبق لنا تفصيل ذلك في الفصل الثالث.

(10) صدقة، المرجع السابق، ص 271.

(11) وذكر ذلك زعيتر، مقابلة شخصية، عمان – يناير 1990 م، أيضاً في كتابه القضية الفلسطينية ص 150.

- Zweig، op.cit، p31.

(12) غنيم، محمد دروزة، ص 54، الغوري، المرجع السابق، ص113.

(13) دروزة، القضية الفلسطينية، ج2 ص 227، جبار، المرجع السابق ص 272.

(14) مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 87 (مارس 1967م) ص12، مذكرات دروزة ج12 ص 88، المرجع السابق، ص 263.

- النشاشيبي، المرجع السابق، ص38.

- Co 733/444، notes of visit Middle East Newcomb، 4.00.1943.

- مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 77 (أغسطس 1967م) ص 24.

(15) هيرزوير، المرجع السابق، ص 114.

- Zweig، op.cit، p33-34.

(16) فمهمته المعلنة أنه جاء لتفقد المدارس التابعة للمجلس الثقافي البريطاني في الشرق الأوسط.

- Zweig، op.cit، p31.

(17) بحجة أنه يعرف مسبقاً أن المفتي سيرفض أن يتباحث بأي شيء يدور حول الكتاب الأبيض، طنوس، المرجع السابق، ص 264.

(18) هيرزوير، المرجع السابق، ص114، انظر الملحق رقم /9/.

- زعيتر، مقابلة شخصية، عمان، يناير 1990 م.

(19) Co 733/444، Notes of Visit Middle East Newcomb. 4.11.1943.

(20) Zweig، op. cit.، 34.

- Co 733/444، from High commissioner to colonies officeno.443.27.10.1943..

(21) هيرزوير، المرجع السابق، ص22.

(22) Co 732/88/15، Reply to Lord Moyne might follow the draft her with، 12.10.1944.

(23) طنوس، المرجع السابق، ص 264، النشاشيبي، المرجع السابق ص 22.

(24) الصباغ، المرجع السابق، ص 237.

(25) زعيتر، مقابلة شخصية، عمان – يناير 1990.

(26) انظر الملحق رقم3 - May 1939 CMD 6019

(27) الوقائع الفلسطينية، الجريدة الرسمية الملحق رقم/1/ عدد 1126، 22 أغسطس 1941.

(28) Survey، V.2 op. cit. p 76-77.

- عادل أحمد الجادر: أثر قوانين الانتداب البريطانية في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين. (بغداد) ص 108 – 115.

- Survey، op. cit. p.179.

(29) أي العلماء والكتاب ورجال الدين.

(30) وهذه الشهادات تسمح لحامليها بالدخول –

- Survey، V.2 op. cit. p180.

(31) الجادر، المرجع السابق، ص 148.

(32) Survey، V.2 op. cit. p205. Esco، V.2، op. cit، p945 ;

(33) وقد غرقت السفينة باتريا في حيفا بسبب تهريب متفجرات على ظهرها وتوفي في الحادث أكثر من 200 شخص، أما بالنسبة لستروما فغرقت في البحر الأسود بفعل لغم بحري بعد أن رفضت السلطات التركية السماح لها بالرسو في ميناء إستنبول.

- سايكس، المرجع السابق، ص 379.

(34) Gavriel Cohen، Churchill & Palestine 1939 – 1942 (Jerusalew: 1976) pp 77- 84.

(35) مذكرات جولدا مائير، ص 1345.

(36) المرجع نفسه.

(37) لت اللجنة الدولية المشتركة في نهاية 1938، عاصم الدسوقي: الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي، (الرياض: 1983م)، ص 30.

(38) جريدة فلسطين 1943/6/14 م ص2، الدسوقي، المرجع السابق ص 30.

(39) لو حسبنا الهجرة الشرعية فقط، المطلوب واحد وثلاثون ألفاً ولو أضفنا الهجرة غير الشرعية العدد المطلوب ستة عشر ألفاً.

(40) Esco، op. cit.، V.2،p.932.

(41) Survey، V.2 op. cit. p.18.

(42) جريدة الدفاع، 1943/11/14م، ص2.

(43) ويذكر أنهم 80 ألف.

- Esco، op.cit، v.2، P 934

(44) Survey، op. cit، pp 183 -186.

(45) انظر الملحق رقم 3 .CMD 6019- May 1939

(46) المادة الثانية من صك الانتداب والتي تنص على ترك الباب مفتوحاً لتمليك اليهود قطاعات جديدة كبيرة في فلسطين، والمادة الحادية عشرة نصت على أن تهدف أنظمة الأراضي إلى تمليكها للمهاجرين، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، ص 128 – 137.

(47) الجادر، المرجع السابق، ص 190.

(48) 733/453 form high commissoner to colonies office 30.11.1943.

(49) وتتكون اللجنة من السكرتير المالي ومدير تسجيلات الأراضي.

- Survey، op.cit، V.2، p261.

(50) الجادر، المرجع السابق، ص 239.

- Survey، op.cit، V.2، p p 262 – 263.

- دروزة القضية الفلسطينية ج1 ص 25.

(51) Esco، op. cit، V.2، p 239 ; M.cohen. op cit، p 90.

(52) لجنة هوب سمبسون Hope– Simpson 1930، اللجنة الملكية Peel 1937 ولجنة وودهيد Woodhead 1938، وكل هذه البعثات عبرت عن وجهات نظر مختلفة في المواضيع الأخرى باستثناء الأراضي حيث أجمعت كلها على تنظيمها.

- G.Cohen، op. cit، p38.

(53) جريدة فلسطين، 1941/4/9 ن ص2.

(54) دروزة، القضية الفلسطينية، ج1، ص 150.

(55) فقد قدمت الوكالة اليهودية في فلسطين شكاوى عنيفة للمفوض السامي كما اشتكى وايزمان إلى العديد من أعضاء الحكومة وطلب التخلي عن هذه الأنظمة أو على الأقل تأجيلها،

- bethel، op. cit، p 59.

(56) G.Cohen، op. cit، p p 22 – 30.

(57) الجادر، المرجع السابق، ص 242 – 246.

(58) جريدة الدفاع 1945/3/23 م، ص 2؛

- Survey، op.cit، V.2، p 264.

(59) Survey، op.cit، V.2، p 119.

(60) وكانت اللجنة برئاسة كروسبي، مفوض مقاطعة سابقاً ويرأس اللجنة الاستشارية لاقتصاد الحرب، وضمت اللجنة أيضاً موظفين رسميين، منهم ضابط مركز عربي، وآخر يهودي.

- Survey، op.cit، V.2، p 120

(61) Esco، 10 p. cit، V.2 ، p 983.

(62) أفنزي، المرجع السابق، ص 153.

(63) سايسك، المرجع السابق، ص 361.

(64) جريدة الدفاع، 1945/3/16، ص3.

(65) انظر الملحق رقم /3/. CMD 6019 - may 1939.

(66) M.Cohen، op. cit، p p 88 ; Zweig، op. cit. p 6-8.

(67) Zweig، op. cit. p 16.

(68) M.Cohen، op. cit، p 94.

(69) Co 733/410/15 from Macmichael to Macdonald ، no. 80، 13.12.1939.

(70) Co 733/410/15 from High commissioner to the Secretry of state، no 1657، 24.11. 1941.

(71) كما عارض حزب العمال وحزب الأحرار أيضاً الكتاب الأبيض.

- Zweig، op. cit. p18.

(72) Ibid p 18.

(73) G.Cohen، op. cit، p p 29-28.

(74) Zweig، op. cit. p19.

(75) G.Cohen، op. cit، p 28.

(76) Ibid p 29.

(77) Zweig، op. cit. p 212 ; co 733-12 ; Telegram from High commissioner to colonel's office 9.11.1940

(78) انظر ص 202.

(79) Zweig، op. cit. p. 41-43 ; Esco، op. V.2. p. 932.

(80) Zweig، op. cit. p179 ; Weizman H ، Trial and Error ، (London: 1949) p 523.

- ونستون تشرشل، مذكراته (بيروت 1975) ج2 ص 293.

(81) جريدة الدفاع 1944/9/21 م، ص 2.

- The Times 23.8.1945 ; Zweig، op. cit. p p 175 – 176.

(82) Michael J.Couen، Palestine and the Great powers 1945 – 1948 (Princeton، 1982)، p 12 – 14.

(83) لقد اختارت حكومة العمال في 13 نوفمبر كما إلغاء الكتاب الأبيض مع إسعاف اليهود في المعسكرات، سمحت بدخول 1500 مهاجر يهودي شهرياً إلى فلسطين

- Weizmann، op. cit، p p 433-440.

(84) في أثناء لقاء وايزمان بالسفير الأمريكي في باريس خلال انعقاد المؤتمر: قال وايزمان له ((إن ساعة الصفر قد حانت بالنسبة لليهود وإن وايزمان يمد يده مرة أخرى لأمريكا كي تتوسط لمساعدتهم)).

- Bethell، op.، cit، p 64.

- Michaele Jansen، the united states and the Palestinian people ، (Beirut ، 1975) p 7.

(85) النشاشيبي، المرجع السابق، ص 38.

(86) Gardell Hull، Memories، (new york، 1948) p 1530.

(87) Evav. Wilson ، the Palestine paper 1943 – 1947 Palestine studies ، V.11 no.4 – (summer 1973) p 24.

(88) وقد جاء هذا التصريح خلال مقابلة شخصية للرئيس الأمريكي مع الدكتور وايزمن والدكتور سلفر من أجل تهدئة غضب الصهاينة.

- Wilson، op. cit، p 25.

(89) محمد شديد: الولايات المتحدة والفلسطينيون (بيروت 1981) ص 28 – 30.

(90) عندما شاركت القوات الأمريكية جنباً إلى جنب مع بريطانيا في عمليات البحر الأبيض المتوسط 1942م.

- M.Cohen، op. cit، p 152.

(91) Ibid p p 153 – 154.

(92) Stevens، R.B. American Zionism & Forign policy 1942 – 1947 (New York، 1962) p3 ; Hurewitz، op. cit، p 144.

(93) Esco، op، cit. V.2، p 1078 ; Stevens ، op. cit. p p 4-14 Weizmann، op. cit، p 536.

(94) Francis Willams ، ((prime minister attlee on president truman's Palestine policy ((1945 – 1946)).

- In W. khalidi، from haven to conouset (Beirut ، 1971) p.1.

(95) M.Cohen، Palestine، p 14.

(96) Ibid p 12 – 14.

(97) Hull، op. cit، p 1544.

(98) Wilson ، op. cit، p 38.

(99) مذكرات المفتي، مجلة فلسطين، العدد 77 (أغسطس 1967) ص 13.

(100) Hull، op. cit، p 1534.

(101) Hull، op. cit، p 1534.

(102) وعرف القراران بأرقام 418 –419.

- Stevena، op. cit، p p 39 - 40.

(103) Hull، op. cit، p 1543.

(104) Wilson، op. cit.، p 41.

(105) Ibid.

(106) Wilson، op. cit.، p. 42 ; Stevens، op. cit.، p. 41.

(107) M.Cohen، Palestine. P.15.

(108) M.Cohen، Palestine. P. 15.

(109) Ibid p. 17.

(110) Stevens، op. cit.، p p 66 – 67.

(111) Hurewitz، op. cit، p 175.

(112) أحمد حسين العقبي: أسرار لقاء الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت (الرياض 1404 هـ) ص 147، 148.

- أحمد عبد الغفور عطار: أبن سعود والقضية الفلسطينية، (بيروت 1974) ص 184، 185.

- M.Cohen، op. cit.،. P 191

(113) Hull، op. cit، p 1564.

(114) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، (بيروت 1985م) ص 1121 – 1124.

- عطار، المرجع السابق، ص 159.

(115) Stevens، op. cit.، p 76 ; Wilson، op. cit.، p 41.

(116) Hull، op. cit..

(117) يالطا مدينة بجمهورية روسيا السوفييتية عقد فيها هذا المؤتمر أواخر الحرب العالمية – اشترك فيه روزفلت وتشرشل وستالين للإعداد لمرحلة ما بعد الحرب، العقاد، المرجع السابق، ص 383.

(118) Stevens، op. cit.، p 89.

(119) العقبي، المرجع السابق، ص 116.

(120) العقبي، المرجع السابق، ص 116.

(121) Charles D. Smith ، Palestine and the Arab Israeli conflicet. (New York ، 1988) p 25.

(122) Hurewitz، op. cit، p 214.

(123) Smith، op. cit، 25.

(124) Stevens، op. cit.، p 89.

(125) Ibid p 122 - 128.

(126) Stevens، op. cit.، p 129 ; Krik، op. cit.، p. 32 7. M.Cohen، op. cit.، p. 50.

(127) Krik، op. cit، p 327.

* * *

الخاتمة

بدأ الفلسطينيون مقاومتهم للحركة الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر، وذلك حين أخذت أعداد كبيرة من يهود روسيا تهاجر إلى فلسطين، في أعقاب اغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني Alexander عام 1298هـ (1881م)، واشتراك شباب اليهود في الحادث. واشتدت المقاومة كلما ازدادت الحركة الصهيونية تصميماً وتنظيماً على تحقيق فكرة الوطن القومي اليهودي، وخاصة بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1315هـ (1897م) في مدينة بال Basle بسويسرا، مؤسس الحركة - الفكرة الصهيونية - ثيودور هرتزل Theodor Herzl، وتبنت الحركة الصهيونية رسمياً فكرة الوطن القومي اليهودي.

وبعد تحالف الصهيونية مع الاستعمار البريطاني رسمياً، وبإصدار تصريح بلفور عام 1335هـ (1917م)، الذي نص على قيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين، تحولت حركة المقاومة الفلسطينية إلى حركة وطنية تهدف إلى حماية فلسطين، واستقلالها من الاحتلال البريطاني، وقيام حكومة وطنية من عرب فلسطين، للحيلولة دون قيام وطن قومي يهودي في بلادهم.

وأخذت الحركة الوطنية الفلسطينية تنمو وتزداد قوة وتنظيماً منذ بداية عهد الانتداب عندما أدرك عرب فلسطين أن الاستعمار والصهيونية يتآمران عليهم وعلى وطنهم، ويعملان على طمس معالمهم، وذلك بتحويل فلسطين إلى وطن لليهود وطرد العرب منه. حينذاك ازداد تصميم الحركة إلى الاحتجاج على السياسة البريطانية، بإرسال العرائض والوفود إلى لندن لشرح القضية الفلسطينية أمام المسؤولين البريطانيين، ولما لم تجد تلك السياسة نفعاً، لجأوا إلى الكفاح المسلح، فقاموا بانتفاضات متتالية وثورات متكررة، وقد بلغت هذه الحركة ذروتها وأوج نشاطها في منتصف الثلاثينات، وبالتحديد عام 1355هـ (1936م)، عندما تفجرت أكبر ثورة شهدتها البلاد العربية في النصف الأول من القرن العشرين، والتي وجهت لأول مرة ضد بريطانيا والصهاينة معاً، وليس ضد اليهود وحدهم.

وهذا التوجه الجديد في مسار الحركة الوطنية، جاء نتيجة لإدراك عرب فلسطين ووعيهم السياسي بأن بريطانيا هي أس البلاء، وأساس المشكلة الفلسطينية، وسطرت هذه الثورة أروع آيات الكفاح والجهاد في سبيل نصرة الحق المغتصب، ولكن بريطانيا غالت وتطرفت في قمع هذه الثورة عسكرياً ففشلت، ولجأت إلى الأساليب السياسية، وطلبت من أصدقائها من حكام العرب أمثال الأمير عبد الله، ونوري السعيد، التوسط لدى قادة الحركة الوطنية في فلسطين، كما حرصت بريطانيا على أن يشارك الملك عبد العزيز في هذه الوساطة لإيقاف الثورة نظراً لمكانته السياسية بين العرب، خاصة زعماء فلسطين. وقد قبل بأن يتوسط عند قادة الحركة للوصول إلى حل لهذه الأزمة، وحقناً لدماء هؤلاء الشهداء، شريطة أن تتعهد بريطانيا بإنصاف عرب فلسطين. ونجحت هذه الوساطة وبالفعل توقفت الثورة بتعهد من الحكام العرب بألا تخيب بريطانيا آمالهم في إنصاف عرب فلسطين.

وكانت النتيجة أن أرسلت بريطانيا لجنة تحقيق أخرى جديدة، وهي لجنة بيل Peel الملكية لامتصاص الغضب من ناحية، وإجهاض الثورة من ناحية أخرى، وتم لها ما أرادت، فاللجنة أوصت بتقسيم فلسطين إلى قسمين: الأول تقام فيه دولة يهودية، والقسم الثاني يضم إلى إمارة شرقي الأردن.

حينئذ أدركت قيادة الحركة أن بريطانيا خدعتها، فقررت استئناف الثورة المسلحة حتى تتحقق مطالبهم الوطنية. وأرسلت بريطانيا لجنة جديدة عرفت باسم لجنة التقسيم برئاسة وودهيد Woodhead، وأوحت إليها بمحاولة الطعن في مشروع التقسيم. وقررت بالفعل أن تنفيذه غير عملي، وهكذا تراجعت بريطانيا عن مشروع التقسيم، أملاً في إيقاف الثورة، ولكن دون جدوى. فلجأت إلى فكرة عقد مؤتمر للعرب واليهود ووجهت الدعوة لأول مرة لإشراك البلاد العربية المجاورة وإلى عرب فلسطين بغرض التوصل إلى حل لمشكلة فلسطين، وهي تأمل أن يجتمع فيه المندوبون العرب والمندوبون اليهود للموافقة على سياستها الجديدة. ولكن بريطانيا أصيبت بخيبة أمل شديدة حين اضطرت إلى تقديم عدد من التنازلات عن الشروط التي تشدقت بها خوفاً من أن تنهار فكرة عقد المؤتمر. وهذا أثبت مدى قوة موقف عرب فلسطين في تلك الفترة. واستمرت المفاوضات والمداولات الخاصة في المؤتمر في جو دبلوماسي قدمت بريطانيا في نهايتها مقترحات للجانبين العربي واليهودي. ولكن لم تلق القبول من العرب واليهود ففشل المؤتمر في تحقيق أهدافه المعلنة وهي حل المشكلة الفلسطينية. ويعزى ذلك إلى عدم رغبة بريطانيا الصادقة في حل المشكلة، وقوة الضغط الصهيوني، وبداية التدخل الأمريكي لصالح الحركة الصهيونية. وعادت الوفود العربية، وعرب فلسطين بالذات، من لندن بخفي حنين.

وكان شبح الحرب يخيم على أوروبا، والعالم يقف على فوهة بركان، وفلسطين لا تزال تسلب النوم من أجفان بريطانيا بوضعها المشتعل. ونتيجة لهذه الحالة، كان على بريطانيا أن تسرع في حل المشكلة الفلسطينية كي تتفرغ لمجابهة الأحداث. ويتفرغ جيشها للتنقل والحركة في أوروبا بدلاً من فلسطين، كما أن بريطانيا كانت في حاجة في الحرب المقبلة لضمان صداقة العرب وهدوء الجبهة الداخلية في بلادهم، فوضعت سياستها الجديدة التي تضمنها الكتاب الأبيض في مايو 1939م، والذي استند في حقيقته على المقترحات التي سبق وقدمتها بريطانيا خلال المؤتمر، مع إدخال تعديلات طفيفة. وقد حملت هذه السياسة البريطانية الجديدة شيئاً من النجاح لعرب فلسطين، فهي لأول مرة تعترف صراحة بحق العرب في الاستقلال وتشكيل حكومة، وحدد الكتاب الأبيض الهجرة اليهودية، وقيد انتقال الأراضي إلى أيدي اليهود. فقد اعترف بأن استمرار انتقالها مجحف بحقوق العرب ومهدد لكيانهم، ولكن هذه الإيجابيات التي حواها الكتاب الأبيض لم تكن هي كل ما يصبو إليه عرب فلسطين فلا تزال ناقصة(1)، إضافة إلى أن بريطانيا لم تضمنها تعهداً أكيداً بالبدء بتنفيذها فوراً وبشكل كامل، فقد كانت صفتا الإطلاق والغموض تلف مراحل تنفيذه، لذا فما كان من عرب فلسطين إلا عدم قبوله. ولكن هذا الرفض لم يكن بدرجة واحدة، فالمفتي الحاج أمين الحسيني وجماعته تميز موقفهم بالحدة والرفض، وسجلوا ذلك في بيان اللجنة العربية العليا الذي صدر في اليوم التالي لصدور الكتاب الأبيض، بينما مالت بعض الأطراف الفلسطينية الأخرى إلى القبول به، عملاً بسياسة خذ وطالب، واعتبروه نصراً لهم وسوف يستغلونه للمطالبة بالمزيد. وفي الحقيقة إننا لا نستطيع أن نجزم بأن أحد

الفريقين مصيب والآخر مخطئ، لأن الرافضين للكتاب كان موقفهم يستند على أساس أنه لا يحقق الأهداف الوطنية والأهداف القومية. والفريق الآخر الذي مال إلى القبول به كان موقفهم يستند على الرضا بالأمر الواقع وأن نجاحاً بسيطاً أفضل على أي حالة من فشل كامل.

أما اليهود فقد كان موقفهم موحداً في رفضهم القاطع للكتاب الأبيض. فقامت ضجة كبرى ومظاهرات عدائية ومقاومة عنيفة لبريطانيا، لأنهم اعتبروا أن الكتاب الأبيض ينسف مشروعهم في تحقيق دولة على أرض فلسطين من جذوره. ولكن مسألة رفض أو قبول العرب واليهود لهذا الكتاب الأبيض غير ذي بال، لأن بريطانيا أعلنت حال صدوره أنه سياسة رسمية لها وأنه سينفذ بعض النظر عن القبول به أو رفضه، وعموماً فقد كان صدور هذا الكتاب آخر تطور وصلت إليه القضية الفلسطينية حتى عام 1939م. وبعد اشتعال الحرب العالمية الثانية التي كانت فترة مميزة في تاريخ البشرية في العصر الحديث، وتركت آثارها على معظم بقاع الأرض، وكانت فلسطين من أكثر البلاد تأثراً بمجريات الأمور خلال هذه الحرب بحكم وضعها تحت سلطات الانتداب البريطانية، التي كانت في نفس الوقت طرفاً أساسياً في الحرب الطاحنة.

وقد استقبل عرب فلسطين نبأ إعلان الحرب بالحذر والترقب، ولم يبدر منهم أي حماس للوقوف إلى جانب الحلفاء، كما فعلوا في الحرب العالمية الأولى. فالفشل الذي أصاب العرب من خديعة الحلفاء لهم مازال ماثلاً في أذهانهم، لذلك أخذت عواطفهم تميل نحو دول المحور، ومع ذلك فقد تطوع بعض الشباب لأسباب مختلفة في جيش الحلفاء، ولكن أعدادهم كانت قليلة إذا ما قورنت بأعداد المتطوعين من اليهود.

وقد اشتعلت الحرب وأوضاع فلسطين الداخلية في أسوأ حال، فالأوضاع الاجتماعية في غاية البؤس، فقد تركت الثورة بصماتها الواضحة على أوجه الحياة المختلفة، فقطاعات المجتمع المختلفة شاركت في نشاطات الثورة. لذا عندما جاءت الحرب ولفظت الثورة أنفاسها الأخيرة، حاول عرب فلسطين بكافة فئاتهم الاجتماعية النهوض بأوضاعه والالتفات لتحسينها، فزاد تكتل الفئات الاجتماعية في تنظيمات وتشكيلات محددة، كنوع من الالتفاف والتجمع لدرء الأخطار عنهم، وللعمل على تحقيق مصالحهم، وأما بالنسبة للوضع الاقتصادي لعرب فلسطين خلال الحرب، فقد تأثر الاقتصاد بالظروف المحيطة به. فأصبحت فلسطين من أهم المراكز الاقتصادية الداعمة للمجهود الحربي لدول الحلفاء. إذ كانت تعتمد على مواردها الاقتصادية لتموين الجيوش البريطانية المعسكرة فيها، لذا فقد انتعش الاقتصاد العربي في فلسطين نتيجة لهذه الظروف التي أجبرت بريطانيا على اتخاذ هذا التكتيك الذي لا يتماشى مع سياستها السابقة، والقائمة على خنق الاقتصاد العربي وازدهار الاقتصاد اليهودي.

وأما بالنسبة للنشاط السياسي لعرب فلسطين خلال الحرب الذي هو لب الحركة الوطنية. فكثيراً ما يوصف في هذه المرحلة بأنه راكد وأن الحركة الوطنية تجمدت عند مرحلة الثورة ولم تتطور بشكل ملموس خلال هذه السنوات. ولكن من دراستنا المتأنية لنشاط كل الهيئات، والأحزاب والزعامات السياسية خلال هذه الفترة، اتضح لنا أن هذه الانتقادات ربما كان مبعثها أن سنوات الحرب خلت من أي نشاط سياسي بارز أو ثورة مسلحة أو انتفاضة عنيفة. ولكن الحقيقة أن الملابسات والظروف التي أحاطت بالحركة الوطنية خلال هذه الفترة فرضت عليها هذا المظهر

الجامد نوعاً ما. ففي سنوات الحرب الأولى خلت البلاد من مؤسسات سياسية تستطيع أن تحافظ على جذوة الحركة الوطنية. فالزعماء السياسيون مشردون تحت كل كوكب. وظروف الحرب دفعت الحكومة إلى فرض الأحكام العرفية، وقانون الطوارئ، فكان ذلك سيفاً مسلطاً ضد أي نشاط وطني فلسطيني، إضافة إلى أن الأمل الذي بثه الكتاب الأبيض في نفوس عرب فلسطين، كان له أثره النفسي والفعلي على مسار الحركة الوطنية. فبعض العناصر قبلت به ونادت بالتعاون مع سلطات الانتداب، والبعض الآخر رفضه ونادى بمقاومة الحكومة، ولكن هذا الوضع لم يستمر طوال الخمس سنوات، كما أن النشاط السياسي لم يتركز في الداخل.

وبعد دوران عجلة الحرب قليلاً، بدأت الحكومة تسمح لبعض الزعماء السياسيين بالعودة إلى البلاد، ولكن بعد أن تعهدوا للسلطات بعدم ممارسة أي نشاط سياسي. وكان زعماء حزب الاستقلال أول من سمح لهم بالعودة. وبعد تحسن موقف بريطانيا العسكري، أخذت سلطات الانتداب تخفف قليلاً من الحظر الذي كانت تفرضه على النشاط السياسي، واستأنفت الأحزاب السياسية إعادة تنظيم صفوفها، وإعادة الحياة إلى عروقها، فاهتم زعماء حزب الاستقلال بالناحية الاقتصادية، لذلك جاء معظم أنصارهم من أوساط الطبقة التجارية في المدن، ولكن لم يكن الحزب ذا فعاليات هامة وخطيرة كالحزب العربي، الذي كان يعتمد على الدعم الجماهيري في جميع أنحاء البلاد. لذلك وضعت الحكومة العراقيل إزاء عودة زعمائه حتى تضمن عدم عودة نشاطه. وقد فشلت هذه الأحزاب في إعادة تشكيل اللجنة العربية، أو إيجاد هيئة سياسية بديلة. وعموماً فقد اتسم نشاط هذه الأحزاب بالطابع الوقائي، لأنه عبارة عن احتجاجات وبيانات ومذكرات عما يصدر من الحكومة البريطانية، لذا فقد كان نشاطها ضعيفاً وهزيلاً فاستحق فعلاً أن يوصف بالركود.

ولكن النشاط السياسي لم يرتبط بالأحزاب التقليدية فقط، فقد تفتقت فترة الحرب عن تشكيلات وتنظيمات ذات طابع سياسي تظهر لأول مرة على المسرح السياسي، كحزب التقدم، الذي لم ينجح في أن يقدم نفسه إلى المجتمع بصورة جيدة، فاختفى ذكره بعد مدة قصيرة، كما نجح تشكيل «الإخوان المسلمون» الذي ظهر في مصر في أن يمد نشاطه إلى فلسطين، فظهرت أولى تشكيلاته في «جمعية المكارم» التي لم يكن لها وزن سياسي كبير، ولكن مجرد ظهورها كنواة أولى لتشكيلات الإخوان التي ظهرت بوضوح في فترة ما بعد الحرب، يعتبر تطوراً سياسياً واجتماعياً هاماً.

وفي الحقيقة فإن أهم هذه التطورات السياسية ظهرت في شكل التنظيمات العمالية، والتي ترجع جذورها لفترة سابقة، ولكنها لم تظهر بهذا الزخم وبهذه القوة إلا في سنوات الحرب نظراً لأن ظروف العمال تحسنت وزادت أعدادهم، إضافة إلى أن السلطات البريطانية تغاضت وسمحت لهم بالتعبير عن أنفسهم، لأن الاتحاد السوفييتي كان حليفاً لبريطانيا في هذه الحرب، فأرادت مسايرته، وخففت من قبضتها عن هذه التشكيلات اليسارية. ولكن كل هذه التنظيمات لم تستطع أن تشعل جذوة الحركة الوطنية وتعيدها إلى سابق عهدها في الثلاثينات، لجدتها على المسرح السياسي، وقلة خبرتها، ولكن مجرد ظهورها وإفصاحها عن نفسها وانضمامها إلى الخريطة السياسية بشكل أكبر بعد فترة الحرب، يعتبر تطوراً هاماً في حد ذاته ترك بصماته على المسرح السياسي الفلسطيني.

وقد امتاز النشاط الوطني في فترة الحرب بنشاط سياسي مكثف خارج البلاد، وارتبط بالزعماء والقادة الفلسطينيين الذي كانوا مشتتين في الدول المجاورة. فعمل كل منهم ما في وسعه لخدمة قضية بلاده، وقد تفاوتت قيمة ووزن النشاط حسب أهمية وشخصية كل زعيم فلسطيني، ولكن جل النشاط الفلسطيني ارتبط بالمفتي الحاج أمين الحسيني الذي تحمل أعباء هذا النشاط ومارسه بفعالية ونشاط جديرين بالاهتمام، فهو منذ خروجه من لبنان عشية اشتعال الحرب العالمية الثانية، أخذ على عاتقه أن يستغل فرصة الحرب ليعمل على دفع قضية بلاده إلى الأمام، باستغلال ظروف الصراع بين القضيتين للحصول على أفضل النتائج. وكان لامناص أمامه من دعم دول المحور، لأن بريطانيا لم تترك له أي مجال يشجعه على فتح باب التعاون معها. ولذلك قرر أن يرمي بثقله في جانب المحور وبادر بالاتصال بألمانيا وإيطاليا. ولكن بريطانيا التي كانت للمفتي بالمرصاد عطلت جهوده. وأحبطت حركة الكيلاني قبل أن تثمر، مما جعل المفتي يكشف عن أوراقه ويتجه علانية وبشكل صريح إلى دول المحور بعد أن تشددت بريطانيا في مطاردته. وهذا كله أضعف من موقف المفتي في محاورته لألمانيا وإيطاليا، وجعله يفقد أرضه الصلبة التي يتحدث منها، فأصبح تحت رحمتهم. فدول المحور لم ترد أصلاً وبصدق مساعدة العرب على تحقيق أمانيهم بالوحدة والحرية والاستقلال، بل أرادت وعملت على استغلال التناقضات، وليكون لها دور أكثر فعالية في المنطقة العربية، ولإحراز النصر في الحرب الدائرة، لذا أخذت تماطل وتعطل التصريح الذي ما فتئ المفتي يطالب به، إلى أن تدهور موقفها العسكري، ولاحت بشائر النصر للحلفاء. وعاد المفتي مرة أخرى مطارداً من بريطانيا، وبالرغم من هذا كله فقد كان شرف المحاولة وبذل الجهد الذي لم يثمر دليلاً أكيداً على نشاط المفتي الدؤوب والمستمر لخدمة قضية بلاده، وإن لم يطق أن يصبر كغيره من الزعماء الفلسطينيين الآخرين حتى تتكرم بريطانيا وتنفذ ما وعدت به من بنود الكتاب الأبيض، لاعتقاده الجازم بأن بريطانيا لم تكن صادقة في نواياها، وإن ظروف الحرب هي التي أجبرتها على إصدار الكتاب الأبيض.

ومن أهم التطورات التي أصابت القضية الفلسطينية خلال فترة الحرب، أن دخلت القضية مرحلة التعريب التي بدأت أولى خطواتها عندما وجهت بريطانيا الدعوة للدول العربية لحضور مؤتمر لندن. وقد تكرس هذا التعريب عندما ولدت جامعة الدول العربية التي جسدت الحلم الوحدوي الذي طالما تطلع له عرب فلسطين بكثير من اللهفة، لأنهم اعتبروا الوحدة العربية آخر أمل لإنقاذهم من الصهيونية العالمية التي كانت تعمل بنشاط كبير لإنشاء الوطن القومي اليهودي. ولكن بريطانيا فطنت إلى الأمل الذي علقه عرب فلسطين على هذا المشروع الوحدوي، فضغطت بريطانيا على الحكومة المصرية التي تبنت المشروع وكانت تعمل على تنفيذه، حتى لا يكون لفلسطين دور رئيسي فيها. ولكن اختيار موسى العلمي ممثلاً لعرب فلسطين، وكونه سياسي بارع ودبلوماسي ماهر، مكناه أن يخرج من مشاورات الوحدة في الإسكندرية بقرارات لصالح فلسطين، تمثلت في إنشاء المكاتب العربية في العواصم العالمية، بغرض الدعاية للقضية الفلسطينية. كما وافقت الدول العربية على تمويل مشروع إنشائي بهدف إنقاذ الأراضي من أيدي اليهود، ليس بشرائها كما جرت العادة، ولكن بتحسين أحوال الفلاح حتى لا يلجأ إلى بيعها وذلك بجمع الأموال

اللازمة من البلاد العربية لشراء الأراضي العربية ووقفها، أي تصبح وقفاً يستحيل التصرف فيها. وبذلك يحافظون على عروبة الأرض حتى لا تقع فريسة في أيدي المنظمات اليهودية.

ولكن بريطانيا تداركت هذا الخطر فلم تسمح لموسى العلمي بتمثيل فلسطين مرة أخرى، فضغطت بريطانيا على الجامعة العربية حتى أصبح أمر اختيار مندوب فلسطين من قبل أعضاء الجامعة. كما نجحت الجامعة العربية أيضاً في مساعدة أهل فلسطين على إنشاء هيئة عربية عليا جديدة قوامها الرئيسي ممثلو الأحزاب السياسية التقليدية.

أما بالنسبة للسياسة البريطانية إزاء كل هذه التطورات التي طرأت على القضية الفلسطينية خلال هذه الفترة، فقد كانت تستند على خدمة مصالحها بالدرجة الأولى. وبناء على الكتاب الأبيض الذي أصدرته قبيل الحرب كان عليها أن تنفذه خلال هذه الفترة حسب ما أعلنته، وقد بدأت أولى إجراءاتها في هذا الخصوص عندما ظهر الكولونيل نيوكومب في المنطقة عام 1358هـ (1940م)، وقابل بعض الزعماء الفلسطينيين في بغداد، وتم الاتفاق على قبول سياسة الكتاب الأبيض، وهذا مما يدل على أن عرب فلسطين لم يكونوا موحدين في رفضهم الكتاب الأبيض، ولكن فجأة اختفى نيوكومب كما ظهر، وساد الاعتقاد بأنه لم يكن ممثلاً رسمياً للحكومة البريطانية. ولم يجد أي جديد في السياسة البريطانية، ونتيجة لغموض مهمة نيوكومب وسريتها أثارت عدداً من التساؤلات، ولكن السياسة البريطانية المعقدة والخبيثة تجعلنا ندرك أنه لا يمكن أن نفسر كل حلقاتها وتعقيداتها، وأن رحلة نيوكومب إحدى هذه الحلقات، فربما جاء لينفذ ما هو مرسوم له وعاد، بغض النظر عن رأي العرب فيه أو اعتقادهم بشأنه.

ولكن الاختبار الحقيقي الذي واجهته السياسة البريطانية هو في تطبيق سياستها الرسمية «الكتاب الأبيض» على أرض الواقع، وأن تثبت أنه كان حقاً سياسة فعلية، بنية صادقة، وليست مجرد حبر على ورق، وبتتبع الإجراءات البريطانية التي اتخذت لتتماشى مع هذه السياسة، يثبت لنا أن سياسة الكتاب الأبيض كانت واهية، وظاهرية، وكان الغرض منها إعلامياً لخدمة ظروف الحرب، وأهدافها، فبالنسبة للهجرة اليهودية مثلاً حددت الأعداد، ولكن السبب يعود إلى ظروف الحرب وليس إلى سياسة الكتاب الأبيض. أما الأراضي فبالرغم من إصدار قوانين تتلاءم وبنود الكتاب الأبيض، إلا أنه عند الدراسة اتضح أنها تتماشى مع سياسة التقسيم الذي سبق وطرح عام 1937م ثم سحب، وهذا يدل على أن مقاصد بريطانيا لم تكن سليمة، وأن سياستها المستقبلية في فلسطين تسير ضد مصالح العرب. وينسحب نفس الرأي على الحكم الذاتي، فبريطانيا لم تنفذ أي إجراء دستوري مهما كان نوعه. فالحكومة البريطانية سارت على سياسة واحدة تقضي بعدم إشراك العرب في حكم البلاد.

ولكن ظروف الحرب أجبرتها على اتخاذ تكتيك جديد تمثل في إصدار الكتاب الأبيض بغرض التعامل مع تطورات جديدة. وكان من الصعب على دوائر الحكومة البريطانية التي سارت على سياسة معينة تقليدية، أن تتقبل هذا التكتيك الجديد. لذا فقد ساد الانقسام دوائر الحكومة البريطانية حول تنفيذ بنود الكتاب الأبيض، فبينما حبذت وزارة الخارجية والمستعمرات، تنفيذه لأنها كان تدرك مدى أهمية العرب، وضرورة كسب ودهم في تلك الظروف الحرجة، كانت الوزارات الأخرى لا تحبذ تغيير الإستراتيجية التقليدية. ومما زاد الأمر تعقيداً استقالة وزارة تشمبرلين التي أصدرت الكتاب الأبيض. وخلفتها وزارة برئاسة تشرشل الذي عرف بمعارضته للكتاب الأبيض من

قبل صدوره، نظراً لميوله الصهيونية مما ساعد على تجميد سياسة الكتاب الأبيض. وهكذا بدأت عملية نسف الكتاب الأبيض، عندما سيطر على الساحة مشروعان: الأول مشروع التقسيم الذي اقترحته اللجنة الوزارية لفلسطين في رمضان 1363هـ (سبتمبر 1944م)، وعند إعلانه حاز على دعم وتأييد ماك مايكل Mac – Michael المندوب السامي في فلسطين، والمقيم البريطاني في الشرق الأوسط اللورد موين Moyne، وهما معاً إلى جانب غالبية وزارة تشرشل Churchill تغلبوا على معارضة وزارة الخارجية والسفراء البريطانيين في الشرق الأوسط.

ولكن الإرهاب اليهودي الذي أودى بحياة اللورد موين Moyne الذي كان صديقاً حميماً لتشرشل، دفعه لوضع مشروع التقسيم الجديد على الرف، مع أنه كان على جدول أعمال مجلس الوزراء، وساعده على ذلك معارضة اللورد غورت gort المندوب السامي الجديد في فلسطين، والسير غريج Grigg الوزير البريطاني المقيم في القاهرة. ففي جمادى الأول عام 1364هـ (أبريل 1945م)، عقد مؤتمر في القاهرة حضره الدبلوماسيون الإنجليز والمسؤولون العسكريون في الشرق الأوسط، وشجبوا المشروع بالإجماع، فدفنت الفكرة نهائياً. أما المشروع الثاني الذي تقدم به غريج Grigg، وهو عبارة عن وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية، وبذلك يضع حداً لمسؤولية بريطانيا بشكل كامل لمشكلة الهجرة اليهودية الشائكة فتصبح مسؤولية الهجرة من اختصاص الهيئة الدولية ولكن المشروع فشل، فقد واجه معارضة قوية من العرب، لأنه ابتعد كثيراً عن الكتاب الأبيض، الذي نص على فيتو عربي على الهجرة اليهودية بعد عام 1363هـ (1944م)، واختتمت عملية نسف الكتاب الأبيض بعد انتهاء الحرب مباشرة، عندما صرح بيفن Bevin وزير الخارجية البريطاني في ذي القعدة 1364هـ (أكتوبر 1944م)، في بيان له أنه تقرر تشكيل لجنة أنجلو - أمريكية للنظر في المشكلة الفلسطينية.

وقد اتخذت السياسة البريطانية خلال فترة الحرب إستراتيجية جديدة تمثلت في جذب الولايات المتحدة الأمريكية إلى المشاركة في المسؤولية، وإخراجها من عزلتها. فقد نبه السفير البريطاني في واشنطن هاليفاكس Halifax، إلى نفوذ اليهود القوي في أوساط الإدارة الأمريكية والكونجرس ووسائل الأعلام، وأثر ذلك على بريطانيا خاصة، وأن الصهيونية كانت تنظر بعين الغضب إلى سياسة الكتاب الأبيض والتي حالت دون إنقاذ كثير من اليهود من الاضطهاد النازي. لذلك اقترح السفير أن تعرض بريطانيا على الولايات المتحدة نصيباً في مسؤولية الانتداب، أو على الأقل تحاول إشراك دولة عظمى في مسؤوليتها على فلسطين، على نفس النمط الذي اقترحه جريغ Grigg قائلاً: «بالنسبة للأمريكيين أن يظلوا يمارسون الضغط والنقد والنفوذ دون تحمل أية مسؤولية، أفضل وضع لهم، وفي اعتقادي أنه على العكس تماماً بالنسبة لنا». وما كان من تشرشل إلا أن أخذ اقتراح هاليفاكس Halifax بكل جدية فقد أدرك أنه يجب ألا تكتفي الولايات المتحدة بمساندة بريطانيا في موقفها الحربي، بل من واجبها أن تتحمل كافة مسؤوليات بريطانيا، والتي كانت فلسطين أشدها تأزماً، وأثقلها حملاً، وأكثرها تعقيداً. كما أن الصهيونية أيضاً كانت تتطلع أن تتولى الولايات هذه المسؤولية، فمنذ بداية الحرب، نقلت مركز نشاطها إلى واشنطن، وبدأت تمارس ضغوطها على الإدارة الأمريكية كي تتبنى وجهة نظرها، ولكن كان لوجود الرئيس روزفلت Roosvelt في البيت الأبيض ولشعبيته الكبرى في أمريكا، ولعلاقاته واتصالاته القوية مع الزعماء العرب، وعلى رأسهم الملك عبد

العزيز أثره في عدم تحقيق الصهيونية ما كانت تصبو إليه من تأييد أمريكي كامل لمطالبها، ومع أن روزفلت لم يكن معارضاً للصهيونية على وجه العموم، إلا أن سياسة الولايات المتحدة المنحازة للصهيونية لم تظهر بوضوح إبان عهده. بل كان للرئيس ترومان Truman الذي خلفه، السبق في انحيازه للصهيونية بشكل سافر وبدون أية تحفظات. وهكذا تكرس تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لصالح الصهيونية في حلقة الصراع بين الصهيونية والعرب والذي مهدت له بريطانيا.

وأخيراً يتضح من هذه الدراسة أن أحداث الحرب العالمية الثانية وأثرها على تطورات القضية الفلسطينية خلال نفس الفترة، كان لها أثرها الفعال على توجهات القضية ومسارها في فترة ما بعد الحرب.

*　　*　　*

الهوامش:

(1) انظر ص 197 – ص 225.

*　　*　　*

الملحق (1)

ملاحظة:

(هناك عدة ملاحق في الكتاب، ومعظمها وثائق رسمية واكتفينا بالملحق المتعلق ببعض الأعلام الواردة في الكتاب):

أعضاء الوفد الفلسطيني في مؤتمر لندن 1939 (1)

جمال الحسيني:

ولد في القدس وتابع دراسته فيها حتى الثانوية. ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، وعند اندلاع الحرب الأولى عاد إلى فلسطين قبل أن يتخرج، ثم تعين في وظيفة في الحكومة، ولكن ما لبث أن استقال بعد فترة ثم انضم إلى الحركة الوطنية الفلسطينية ووقع عليه الاختيار كأمين عام للجان التنفيذية التي كانت تنبثق من المؤتمرات العربية الفلسطينية، وأميناً عاماً للمجلس الإسلامي الأعلى، ثم أصبح رئيساً للحزب العربي الفلسطيني في عام 1354 هـ (1935 م)، ثم انضم للجنة العربية العليا في عام 1355 هـ (1936م)، وبعد أن حلتها السلطات البريطانية التحق بالمفتي في بيروت في عام 1356هـ (1937م)، ثم رحل معه إلى العراق في عام 1358هـ (1939م)، كما هرب أيضاً مع المفتي إلى إيران بعد إخفاق حركة الكيلاني. ولكن السلطات البريطانية ألقت القبض عليه ونفي إلى روديسيا، وعاد إلى فلسطين في عام 1365هـ (1946م)، واستأنف نشاطه السياسي. وترأس الهيئة العربية العليا، كما تزعم أيضاً عدداً من الوفود الفلسطينية إلى دورات مجلس جامعة الدول العربية، وإلى هيئة الأمم المتحدة أثناء عرض القضية الفلسطينية في عام 1366 هـ (1947م)، وبعد النكبة 1367هـ 1948م غادر فلسطين إلى القاهرة حيث اشترك في حكومة عموم فلسطين، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية حيث عين مستشاراً للملك سعود، ثم غادر إلى بيروت حيث توفي هناك في عام 1402 هـ (1982م).

عوني عبد الهادي:

ولد في نابلس وتلقى تعليمه فيها، ثم التحق بالمدرسة الملكية التابعة لجامعة إستنبول، فشهد تغير نظام الحكم التركي على أيدي رجال الاتحاد والترقي، ثم قصد باريس ليتابع دراسة الحقوق وشارك مع عدد من زملائه في تأسيس جمعية العربية الفتاة. كما أنه كان أحد أعضاء اللجنة التي دعت إلى المؤتمر العربي الذي عقد في باريس، وبقي في فرنسا حتى انتهت الحرب العالمية الأولى، وقد التقى خلال وجوده في باريس بالأمير فيصل بن الحسين، ولازمه حتى عام 1338 هـ (1920م) عندما أطيح بحكومته.

وقد حكمت السلطات الفرنسية على عوني عبد الهادي بالإعدام. وعاد إلى فلسطين في نفس العام، ثم رجع إلى شرق الأردن ورافق الأمير عبد الله حين التقى بوزير المستعمرات تشرشل في عام 1339 هـ (1921). وأسندت له رئاسة الديوان الأميري، ولكنه عاد إلى القدس وزاول المحاماة، كما شارك في معظم الوفود الفلسطينية إلى الخارج، وعمل مع آخرين في تشكيل حزب الاستقلال عام 1351 هـ (1932م)، ولما تألفت اللجنة العربية العليا في عام 1355هـ (1936م)، تولى منصب سكرتير اللجنة، ولما صدر قرار لجنة بيل الملكية، بعثته اللجنة العربية إلى الدول العربية وإلى عصبة الأمم، لشرح وجهة نظر الزعماء الفلسطينيين. ومثل أمام لجنة التحقيق الأمريكية - البريطانية عام 1365هـ (1946م)، وظل عوني على صلة بالجامعة العربية، وحضر المؤتمر الوطني في غزة عام 1367هـ (1948م)، وكان أحد أعضاء حكومة عموم فلسطين، واستقال بعد فترة وانتقل إلى دمشق ومنها إلى عمان، وفي عام 1370هـ (1951م) عين سفيراً للأردن في القاهرة، وبقي هناك حتى عام 1374هـ (1955م)، ثم عاد وعين في مجلس الأعيان الأردني، ثم اعتزل العمل السياسي وفي عام 1383هـ (1964م) غادر عمان إلى القاهرة وتوفي هناك.

ألفرد روك:

ولد في مدينة يافا وتلقى تعليمه فيها. وزاول الأعمال الحرة، وقد أخذ على عاتقه شرح القضية الفلسطينية عن طريق المحاضرات والندوات والمؤتمرات، وبذلك شارك في الحركة الوطنية، وكان عضواً في الوفود العربية إلى مؤتمرات كثيرة، عقدت من أجل القضية الفلسطينية. وانضم إلى الحزب العربي الوطني. وحين حلت اللجنة العربية لم يكن في فلسطين ولكن حظر عليه العودة، وفي عام 1362هـ (1944م) انتخب عضواً في مجلس بلدية يافا. وكان ضمن وفد بلديتها في عام 1367هـ (1948م) عندما تقدموا بطلب المعونات والإمدادات.

عبد اللطيف صلاح:

ولد في طولكرم، وتلقى تعليمه فيها. ثم تخرج من كلية الحقوق في إستنبول وعاد إلى نابلس لممارسة المحاماة، وقد اشتهر بتوليه قضايا الأراضي، ودفاعه عن حق العرب بها. وشارك في الحركة الوطنية الفلسطينية، وأصبح عضواً في الجمعية الإسلامية المسيحية، فعضواً في جميع المؤتمرات العربية الفلسطينية، ثم انتخب عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى عام 1640هـ (1922م)، وساهم عبد اللطيف صلاح في الجهود التي بذلت في الثلاثينات، لتوحيد الأحزاب والجبهات في مؤسسة وطنية واحدة، ثم شكل حزب الكتلة الوطنية، كما انضم إلى اللجنة العربية العليا عند تأسيسها. ولما حلت لجأ إلى القاهرة عام 1356هـ (1937م)، ثم عاد إلى فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية، وانتخب في الهيئة العربية العليا، واستقال بعد فترة وجيزة. وبعد نكسة 1367هـ (1948م)، استعانت به الحكومة الأردنية في صياغة الأنظمة والقوانين التي اقتضاها الوضع الجديد.

يعقوب الغصين:

ولد في الرملة، وتلقى تعليمه فيها. ثم التحق بالمدرسة الصلاحية في القدس، وبدأ حياته العامة رئيساً لجمعية الشبان المسلمين عام 1345هـ (1927م)، وشارك في حركة الشباب في فلسطين إعداداً وتنظيماً، فكان عضواً في مؤتمر الشباب الأول في يافا عام 1351هـ (1932م)، وتم انتخابه عضواً بمكتب اللجنة التنفيذية للشباب برئاسة راسم الخالدي، وبعد أن استقال الخالدي انتخب يعقوب الغصين في مكانه، وعكف مع زملائه على تنظيم حركة الشباب الفلسطيني، وقد اعتقل من جراء نشاطه السياسي، ولكن أفرج عنه بعد أن استأنف الحكم. ثم انتخب رئيساً لحزب مؤتمر الشباب عام 1354هـ (1935م)، ولما تشكلت اللجنة العربية انضم لها. وبعد أن حلتها السلطات البريطانية ألقي القبض عليه ونفي إلى سيشل. وعاد إلى القاهرة عام 1357هـ (1938م)، ومنها إلى فلسطين خلال الحرب. وفي عام 1365هـ (1946م) حلت المجالس البلدية في فلسطين، وجرت انتخابات لمجالس البلدية، ففاز وأسندت إليه رئاسة بلدية الرملة، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته عام 1366هـ (1947م).

أمين التميمي:

ولد في نابلس وتلقى تعليمه فيها. ثم أكمله في إستنبول، وهناك تعرف على عدد من القوميين العرب. لذلك انضم إلى الجيش العربي في دمشق بقيادة الأمير فيصل، وانتخب في الهيئة الإدارية الجديدة لجمعية العربية الفتاة، وبعد انتهاء الحكم العربي في سوريا عام 1338هـ (1920م) عاد إلى فلسطين وانخرط في الحركة الوطنية وشارك في عدد من الوفود التي كانت تسافر إلى الخارج، وفي عام 1343هـ (1925م) أصبح عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى، ثم انضم إلى الحزب العربي الوطني عند تشكيله. وفي عام 1356هـ (1937م) رحل إلى لبنان ثم إلى بغداد، واشترك في حركة الكيلاني، ثم اتجه إلى إيران وهناك ألقي القبض عليه ونفي إلى روديسيا وتوفي في منفاه عام 1364هـ (1945م).

راغب النشاشيبي:

ولد في القدس وتلقى تعليمه فيها. ثم التحق بالمكتب السلطاني في القدس، وتخرج من كلية الهندسة العثمانية في إستنبول، وعين في متصرفية القدس نائباً في مجلس المبعوثان، وبعد الحرب الأولى عاد إلى حلب، واستدعته سلطات الانتداب البريطاني عام 1338هـ (1920م)، وعين رئيساً لبلدية القدس بعد إقالة موسى الحسيني، وفي عام 1353هـ (1934م) انهزم في انتخابات رئاسة البلدية أمام حسين الخالدي، فأسس حزب الدفاع الوطني، وقد نعت فريق النشاشيبي بالمعارضين مقابل المجلسيين أتباع المفتي، وشارك في اللجنة العربية العليا، وكذلك في الهيئة العربية العليا، وبعد النكبة عين راغب النشاشيبي وزيراً في الحكومة الأردنية، ثم حاكماً للضفة الغربية، فعضواً في مجلس الأعيان الأردني حتى وفاته.

جورج أنطونيوس:

ولد في الإسكندرية، وتعلم فيها ثم تابع تعليمه في جامعة كمبردج في بريطانيا، وحصل على شهادة الهندسة، وجاء إلى فلسطين عام 1339هـ (1921م)، وعين في إدارة المعارف مساعداً للمدير، وظل في هذا المنصب إلى أن استقال عام 1349هـ (1930م)، ثم انتقل إلى دائرة السكرتير العام لحكومة فلسطين وأدلى بشهادته أمام اللجنة الملكية في عام 1356هـ (1938م). وضع كتابه الشهير «يقظة العرب» الذي يعد مرجعاً أساسياً في تاريخ العرب المعاصر.

فؤاد سابا:

شارك في مؤتمر الشباب الأول عام 1351هـ (1932م)، وعين في اللجنة التنفيذية وشارك مع راسم الخالدي في تأسيس صندوق الأمة للحفاظ على الأراضي، وقد طاف الاثنان في القرى والمدن يوزعان دفاتر التبرع، ويشرحان أهمية المشروع، وكان من الذين تقدموا للشهادة أمام اللجنة الملكية عام 1356هـ (1937م)، وبعد استئناف الثورة ألقي القبض عليه ونفي إلى جزيرة سيشل، وعاد إلى لبنان بعد إطلاق سراح المعتقلين لتشكيل وفد مؤتمر لندن، وبقي في لبنان حتى اندلاع الحرب ثم عاد إلى فلسطين خلال الحرب.

موسى العلمي:

ولد في القدس وتلقى تعليمه فيها. ثم واصل دراسته في جامعة كمبردج في بريطانيا، وبعد تخرجه عمل في حكومة فلسطين في البداية كمستشار للمندوب السامي، ثم كمحام للحكومة، وفي عام 1356هـ (1937م) أقصي عن منصبه بعد أن رفع مذكرة احتجاج على سياسة الحكومة البريطانية ووقع معه بقية الموظفين العرب في الحكومة. وطلب منه بعدها مغادرة البلاد. فرحل إلى لبنان ومنها إلى بغداد وسمح له بالعودة خلال الحرب. وقد وقع عليه الاختيار ليكون ممثلاً لفلسطين في اجتماعات الجامعة العربية باعتباره مستقلاً ولا يتبع أي حزب. وقامت على جهوده مكاتب الدعاية العربية، والمشروع الإنشائي العربي لإنقاذ الأراضي، لكن في حرب 1378هـ (1967م) ذهب مشروعه مع الأراضي التي احتلتها إسرائيل، وأخذ بعد ذلك ينتقل من مكان إلى آخر حتى وفاته عام 1404هـ (1984م).

حسين الخالدي:

سياسي عريق من رجالات الرعيل الأول في فلسطين ولد في القدس، وتلقى دراسته فيها. ثم انتقل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت حيث درس الطب. ثم التحق بحكومة الملك فيصل الأول في دمشق، وعاد إلى القدس بعد الإطاحة بحكومة الملك فيصل في عام 1388هـ (1920م)، فشغل منصب مدير الصحة وبقي فيه حتى عام 1353هـ (1934م) حين انتخب رئيساً لبلدية القدس، وفي العام التالي أسس حزب الإصلاح وحين شكلت اللجنة العربية العليا، أصبح عضواً فيها، واعتقل في عام 1356هـ (1937م) ونفي إلى جزيرة سيشل، وبقي هناك حتى

عام 1357هـ (1938م) ثم ضم للوفد الفلسطيني إلى مؤتمر لندن. وحين شكلت الهيئة العربية العليا في 1364هـ (1945م) تولى رئاسة الهيئة، ودعا إلى تأسيس بيت المال العربي، لتمويل النشاط الوطني الفلسطيني وبعد مذبحة دير ياسين عام 1367هـ (1948م) انضم إلى وفد منظمة الصليب الأحمر الدولي، وعقد مؤتمراً صحفياً كشف فيه عن بشاعة الجريمة، وفي عام 1369هـ (1950م) عين حارساً للأماكن المقدسة. ثم تولى منصب وزير الخارجية في الحكومة الأردنية عام 1372هـ (1953م)، وأصبح عضواً في مجلس الأعيان الأردني، وتولى رئاسة الوزراء في عام 1376هـ (1957م)، ولكن وزارته لم تعمر أكثر من أسبوع، وعاد الخالدي في النهاية إلى أريحا. وقصر اهتماماته على المطالعة، وتوفي في مستشفى السلط عام 1382هـ (1962م) ودفن في القدس.

* * *

الهوامش:

(1) الموسوعة الفلسطينية، بيان الحوت، ناصر الدين النشاشيبي.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

أ- الوثائق:

1- الأجنبية:

الأجنبية غير المنشورة:

* ملفات وزارة الخارجية، ملفات وزارة المستعمرات.

* «public record Office»

* fo723

* co 727

* co 732

* co 733

الأجنبية المنشورة:

* the Arab OFFICE AT LONDON، the future of Palestine London ،(GENEVA، IMPRIMERIE، 1947)

* General Federation of Jewish labour in Palestine ،A survey of Arab labour organisation in Palestine ، (department for relations with Arab workers، 1945).

* Government of Great Britain، Statement By his Majesty ، November ، 1938 (CMD 5893).

* Government of Great Britain، Statement of policy، the white paper of may 1939 (CMD 6019).

* Government of Palestine: A survey of Palestine prepared in December 1945 and 1946 for the information of the Anglo American Committee، (Jerusalem، 1945).

* Government of German Documents on foreign policy 1918 – 1945 series V. X III، (London، peintingpress، 1946).

- وثائق مترجمة عن الألمانية. ومنشورة بالإنجليزية

2- العربية:

* جامعة الدول العربية، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الأولى 1915 – 1946، (القاهرة: الأمانة العامة لجامعة الدول العربية 1957).

* حكومة فلسطين: تقرير اللجنة الملكية (peel) 1937: الكتاب الأبيض رقم 5479 – النسخة العربية الرسمية (القدس: 1937).
* حكومة بريطانيا: مؤتمر فلسطين العربي البريطاني المنعقد في مدينة لندن 7 فبراير 1939 /18 ذي الحجة 19357هـ/ محاضر جلساته وتقارير لجانه مترجمة عن الإنجليزية، ترجمة إبراهيم عبد القادر المازني، خير الدين الزركلي (مكة المكرمة 1953).
* زعيتر، أكرم: من أوراقه وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918 – 1939 م، إعداد بيان الحوت، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية 1979).
* نشرات المكتب العربي بالقدس، مشكلة فلسطين، الجزء الذي عرض على لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية مارس 1946، (القدس 1946).

ب- المذكرات:

أولاً – العربية:

* أرسلان، عادل: مذكرات الأمير عادل أرسلان، تحقيق الدكتور يوسف ايبش (بيروت، الدار التقدمية للنشر والطباعة 1987). ثلاث مجلدات.
الأيوبي، علي جودت: مذكراته 1900 – 1958، (بيروت، مطابع الوفاء 1967).
* تشرشل، ونستون: مذكراته ترجمة خيري حماد، (بغداد: منشورات مكتبة المثنى، 1965) مجلدان.
* حداد، عثمان كمال: حركة رشيد عالي الكيلاني 1941 (صيدا، المكتبة العصرية).
* الحسيني، محمد أمين: مذكرات المفتي، مجلة فلسطين (بيروت: إصدار الهيئة العربية العليا)
- عدد 70 – يناير 1967 ص 4 – 11
- عدد 76 – يوليو 1967 ص 36 - 45
- عدد 77 – أغسطس 1967 ص 20 - 26
- عدد 79 – اكتوبر 1967 ص 50 - 54
- عدد 80 – نوفمبر 1967 - ص 14 - 19
- عدد 82 – يناير 1968 - ص 14 – 16
- عدد 83 – فبراير 1968 - ص 16 – 20
- عدد 84 – مارس 1968- ص 30 – 32
- عدد 85 – أبريل 1968 - ص 12 -16
- عدد 86 – مايو 1968 - ص 10 - 13

- عدد 88 – يوليو 1968 - ص 10 - 13
- عدد 89 – أغسطس 1968 - ص 12 - 17
- عدد 91 – أكتوبر 1968 - ص 8 – 13
وكذلك نشرت هذه المذكرات في جريدة أخبار اليوم المصرية (القاهرة سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1957).
* زعيتر، أكرم: يومياته عن الحركة الوطنية الفلسطينية 1935 – 1939 (بيروت الدراسات الفلسطينية 1980).
* السويدي، توفيق: مذكرات نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية (بيروت: دار الكاتب العربي 1969).
* الشقيري، أحمد: أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، (بيروت: دار النهار، 1969).
* شوكت، ناجي: سيرة وذكريات ثمانين عاماً (بغداد: مطبعة سلمان الأعظمي، 1975).
* الصباغ، صلاح الدين: فرسان العروبة في العراق، (دمشق: 1956).
* الطاهر، محمد علي: ظلام السجن مذكرات ومفكرات سجين هارب (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1951).
* طنوس، عزت: الفلسطينيون ماض مجيد ومستقبل باهر، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1982).
* الملك عبد الله بن الحسين، مذكرات: الآثار الكاملة، (عمان: المطبعة الهاشمية، 1959) مجلدان.
* عبد الهادي، عوني: أوراق خاصة، إعداد خيرية قاسمية، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1974).
* الغوري، أميل: فلسطين عبر ستين عاماً 1922 - 1937،(بيروت: دار النهار، 1973).
* الكيلاني، رشيد عالي: مذكراته، مجلة آخر ساعة، (القاهرة: فبراير ومارس 1957).
* مائير، جولدا: الحقد، ترجمة منير بهجت حيدر وسميحة أبو الهيجا، (بيروت: دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، 1988).
* الهاشمي، طه: مذكرات طه الهاشمي 1939-1943، إشراف خلدون ساطع الحصري، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1978).
* ياسين، صبحي: الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939، (دمشق: دار الهنا، 1959).

ثانياً ـ الأجنبية:

* Cordell hull، memories، (newyork، 1948).
* Weizmann، h. trial and error.(London: Hamish Hamilton ، 1949).

ج- الرسائل الجامعية:

* المسند، عائشة علي: المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين 1357-1368هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية التربية، الرئاسة العامة لتعليم البنات 1405هـ).

د- المقابلات الشخصية:

1_ الأستاذ أكرم زعتير (يناير 1990 - عمان).

2_ الأستاذ ألبرت حوراني (أغسطس 1990 - لندن).

3_ الدكتور وليد الخالدي (يناير 1990- عمان).

هـ- المراجع العربية:

1- اتحاد الجامعات العربية، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني ، (عمان: 1967).

2- بدران، نبيل أيوب: التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1969).

3- البديري، موسى: تطور الحركة العمالية العربية في فلسطين مقدمة تاريخية ومجموعة وثائق 1919- 1948م، (بيروت:دار ابن خلدون، 1981).

4- توما، أميل: ستون عاماً على الحركة القومية العربية الفلسطينية، (دمشق: 1978).

5- توما، أميل: جذور القضية الفلسطينية، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1973).

6- الجادر، عادل أحمد: أثر قوانين الانتداب البريطاني في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، (بغداد: مطبعة أسعد).

7- جبار، عباس عطية: العراق والقضية الفلسطينية 1932-1941، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1983).

8- حسين، عبد الرحيم أحمد: النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945م، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984).

9- حسين، فاضل: تاريخ العراق المعاصر، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1980).

10- الحسيني، محمد أمين:حقائق عن قضية فلسطين، (القاهرة: المطبعة السلفية).

11- الحوت، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981).

12- خلة، كامل محمود: فلسطين والانتداب البريطاني: 1922-1939(بيروت:مركز الأبحاث الفلسطينية، 1974).

13 - دروزة، محمد عزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، (بيروت: المكتبة العصرية، 1959).

14 – دروزة، محمد عزة: حول الحركة العربية الحديثة، (صيدا: المكتبة العصرية، 1950).

15 – الدسوقي، عاصم: الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي 1943 – 1945، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1403 هـ).

16 – الزركلي، خير الدين: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (بيروت: دار العلم للملايين، 1958) مجلدان.

17 – زعيتر، أكرم: القضية الفلسطينية، (عمان: دار الجليل للنشر، 1986).

18 – سعد، صادق: فلسطين بين مخالب الاستعمار، (القاهرة: لجنة القاهرة للتأليف والنشر).
19 – سليم، محمد عبد الرؤوف: نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين منذ إنشاؤها وحتى قيام دولة إسرائيل 1922 – 1948، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982).
20 – سمارة، سميح: العمل الشيوعي في فلسطين، (بيروت: دار الفارابي، 1979).
21 – شديد، محمد: الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981).
22 – صالح محسن محمد: التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917 – 1948، (الكويت: مكتبة الفلاح، 1988).
23 – صايغ، أنيس: فلسطين والقومية العربية، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1960).
24 - صايغ، أنيس: الهاشميون وقضية فلسطين ، (بيروت: المكتبة العصرية، 1960).
25 – صدقة، نجيب: قضية فلسطين، (بيروت: 1946).
26 – الطاهر، محمد علي: خمسون عاماً في القضايا العربية، (القاهرة: دار الريحاني).
27 – طهبوب، فائق حمدي: الحركة العمالية والنقابية في فلسطين 1920 – 1948، (الكويت: دار كاظمة للنشر والتوزيع، 1982).
28 - عباسي، نظام: العلاقات الصهيونية – النازية وأثرها على فلسطين وحركة التحرير العربي 1933 – 1945، (الكويت: كاظمة للنشر والتوزيع، 1984).
29 – عبد الهادي، مهدي: المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية، (بيروت: مؤسسة الدراسات العربية، 1980).
30 – عطار، أحمد عبد الغفور: ابن سعود وقضية فلسطين، (بيروت: المكتبة العصرية، 1974).
31 – العقاد، صلاح: الحرب العالمية الثانية، (القاهرة: دار المعارف، 1965) ،
32 – العقبي، أحمد حسين: أسرار لقاء الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت، (جدة: 1404 هـ).
33 – غنيم، عادل حسن: الحركة الوطنية الفلسطينية 1917 – 1936 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1974).
34 - غنيم، عادل حسن: محمد عزة دروزة وحركة النضال الفلسطيني (القاهرة: دار النهضة العربية، 1987).
35 – قشطان، عبد الله السلام: التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1516 – 1948، (عمان: دار الكرمل للنشر، 1987).
36 – كيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1971).
37 – مارديني، زهير: فلسطين والحاج أمين الحسيني، (بيروت: دار اقرأ، 1986).
38 – محافظة، علي: العلاقات الألمانية الفلسطينية 1941 – 1945، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981).

39 – محافظة، محمد أحمد سليمان: العلاقات الأردنية الفلسطينية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، 1939 – 1951، (عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1983).
40 – محسن، عيسى خليل: فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني، (عمان: دار الجليل للنشر، 1986).
41 – المسلم، إبراهيم: لمحات عن القضية الفلسطينية ودور الملك عبد العزيز آل سعود، (الرياض: مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، 1985).
42 – الموسوعة الفلسطينية، أربعة مجلدات، (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984).
43 – النشاشيبي، ناصر الدين: آخر العمالقة جاء من القدس قصة الزعيم الفلسطيني موسى العلمي، (مدريد: 1986).
44 – النمر، إحسان: تاريخ جبل نابلس والبلقاء، (نابلس: مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، 1975).
45 – هداوي، سامي: الحصار المر، (عمان: منشورات رابطة الجامعيين، 1982).
46 – هيكل، يوسف: القضية الفلسطينية، بحث ونقد، (يافا 1937).
47 – ياسين، عبد القادر: كفاح شعب فلسطين حتى 1948، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981).
48 – ياغي، إسماعيل أحمد: حركة رشيد عالي الكيلاني – دراسة تطور الحركة الوطنية العراقية، (بيروت: دار الطليعة للنشر والطباعة).
49 – يس، السيد، و د.هلال، علي الدين: الاستعمار والاستيطان الصهيوني في فلسطين 1882 – 1948، (بيروت: دار نافع للطباعة والنشر، 1975).

و - المراجع المترجمة:

1 – الياب، يعقوب: جرائم الأرغون وليحي 1937 – 1948، ترجمة غازي السعدي، (عمان: دار الجليل للنشر، 1985).
2 – افنزي، اريه .ل. : دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي والعرب 1878 – 1948، ترجمة بشير البرغوثي، (عمان: دار الجليل للنشر، 1986).
3 – سايكس، كريستوفر: مفارق الطرف إلى إسرائيل، ترجمة خيري حماد، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1966).
4 – عبوشي، واصف: فلسطين قبل الضياع، ترجمة علي الجرباوي (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1988م).
5 – هيرزوير، لوكاز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، (القاهرة: دار المعارف، 1971 م).

ز - المراجع الأجنبية:

(لم نذكرها هنا لظروف تتعلق بالطباعة. وقد ذكر بعضها في التمهيد وفي الهوامش).

ح- الدوريات:

1- العربية:

* أبو بكر، توفيق: العلاقات الأمريكية الصهيونية 1914 – 1942، (العدد 21 ديسمبر 1981، ص 71 – 84).

* حوراني، هاني: ملاحظات حول أوضاع الطبقة العربية العاملة في فلسطين في عهد الانتداب، (العدد 5 نوفمبر 1971،ص 119 – 133).

* خليل، موسى: الحزب الشيوعي الفلسطيني 1919 – 1948 (العدد 29 نوفمبر 1974، ص 111 – 141).

* رشيد، حيدر: نشأة الحركة العمالية العربية في فلسطين ودوافعها الموضوعية والذاتية، (العدد 117 أغسطس 1981، ص 133 – 153).

* سلمان، رشيد سلمان: «ألمانيا النازية والقضية الفلسطينية »، (العدد 31 مارس 1974، ص 92 – 104).

* شبيب، سميح: «صفحات من الثقافة الفلسطينية»:

أ – محمد عزة دروزة: تسعون عاماً من الكفاح.

ب – أكرم زعيتر: معارض وديبلوماسي وبحاثة.

(العدد 31 مارس 1974، ص 78 – 92).

* الشريف، ماهر: عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين 1943 – 1948، (العدد 6 يناير 1972، ص 49 – 75).

* كنفاني، غسان: ثورة 1936 – 1939 في فلسطين خلفيات وتفاصيل وتحليل، (العدد 6، يناير 1972، ص 45 – 75).

* الناشف، تيسير: النخبة السياسية في المجتمع العربي الفلسطيني، (العدد 486، أغسطس 1975، ص 131 – 163).

* وجميع هذه المقالات في مجلة شؤون فلسطينية التي يصدرها مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت.

2- الأجنبية:

* التايمز اللندنية: 1939، 1943، 1944، 1945 The Times

ملحق رقم /2/

3- الصحف:

أ – العربية:

* صحيفة الأهرام المصرية: 1940، 1943، 1944، 1945.

* صحيفة الدفاع: 1942، 1943، 1944، 1945.

* صحيفة فلسطين: 1939، 1940، 1942، 1943، 1945.

* صحيفة الوقائع الفلسطينية الحكومية الرسمية، أغسطس 1941.

ب- الأجنبية:

* التايمز اللندنية: 1939، 1943، 1944، 1945 The Times

ملحق رقم /2/.

*　　*　　*

النهاية